بوزياني الدراجي

عبد الرحمان الأخضري

العالم الصوفي الذي تفوق في عصره






الكاتب والباحث الجزائري

بوزياني الدراجي

عبد الرحمن الأخضري

العالم الصوفي الذي تفوق في عصره

الطبعة الثانية

2009م

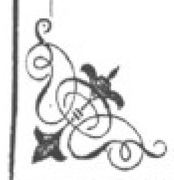








بسم الله الرحمن الرحيم








الإهداء

ـ إلى أبي وأمي العزيزين؛ صاحبي الفضل فيما وصلت إليه.

ـ إلى زوجتي الفاضلة الوفية؛ التي تحملت الصعاب في سبيل تحقيق ما أتمناه في الحياة.

ـ إلى بناتي وأبنائي؛ فلذات كبدي، والزهرات التي استنشق عبيرها وأعيش من أجلها.






مقدمة الطبعة الثانية

لقي كتاب العلامة **عبد الرحمن الأخضري** ـ والحمد الله ـ إقبالاً حميداً؛ فنفدت أعداد الطبعة الأولى بعد مدة قصيرة. وكنت أتمنى إصدار طبعته الثانية، وأنتظر الفرصة التي تسمح بها إمكاناتي لإصدار ذلك العمل الهام.

ولم يطل الوقت؛ حتى تحقق ما تمنيته؛ وذلك عندما اتصل بي صاحب مؤسسة بلاد للنشر (Bled Edition) طالباً نشره بواسطة مؤسسته، وبدعم من وزارة الثقافة الجزائرية.

وعلى هذا؛ سعيت جاداً لمراجعة الكتاب، وتنقيحه، وإضافة معلومات ومواد وأعمال لم تتضمنها الطبعة الأولى؛ مثل:

ـ كتاب السراج في علم الفلك.

ـ والمنظومة المسماة أزهار المطالب في الإسطرلاب.

ـ والقصيدة اللامية في التصوف والإرشاد الديني.

ـ والقصيدة اللامية في النبي خالد بن سنان.

وبهذه المناسبة أقدم شكري وامتناني إلى حفيد العلامة **عبد الرحمن الأخضري**؛ الأستاذ **علي الأخضري بن عباس البنطيوسي**؛ على ما قدمه إلي








من عون؛ بتمكيني من بعض أعمال **الأخضري**؛ التي لم تنشر في الطبعة الأولى. كما أشكر الأستاذ **سعد السعود خشاب**؛ الذي زوّدني بنسخة من مخطوط **الحسين الورثلاني**؛ الذي شرح فيه **قدسية الأخضري**؛ مسجلة على قرص مضغوط؛ وأصلها محفوظ **بالزاوية العثمانية بطولقة**.

وجملة القول؛ أرجو من الله أن يوفقني ويعينني؛ كي أقدم هذا العمل في أحسن صورة وأفضل محتوى. والله ولي التوفيق.

بوزياني الدراجي

الجزائر 15 فبراير 2009م

□







مقدمة الطبعة الأولى

راودتني فكرة الكتابة عن العلامة **عبد الرحمن الأخضري** منذ فترة؛ إلى أن سنحت هذه الفرصة المحفزة؛ فشرعت ـ عندئذ ـ فيما نويته من قبل. والذي أغراني ـ في الحقيقة ـ على الكتابة عن هذا الرجل العظيم هو تميزه عن غيره من العلماء في عصره؛ إذ لم يكتف بالنهج التقليدي لعلماء ذلك العصر؛ بل سلك نهج أسلافه من علماء العصور السابقة؛ المعتنين بالعلوم العقلية إلى جانب النقلية منها. لذلك نجده قد صنف أعمالاً في **علم الهيئة، والإسطرلاب، والحساب، والمنطق**؛ إلى جانب أعمال **دينية كالقدسية والرائية** وغيره.

غير أن أهم ما يميزه؛ هو اهتمامه بنشر العلم عن طريق التدريس؛ حيث اهتم ـ بالدرجة الأولى ـ بالتربية والتعليم، ثم انهمك في كتابة المواد العلمية المطلوبة للتدريس؛ مثل: **علم النحو**؛ الذي كتب فيه منظومة تشبه الأجرومية ولكنها شعراً؛ وقد سماها **"الدرة البهية"**؛ وألف ـ أيضاً ـ منظومة في **الحساب والفرائض** من أجل تلاميذه؛ كما أنجز من أجلهم ـ كذلك ـ منظومة **الجوهر المكنون في البلاغة**؛ بالإضافة إلى أعمال أخرى سيأتي الكلام عنها لاحقاً.






المهم أن **الأخضري** وضع نفسه في خدمة التربية والتعليم؛ في وقت كانت الدولة لا تعطي اهتماماً للتعليم وأصحابه. وإلى جانب التعليم؛ كان **الأخضري** ينشغل بالعبادة والوعظ وتهذيب الأخلاق؛ حيث أصبح مقامه مركزاً للدعوة وبعث حركة التصوف التريه والطاهر. فكان ــ رحمه الله ــ يخلوا إلى نفسه في أوقات معينة؛ حيث يلتزم بالذكر والعبادة، كما كان يخصص بعض الوقت للتأليف في علوم الدين والتصوف؛ مثل: **متن العبادات في الفقه، والقدسية في التصوف والوعظ، والفريدة الغراء في التوحيد**، وغيره.

ولما كنت أملك بعض أعمال هذا العلامة فقد سعيت للحصول على ما أفتقده منها؛ وعلى هذا فقد وجدت عوناً كبيراً من قبل بعض الأصدقاء والأبناء؛ حيث مدني صديقي العزيز، الشاعر الكبير **أبو القاسم خمار** بنسخة من **المنظومة القدسية**، كما زودني الأستاذ الفاضل **محمد يزيد العلوي** بنسخة من **القصيدة الرائية**؛ في الوعظ وفي مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقد تفضل بإعطائه إياها زميله الأستاذ **سعد السعود خشاب**؛ الذي جلبها ــ بدوره ــ من مدينة **غرداية**؛ لذا أجد نفسي مداناً لهم








جميعاً بهذه المنة؛ ولا يسعني ــ هنا ــ إلاّ تقديم الشكر الجزيل لهم.

كما أقدم شكري وامتناني لابنتي الفاضلة **دبابش اعتدال** على عونها وحماسها لما أقوم به؛ حتى أنها بذلت جهدها لكي تحضر لي نسخة ــ طبق الأصل ــ من شرح **منظومة الأخضري للقدسية**؛ الذي أنجزه الشيخ **الحسين بن أحمد زروق ابن مصباح** من مكتبة **الزاوية العثمانية بطولقة**؛ فشكراً لها ولابن شيخ الزاوية **سعد بن عبد القادر عثماني** على مساعدتهما.

أما المنهج المتبع في أعداد هذه الدراسة فيمكن إجماله في:

ــ تخصيص القسم الأول للتعريف **بعبد الرحمن الأخضري** ومزاياه خلال العصر الذي عاش فيه، ثم التطرق للمكانة العلمية التي يحتلها بين علماء ذلك العصر المتردي.

ــ تخصيص القسم الثاني لدراسة مختارات مما تيسر من مؤلفات **الأخضري**؛ وذلك لتمكين القارئ من الإطلاع بوضوح على ما أنتجه هذا العلامة. علما بأن ضيق المجال ومحدودية الزمان فرضا هذا الأمر.







ـ تخصيص القسم الثالث لعرض أعمال كاملة من مؤلفات **الأخضري**؛ دون تدخل أو تعليق. وهذا ما توفر لدينا حتى الآن؛ على أن نلتزم بإضافة ما سيتوفر من أعمال أخرى في المستقبل إن شاء الله.

ويستحسن الإفادة ـ هنا ـ بأن القسم الثاني من الدراسة تطلب مني التدخل بالتعليق والشرح؛ بحيث تم الشرح في سياق النص الرئيسي وبأسلوب مختصر؛ بينما كتبت التعاليق المقتضبة والإحالات في الهوامش السفلية. كما أُلْفِت نظر القارئ الكريم إلى بعض التدخلات التي كنت أقوم بها ضمن النصوص أو الاقتباسات؛ حيث وضعت تلك التدخلات بين قوسين مربعين مثل: [...] .

وفي هذا كفاية؛ وعلى الله التوفيق

بوزياني الدراجي

الجزائر في 24/06/ 2005.




سيدي عبد الرحمن الأخضري[1]

هو الشيخ العلامة، الإمام، الصوفي، الزاهد، الورع، التقي، المستقيم، الأستاذ، المعلم، المصلح، المجتهد، المحقق، المدقق، الباحث في شتى الفنون والعلوم، الناكر للذّات؛ **سيدي أبو زيد عبد الرحمن ابن محمد الصَّغَيَّرْ بن محمد بن عامر الأخضري.**[2] هذا ما ثبت حتى الآن بخصوص نسبه. لأن آراء الناس اختلفت ــ بعد ذلك ــ في تسلسل أسماء أسلافه.

وإذا كان **عبد الرحمن الأخضري** ينسب نفسه إلى الصحابي الجليل **العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي**؛ فقد شكك بعضهم في هذا النسب؛ وبالمقابل ينسبونه إلى **خضر بن عامر بن رياح**؛ زاعمين ــ في الوقت نفسه ــ بأنه ينتسب إلى بطن من بطون

[1] أهم المراجع التي تتضمن ترجمة لعبد الرحمن الأخضري هي: دائرة المعارف الإسلامية، مج: 1 . حرف الألف. ورحلة الحسين بن محمد الورتلاني المسماة "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، ص ص: 5 ــ 6 . 87 ــ 88. و"الأعلام" للزركلي، ج: 4، حرف العين. و"تاريخ الجزائر العام" للشيخ عبد الرحمن الجيلالي، ج: 3، ص ص: 79 ــ 81. و"معجم المطبوعات العربية والمعربة"، مج: 1، حرف الألف، و"معجم أعلام الجزائر" لعادل نويهض، حرف الألف. و"تاريخ الجزائر الثقافي" للدكتور سعد الله الذي اعتمد ــ بدوره ــ على مخطوط "العقد الجوهري في التعريف ... الأخضري" للأحمد بن داود؛ كما استعان أيضاً بالترجمة التي قام بها لوسياني "للسلم المرونق". ثم "الرحلة الكبرى" للناصري.

[2] ورد اسمه في دائرة المعارف الإسلامية بطريقة مخالفة للمعهود؛ وهي: ((الأخضري: الصدر ابن عبد الرحمن بن أمير بن الوالي الصالح السيد الصغير بن محمد البنتيوسي المالكي: مؤلف عربي لا نعرف عن حياته شيئاً، له منظومتان ذائعتان: (1) "الجوهر المكنون في صدق الثلاثة فنون" في البلاغة... (2) "السلم المرونق" في المنطق)). ج: 1، ص: 514.

الدواودة؛[1] وبذلك فهم يخلطون بين سلسلة **خضر ابن عامر بن رياح**، والسلسلة التي تشمل **الدواودة** أبناء **داود بن مرداس بن رياح**. غير أن أبناء السلسلة الأولى والسلسلة الثانية لا ينتمون ـ بالطبع ـ إلى بعضهم بشكل مباشر؛ حتى وإن كانوا أبناء عمّ؛ يجمعهم نسب جدهم **رياح بن أبي ربيعة بن نَهيك ابن هلال**.[2]

وفي المقابل؛ يضع **الأخضري** نفسه ضمن سلسلة أخرى؛ لا علاقة لها بما قيل؛ وتلك السلسلة تمتد في قبيلة **بني سليم**؛ المختلفة تسلسلياً عن **بني هلال**. وعلى هذا؛ لا يوجد ما يستدعي نكران انتساب **الأخضري** للصحابي **العباس بن مرداس**؛ خاصة وأن الذين أنكروا هذا النسب لم يقدموا تعليلاً واضحاً ومفيداً. لذا فاحتمال صحة نسب **عبد الرحمن الأخضري للبعاس بن مرداس** ليس بعيداً؛ خاصة وأن هذا الصحابي ينتمي لقبيلة **بني سليم**؛ وقد كان بين الوافدين ـ من **بني سليم** ـ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.[3] كما تقول المصادر أنه

---

[1] تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 79.

[2] العبر، مج: 6، ص ص: 69 ـ 80. القبائل العربية في المغرب، ص ص: 212 ـ 215. 353.

[3] أنظر الطبقات الكبرى لابن سعد، ج: 1، ص: 307.

بــقي في الباديــة قــرب **البصــرة**؛[1] حيــث تتواجـــد أحيـــاء مــن **بــني سليــم**. إذن؛ فمــا المانــع أن ينتقــل بعــض أحفــاد **العبــاس ابــن مــرداس** مــع جمــوع **بــني سليــم** إلى بـــلاد المغــرب..؟

هــذا مــا يمكــن قولــه بخصــوص نســـب **الأخضـــري** مــن جهــة أبيــه؛ أمــا نسبــه مــن جهــة أمــه؛ فــلا توجــد معطيــات تستحــق التوســع والشــرح؛ ســوى أن أمــه اسمهــا **حَــدَّة**، وهي مــن **تفلفــال بغسيــرة**؛ تلــك القريــة المحفوفــة بالنخيــل والأشجــار، والممتــدة بامتــداد **الــوادي الأبيــض**؛ بمياهــه العذبــة الرقراقــة، والمتكئــة إلى سفــوح جبــل **الأوراس** الأشــم. وخبــر أمــه نقلــه الشيــخ **الجيــلالي**؛ عــن الشيــخ **عبــد المجيــد بــن حبــة**.

ـــ *مولــد الأخضــري*:

وكمــا اختلــف النــاس في نســب **الأخضــري**؛ تضاربــت أقوالهــم أيضــاً حــول تاريــخي ميـــلاده ووفاتـــه. فبينمـــا يــرى بعضهــم أنــه ولــد في سنــة 910 هــ/1504م، وتــوفي في سنــة 953هــ/1546م؛ يقــول آخــرون أنـــه ولـــد في عــام 818هــ/1512م وتــوفي في عــام 983هـــ/1546م. ومــن جهــة أخــرى يزعــم بعــض الباحثيــن أنــه ولـــد في

---

[1] الإصابــة في تمييــز الصحابــة، ج: 2، ص: 272. والاستيعــاب في معرفــة الأصحـــاب، فــي هامـــش الإصابــة، ج: 3، ص: 101.

عـــام 920هـــــ/1514م وتـــــوفي: إمـــا في عـــام 982هــ/1574م أو في 983هــ/1975م. ويبـدو أن دافعهـم لذلـك هـو مـا ورد في بيـت **للأخضـــري** حيــن نظـم "**الـدرة البهيـة**"؛ الشبيهـة بالأجروميـة؛ حيـث قـال:

تَـمَّ بِحَمْـدِ اللَّـهِ مَا قَصَدْنَـا
مِـنْ نَظْـمِ هَـذِهِ الَّـتِي أَرَدْنَـا
سَمَّيْتُهَـا بِالـدُّرَّةِ البَهِـيَّـهْ
فَهْيَ لِمَـا فِي **أَصْلِهَـا** مَحْوِيَّـهْ
وَكَـانَ فِي مُحَـرَّمِ الحَـرَامِ
بَـدْءاً وَخَتْمُنَـا لِـذَا النِّظَـامِ
فِي إِحْـدَى وَثَمَانِيـنَ سَنَـهْ
من بعـد تسعمائـة مستحسنـه

وعـلى هـذا؛ فقـد اعتقـد العالمـون بالأبيـات المذكـورة أنـه كـان حيـاً في هـذه السنـة عـلى الأقـل.[1] ولكـن **الدكتـور سعـد اللـه** رأى في ذلـك البيـت تصحيفـاً؛ حيـث يحتمـل أن تكـون كلمـة "**ثمانيـن**" قـد استبدلـت "**بثلاثيـن**".[2] ويبـدو أن رأيـه لا غبـار عليـه؛ خاصـة وأن البيـت المقصـود لا يستقيـم وزنـه مـع سيـاق النظـم.

---

[1] بوعبدلـلي، الأصالـة، جانـفي، 1978، 53. تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 81.

[2] تاريـخ الجزائـر الثقـافي، ج: 1، ص: 508، هامـش 73.

وبمجمل القول؛ يمكننا مجاراة الرأي الأكثر شيوعاً؛ وهو الذي يفيد؛ بأن مولد **عبد الرحمن الأخضري** في قرية **بنطيوس بالزاب الغربي**، وعاش بين سنتي: 920 و 953 هـ. وبذلك يكون هذا العلامة قد توفي في مقتبل العمر؛ إذ لم تتجاوز أيام حياته الثلاث والثلاثين سنة. ومن هنا يمكن إدراك مدى عبقرية هذا الرجل؛ الذي قدم لعصره؛ خلال سنوات قليلة؛ ما عجز عنه الآخرون ــ ممن طالت بهم الأيام والسنون ــ في ذلك العصر المتردِّي في أحواله، الجدب في تراثه الفكري، الضحل في خيراته وفي رجاله.

ــ *مكانته العلمية:*

فعلى الرغم من قصر عمر **الأخضري**؛ فقد كانت أيامه حبلى بالثمار والإنتاج العلمي، ومليئة بالابتكارات والأعمال الجليلة؛ إذ يقال أنه أنجز قرابة الثلاثين[1] من المتون وشروحها؛ في مختلف العلوم وشتى الفنون. لذا؛ فقد ظهرت عليه علامات النبوغ والتفوق في سن مبكرة؛ حيث شرع في تأليف ونظم متون العلوم؛ وهو فتى لا يتجاوز سنه سبع عشرة

[1] **الأصالة، جانفي، 1978، العدد: 53.** وبقدر ما أنجز الأخضري من أعمال ــ في قول آخر ــ زهاء العشرين كتاباً. أنظر تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 81.

سنة؛ إذ أنجز وهو في هذا العمر منظومة **"السراج" في الفلك**، كما أنجز منظومة **"أزهار المطالب في الإسطرلاب"** حين بلغ العشرين من عمره، أما منظومة **"السلم المرونق" في المنطق والحكمة** فقد أكملها وهو في سن الحادية والعشرين سنة؛ وقد سجل ذلك خلال نظمه لها حين قال:

وَلِبُنَيِّ احْدَى وَعِشْرِينَ سَنَهْ
مَعْذِرَةٌ مَقْبُولَةٌ مُسْتَحْسَنَهْ
لاَ سِيَّمَا فِي عَاشِرِ القُرُونِ
ذِي الجَهْلِ وَالفَسَادِ وَالفُتُونِ
وَكَانَ فِي أوَائِلِ المُحَرَّمِ
تَأْلِيفُ هَذَا الرَّجَزِ المُنَظَّمِ
مِنْ سَنَةِ احْدَى وَارْبَعِينَ
مِنْ بَعْدِ تِسْعَةٍ مِنَ المِئِينَ

كما أنه أنجز المنظومة **"القدسية"** وهو في سن الأربع والعشرين؛ أي في سنة 944هـ؛ حيث قال في ختامها:

فِي أرْبَعٍ وَأرْبَعِينَ قَدْ نَجَزْ
مِنْ عَاشِرِالقُرُونِ قُلْ هَذَا الرَّجَزْ

أما منظومة **الجوهر المكنون** فقد أنجزها في منتصف القرن العاشر للهجرة؛ أي في حدود 950هـ؛ وقد أشار لذلك في آخر المنظومة حيث قال:

ثُمَّ بِشَهْرِ الحجَّةِ المَيْمُونِ
تَتِمُّ نِصْفِ عَاشِرِ القُرُونِ

وبذلك يكون عمر **الأخضري** ـ آنئذ ـ لا يتجاوز الثلاثين سنة. وعندما نتأمل في العمر الذي ألف فيه أهم أعماله؛ يتبين لنا أنه أنجزها في سن مبكرة جداً؛ وذلك بالاستناد إلى ما أثبته هو بنفسه في منظوماته. وعليه يمكن إسقاط مسوغات من يقول بأنه عَمَّرَ طويلاً؛ حين قالوا: أن الأعمال العلمية التي أنجزها **الأخضري** تدل على أنه وصل من النضج مستوى يؤهله لذلك. وهكذا فقد تبين أن **الأخضرى** اكتسب النضج قبل أوانه، وامتلك العلوم في سن مبكرة.

ـ عصر الضعف:

وإذا عدنا إلى ما سبق ذكره في منظومة **"السلم المرونق"** سيتضح لنا من تلك الأبيات؛ أن **الأخضري** أشار إلى حال عصره المتدهور؛ حين قال:

لَا سِيَّمَا فِي عَاشِرِ القُرُونِ
ذِي الجَهْلِ وَالفَسَادِ وَالفُتُونِ

وقد بكى زمانه في المنظومة **"القدسية"** وتأسف على حال العلم والعلماء فيه بقوله:

هَذَا زَمَانٌ كَثُرَتْ فِيهِ البِدَعْ
وَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ أمْوَاجُ الخِدَعْ
وَخَسَفَتْ شَمْسُ الهُدَى وَأفَلَتْ
مِنْ بَعْدِ مَا قَدَ بَزَغَتْ وَكَمُلَتْ
وَالدِّينُ قَدْ تَهَدَّمَتْ أرْكَانُهْ
وَالزُّورُ طَبَّقَ الْهَوَى دُخَّانُهْ
وَظُلمَاتُ الزُّورِ وَالبُهْتَانِ
تَزَخْرَفَتْ فِي جُمْلَةِ الأوْطَانِ

ثم يضيف:

يَا وَيْلَتِي هَذَا زَمَانُ البِدَعِ
مَاتَ بِهِ أهْلُ التُّقَى وَالْوَرَعِ
وَاحَسْرَتِي عَلَى الْكِرَامِ البَرَرَهْ
قَدَ أُخْلِفُوا بِالْمُدَّعِينَ الفَجَرَهْ

إلى أن يقـــول:

وَأَسَفَـــا عَلَى الرِّجَالِ الكَامِلِيـــنْ
قَدْ ذَهَبُـــوا بَيْنَ الْعِبَـــادِ خَامِلِيـــنْ
فَسُـــتِـــرُوا بِظُلُمَـــاتِ الْبِـــدَعِ
فَلَمْ يَبِنَ صَـــادِق مِـــنْ مُـــدَّعِ

ولـــم يكتـــف **الأخضـــري** بالنظـــم ـــ في انتقـــاده لمـــا وصـــل إليـــه العلـــم والعلمـــاء في وقتـــه ـــ بـــل استعـــان بالنثـــر أيضـــاً؛ وذلـــك أثنـــاء شرحـــه لمنظومـــة **"السلـــم المرونـــق"**؛ حيـــث قـــال: **((وإذا كـــان العـــذر مـــن حـــق المبتـــدي في الزمـــان المتقـــدم؛ فكيـــف في هـــذا الزمـــان الصعـــب الـــذي انقـــرض فيـــه أكابـــر العلمـــاء، ولـــم يبـــق فيـــه إلاّ حثالـــة الحثالـــة)).**[1]

وقـــد خصـــص حيـــزاً كبيـــراً في المنظومـــة **"القدسيـــة"** للتنديـــد بالمشعوذيـــن والدجاليـــن وعلمـــاء الســـوء؛ حيـــث قـــال فيهـــم:

قَـــدْ ادَّعَـــوْا مَرَاتِبـــاً جَلِيلَـــةْ
وَالشَّـــرْعُ قَـــدْ تَجَنَّبُـــوا سَبِيلَـــهْ
قَـــدْ نَبَـــذُوا شَرِيعَـــةَ الرَّسُـــولِ
فَالْقَـــوْمُ قَدْ حَـــادُوا عَنِ السَّبِيـــلِ

---

[1] شـــرح الأخضـــري عـــلى السلـــم المرونـــق، ص: 38، القاهـــرة، 1314هـ. وتاريـــخ الجزائـــر العـــام، ج: 3، ص: 81.

ثـــم يقـــول:

لَمْ يَبْقَ مِنْ دِينِ الْهُدَى إلاَّ اسْمَـــهُ
وَلاَ مِـــنْ الْقُـــرْآنِ إلاَّ رَسْمَـــهُ
هَيْهَاتَ قَدْ غَاضَتْ يَنَابِيعُ الْهُـــدَى
وَفَاضَ بَحْرُ الْجَهْـــلِ وَالزَّيْـــغُ بَدَا
أَيْنَ رُعَـــاةُ الدِّيـــنِ أهْـــلُ الْعِلْـــمِ
قَدْ سَلَفُـــوا وَاللَّـــهِ قَبْـــلَ الْيَـــوْمِ
وَهَاجَـــتِ الطَّائِفَـــةُ الدَّجَاجِلَـــهْ
السَّالِكُـــونَ لِلطَّرِيـــقِ الْبَاطِلَـــهْ
وَكَثُرَتْ أَهْلُ الدَّعَـــاوَى الكَاذِبَـــهْ
وَصَـــارَتِ الْبِدْعَـــةُ فِيهِمْ غَالِبَـــهْ

ثـــم يقـــول في إحـــدى قصائـــده الأخـــرى؛ محـــذراً مـــن علمـــاء الســـوء:

وَاحْـــذَرْ عُلَمَـــاءَ السُّـــوءِ فَقَـــدْ
خُصُّـــوا بِالإِفْـــكِ وَبِالخَطَـــلِ
حَفِظُـــوا الأَقْـــوَالَ وَمَا عَمِلُـــوا
بِالْعِلْـــمِ فَسَـــاءَ القَـــوْمَ قُـــلِ
مَـــا حِرْفَتُهُـــمْ إلاَّ لَعِـــبٌ
وَلُحُـــومُ النَّـــاسِ بِـــلاَ قُلَـــلِ

أرْبَابُ قُلُوبٍ قَاسِيَةٍ
لِلطَّاعَةِ أصْلاً لَمْ تَمِلِ
لاَ نُطْقَ لِذِكْرِ اللَّهِ لَهُمْ
إلاَّ باللَّهْوِ وَبالْهَزَلِ
لاَ يَكْسِبُونَ العِلْمَ سِوَى
لِرِيَاءِ النَّاسِ وَلِلْجَدَلِ
طَمَسَ الأقْوَالَ تَمَلُّقُهُمْ
لِوُلاَةِ السُّوءِ ذَوِي الخَلَلِ

وإذا كان **الأخضري** قد اشتكى من الأوضاع المزرية للعلم والعلماء في عصره؛ فإننا نرى أن تلك الظاهرة السلبية قد شرعت بوادرها تظهر في عصر سابق لعصر **الأخضري**؛ فنجد أن علماء آخرين في **الجزائر** ـ أيضاً ـ قد اشتكوا من الحال المتردية للعلم والعلماء. ففي وقت سابق بقليل عن أيام **الأخضري** ـ ظهر رجل مشهود له بالعلم والتقوى؛ وهو **عبد الرحمن الثعالبي**؛ فقال: **((وقد قل الاعتناء في هذا الزمان بالعلم))**.[1]

ولم يقف الوضع عند **الثعالبي** الذي عاش في القرن التاسع من الهجرة؛ بل ازدادت الأوضاع سوءاً

[1] تاريخ الجزائر العام، ج: 2، ص: 249، نقلاً عن مخطوط الأمهات للثعالبي.

في القـرن العاشـر؛ الـذي عـاش فيـه **عبـد الرحمـن الأخضـري**. فـفي هـذا العصـر توقـف تدفـق رُفَّـادُ المعرفـة، وانطفـأت أنـوار الاجتهـاد والابتكـار، وجفـت منابـع العلـوم والفنـون؛ إذ ابتليـت مـوارد المعرفـة بالغـور والانحسـار. فنُكِبـت **البلـدان المغربيـة** ـ عمومـاً ـ بالغـزو الصليـبي؛ الوافـد مـن **إسبانيـا ومالطـا وصقليـة**. وكانـت **الممالـك المغربيـة** في أسـوء حالهـا مـن الضعـف والتفكـك. ووصـل التعفـن والفسـاد بدولـتي: **بـني زيـان بتلمسـان والحفصييـن ببجايـة وقسنطينـة** إلى حـد؛ سـعى فيـه أهـل الغيـرة مـن **الجزائرييـن** إلى الاستنجـاد **بالعثمانييـن**؛ قصـد صـد جيـوش **الإسبـان**، وردهـم عـن أسـوار المـدن الساحليـة.

وباستقـرار **العثمانييـن في الجزائـر**؛ ازدادت فجـوة الجهـل بيـن السكـان اتساعـاً، وتعاظمـت الظواهـر المؤديـة للشعـوذة والدروشـة، وانتشـرت عبـر البـلاد أفـواج مـن العامـة المنتسبيـن زوراً للصوفيـة؛ إذ كوّنـوا فرقـاً لهـا ميـول سلبيـة، مستسلمـة لمقتـضى الحـال، ومنكمشـة ضمـن حلقـات مـن الأتبـاع العاطليـن والغاطسيـن في أعمـاق الغيبيـات، والحالميـن بالأوهـام والخرافـات الـتي لا تجـدي ولا تفيـد. وقـد ساعـدت هـذه الظاهـرة عـلى بعـث الشلـل في الأوسـاط العلميـة **بـلاد المغـرب**؛ وتسببـت في بـث روح

التواكل والكسل والإهمال في صفوف طلاب العلم. ونتيجة لذلك؛ اكتفى عدد كبير من طلبة العلم، ومن المنتسبين إلى صفوف العلماء ـ في أعمالهم ومؤلفاتهم ـ بكتب الأذكار والأوراد[1] والمواعظ.

واستمرت هذه الظاهرة قائمة طوال الفترة **العثمانية.** وقد عبر شارح **الأخضري** ومترجمه **عبد الكريم بن الفكون** ـ في بداية القرن الحادي عشر ـ عن استمرار ذلك الوضع المتردي للعلم والعلماء؛ حين قال في كتابه **"منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية"**: **((فلما رأيت الزمان بأهله تعثر، وسفائن النجاة من أمواج البدع تتكسر، وسحائب الجهل أظلت، وأسواق العلم قد كسدت، فصار الجاهل رئيساً، والعالم في مترلة يدعى من أجلها خسيساً... كل ذلك والقلب مني يتقطع؛ غيرة على حزب الله العلماء؛ أن ينسب جماعة الجهلة المعاندين الضالين المضلين لهم، أو يذكروا في معرضهم، وغيرة على جناب السادة الأولياء**

[1] الورد: تسمية مجازية لحزب من القرآن؛ أو بالأحرى: هو مقدار معلوم من قراءة القرآن يداوم الشخص على قراءته في أوقات معينة. ثم أصبحت هذه التسمية تطلق على قدر من الأدعية التي يدعو بها الصوفيون في أوقات محددة.وقد تبنوا كثيراً من الأوراد المأثورة، والمستمدة من شيوخ الصوفية المرموقين. وقد وصفها زكي مبارك بقوله: ((أن لتلك الأوراد ملامح أدبية وخلقية: فهي باب من الأدب؛ لأن مؤلفيها كانوا يتحرون دقة الأسلوب، وروعة الخيال، وهي من صميم الأخلاق؛ لأنها رياضة على التقرب إلى الله، والانقطاع إليه، والفناء فيما يريد)). التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ج: 2، ص: 66.

الصوفية؛ أن تكون أراذل العامة، وأنذال الحمقى المغرورين أن يتسموا بأسمائهم، أو يظن بهم اللحوق بآثارهم)).[1]

وفي هذا الزمان بالذات؛ المترنح ـ المعروف **بالعهد العثماني** ـ ظهر العلامة **عبد الرحمن الأخضري** للوجود؛ فحاول تغيير الاتجاه التقليدي آنئذ؛ حيث سلك نهجاً أكثر فعالية، وأخصب نتاجاً، وأوفر ثماراً. فأعاد للأذهان سنة أسلافه من العلماء الأفذاذ؛ **كعبد الرحمن بن خلدون، وابن مرزوق الحفيد، وقاسم العقباني، وسعيد العقباني، وأحمد بن يحيى الونشريسي، ومحمد ابن يوسف السنوسي، وعبد الرحمن الثعالبي، وأحمد الغبريني؛ وأحمد زروق الفاسي**..إلخ؛ فانكب على التدريس والتأليف، ووجه طلاب العلم الملتحقين بحلقته إلى تلقي العلوم النقلية والعقلية على السواء. فقد كان يعلمهم من العلوم: **الفلك، والمنطق، والحساب، والبلاغة، واللغة، والنحو؛** إلى جانب ما كان يقدمه لهم من علوم: **التوحيد، والفقه، والفرائض، والتصوف.**

[1] الأصالة، جانفي 1978، عدد: 53، ص: 29.

ـ الأخضري والصوفية:[1]

ومع هذا؛ يجب الاعتراف بأن **عبد الرحمن الأخضري** لم يأت من العدم؛ ولم يترعرع وينشأ في أرض عقيمة بالكل، ولم يكبر في تربة غير صالحة للحرث والإنبات بالتمام؛ بل هو سليل أسرة علمية صوفية؛ أنجبت علماء عديدين؛ منهم جده **محمد بن عامر**؛ الذي ألف **كتاباً في الفتاوي**، ثم أبوه **محمد الصَّغَيَّرْ**؛ الذي ألف **حاشية لكتاب سيدي خليل**،[2] كما ألف **كتاباً عالج فيه موضوع التصوف**؛ حيث انبرى لنقد المنحرفين والخارجين عن النهج السليم؛ من أصحاب البدع ممن سماهم بـ **((الدجاجلة))**. ويبدو أنه تأثر بأستاذه **أحمد الزروق الفاسي**.[3]

---

[1] الصوفية هم المنسوبون لأهل التصوف. ولم يتفق الباحثون على تعريف واحد لعلم التصوف؛ بل اختلفت آراؤهم في تحديد تعريف جامع له؛ إذ ثمة من يقول أن معنى التصوف يتعلق بعبارات هي: الصفا والصافي والصفوة والتصفية؛ وآخرون يرجعون هذا الاسم إلى أهل صُفّةِ مسجد رسول لله صلى الله عليه وسلم ؛ بينما يعتقد كثير منهم أن الاسم منسوب إلى الصوف؛ بسبب لبس أهل هذه الطريقة للصوف؛ زهداً منهم وابتعاداً عن اللباس الناعم الرفيع، وتقشفاً في حياتهم عن مباهج الدنيا ورفاهيتها.

[2] وهو من علماء المالكية في مصر؛ عرف بلقب ضياء الدين الجندي؛ لأنه كان يلبس لباس الجند؛ ألف "المختصر" في الفقه المالكي؛ وهو أهم كتبه، ثم "التوضيح"؛ وهو شرح لمختصر ابن الحاجب، وكتاب "المناسك"، و"مخدرات الفهوم فيما يتعلق بالتراجم والعلوم"، و"مناقب المنوفي". لا يعرف تاريخ ميلاده؛ كما اختلف الناس في سنة وفاته؛ فمن قائل أنها 776هـ/1374م، أو قائل أنها تكون في عام 767هـ/1365م، أو سنة 769هـ/1367م، أو 835هـ/1431م، أو كما قال صاحب الديباج المذهب: من أنه توفي بالطاعون سنة 749هـ/1348م.

[3] وردت ترجمة أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق في كتب عديدة؛ أهمها كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص ص: 45 ـ 50. وجاء فيه أنه ولد في سنة 846هـ وتوفي في سنة 899هـ. حفظ القرآن الكريم، وأخذ

إذن **فعبد الرحمن الأخضري** نشأ في وسط علمي متمسك بالشرع، حريص على نبذ البدع والأوهام التي تتعارض مع الكتاب والسنة؛ فأخذ العلم عن أبيه **محمد الصُّغَيَّر** وعن شقيقه الأكبر الشيخ **أحمد** في بلدهم **"بنطيوس"**؛ ثم التحق بحلقات علم أخرى؛ يشرف عليها علماء في بلاد **الزاب**؛ مثل الشيخ الصوفي الزاهد **عبد الرحمن بن لقرون** نزيل **لشانة**، والشيخ **أبو الطيب، وعبد الهادي الفطناسي ببسكرة**؛ ثم درس ــ بعد ذلك ــ في **قسنطينة** فأخذ العلم عن **عمر بن محمد الكماد الأنصاري القسنطيني** المعروف باسم **الوزان**[1]. وثمة بعض الأقوال التي لم تتأكد؛ ترى أنه درس أيضاً **بالزيتونة في تونس.**[1]

العلم عن كبار العلماء بالمغرب في عصره مثل: علي السطي، وعبد لله الفخار، وعبد الرحمن المجدولي وأبي عبد الله القوري، وعبد الرحمن الثعالبي، وإبراهيم التازي، وأحمد ابن سعيد بن الحباك، والرصاع، والحافظ التنسي، والإمام السنوسي، وابن زكري، وأبو مهدي عيسى المواسي. كما أخذ عن بعض علماء المشرق مثل: النور السنهوردي، والحافظ الدميري، والحافظ السخاوي، والقطب أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي، والولي شهاب الدين الأقشيطي. وأهم مؤلفاته تنحصر في العبادات والتصوف كـ: شرح مختصر خليل، وشرح الوغليسية، وشرح القرطبية، وشرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي، وشرح الأسماء الحسنى، وشرح المراصد في التصوف لأحمد بن عقبة، وكتاب القواعد في التصوف، وكتاب إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين، وكتاب النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، وكتاب النصح الأنفع والجنة للمعتصم من البدع بالسنة، وشرح العقيدة القدسية للغزالي، وغيرها من المؤلفات التي تربو عن 55 تأليفاً.

[1] وردت أهم ترجمة له في كتاب تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص ص: 387 ــ 392. وفيها أشار الدكتور سعد الله إلى أن الوزان يحتل مكانة مرموقة بين علماء قسنطينة في القرن العاشر من الهجرة. وقد كرس نفسه للتدريس والتأليف؛ ضارباً عرض الحائط الوظائف التي عرضت عليه. وتخرج على يديه كثير من العلماء؛ مثل: ابن الفكون الجد، وعبد الرحمن الأخضري، ويحيى بن عمر الزواوي، ويحيى بن سليمان الأوراسي. أما أهم

أما تلاميذه؛ فأتوه من جهات كثيرة؛ **كوادي ريغ، وقسنطينة ونواحيها، وتفلفال، وبلاد الزاب**، وغرها؛ وعرف منهم حتى الآن: الشيخ **أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن مسلم الفارسي**؛ وهو الذي شرح كتاب أستاذه **الأخضري ((السراج في علم الفلك))**.

وشرع **الأخضري** ــ منذ صباه ــ في تحقيق ميوله العلمية؛ إذ ظهرت عليه نزعة قوية دفعته نحو العلوم العقلية؛ التي تتطلب قوة العقل، وسلامة الذوق، وطول النفس، والقدرة على الصبر. وإلى جانب ذلك؛ كان يعتني ــ أيضاً ــ بعملية التربية والتعليم؛ حيث أوقف نفسه في سبيل نشرهما نظرياً وتطبيقياً؛ إذ كان يؤلف الكتب المدرسية؛ ممثلة في المواد المراد تعليمها. فوجد أن خير وسيلة لتقريب المواد التعليمية إلى أذهان تلاميذه، وتيسير حفظ الضروري منها؛ هو أن يَنْظُم المواد العلمية المرغوب فيها، أو يلخص بعض المتون الأخرى نثراً؛ مثل: المتن الخاص بالعبادات. ولم يقتصر **الأخضري** على تأليف المتون فحسب؛ بل

مؤلفاته فهي: "البضاعة المزجاة"، و"الرد على الشابية المرابط عَرَفه القيرواني"، و"فتاوي في الفقه والكلام"، "حاشية على شرح القصيدة الصغرى للسنوسي"، و "تعليق على قول خليل (وخصصت نية الحالف)". وجاء في الترجمة أنه توفي في سنة 965هـ/1557م، أو في 960هـ/1552م. أما السنة التي ولد فيها فغير معروفة.

[1] رسالة العقد الجوهري في التعريف بالشيخ عبد الرحمن الشهير بالأخضري؛ وتاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 507.

أنجز شروحاً لها بنفسه؛ لأنه كان يدرك صعوبة تلقي تلك العلوم مختصرة دون توسع أو شرح. ومع كل ذلك؛ فقد كان يقوم بتدريس مؤلفاته وشرحها بنفسه أمام طلبته في **ببنطيوس**؛ حيث يوجد ضريحه اليوم.

ويبدو أنه كان ينظم تلك المواد العلمية تلبية لرغبة طلابه الذين يلازمون حلاقاته العلمية؛ وقد ذكر هذا في بداية منظومة **"الجوهر المكنون"**؛ إذ قال أنه نظمها استجابة لرغبة بعض الطلاب؛ وفيها يقول:

وَقَدْ دَعَا بَعْضٌ مِنَ الطُّلاَّبِ
لِرَجَزٍ يَهْدِي إِلَى الصَّوَابِ
فَجِئْتُهُ بِرَجَزٍ مُفِيدِ
مُهَذَّبٍ مُنَقَّحٍ سَدِيدِ
مُلْتَقِطاً مِنْ دُرَرِ التَّلْخِيصِ
جَوَاهِراً بَدِيعَةَ التَّلْخِيصِ
سَلَكْتُ مَا أَبْدَى مِنَ التَّرْتِيبِ
وَمَا أَلَوْتُ الجُهْدَ فِي التَّهْذِيبِ
سَمَّيْتُهُ (بِالْجَوْهَرِ الْمَكْنُونِ)
فِي صَدَفِ الثَّلاَثَةِ الفُنُونِ

وكان يراعي ـ في تعليم طلبته ـ واقع الحال؛ حيث يوظف ما يَنْظِمُه لهم من مواد علمية؛ بحيث تتماشى مع الغرض الأساسي في التعليم. وبهذا يعتبر **الأخضري** من المعلمين **"البيداغوجيين"** في زمنه. وبما أن الهدف الأساسي المقصود في تعليم الطلبة عنده؛ هو: حفظ القرآن وتمكينهم من امتلاك العلوم الدينية، والتقيد بالمنهج الصوفي؛ بنشر السلوك الأخلاقي الإسلامي، وبث حب العبادة في نفوس الطلبة، وتدربهم على الالتزام بالذكر؛ فإنه كان يعرض عليهم ـ في منظوماته المختلفة ـ بعض الأمثلة من المحيط الذي يستهدفه؛ فهو ـ مثلاً ـ عندما نظم **"الجوهر المكنون"** في البلاغة؛ تعمد تقديم الأمثلة والشواهد من صميم المواد الدينية؛ بل الصوفية بالتحديد؛ فها هو ذا يقول؛ في **"باب الإسناد الخبري"**:

كَقَوْلِنَا لِعَالِمٍ ذِي غَفْلَةٍ:

"الذِّكْرُ مُفْتَاحٌ لِبَابِ الحَضْرَةِ"

وفي باب المسند إليه يقول:

كـ **"حَبَّذَا طَرِيقَةُ الصُّوفِيَّهْ**

تَهْدِي إِلَى الْمَرْتَبَةِ العَلِيَّهْ"

ويقـول في البـاب نفسـه أيضـاً:

وَفَصْلُـهُ يُفِيـدُ قَصْـرَ المُسْنَـدِ

عَلَيْهِ كَـ**"الصُّوفِيِّ وَهْوَ الْمُهْتَدِي"**

وفي بـاب المسنـد يقـول:

وَأَفْـرَدُوهُ لاِنْعِـدَامِ التَّقْوِيَـهْ

وَسَبَبٍ كَـ**"الزُّهْدُ رَأسُ التَّزْكِيَـهْ"**

ثـم يقـول في البـاب نفسـه:

وَجُمْلَـةٌ لِسَبَـبٍ أوْ تَقْوِيَـهْ

كَـ**"الذِّكْرُ يَهْدِي لِطَرِيقِ التَّصْفِيَهْ"**

ثـم يضيـف:

تَنْبِيـهٍ أوْ تَفَـاؤُلٍ تَشَـوُّفِ

كَـ**"فَازَ بِالحَضْـرَةِ ذُو تَصَـرُّفِ"**

وفي بـاب الإيجـاز والإطنـاب والمسـاواة يقـول:

كَـ**"عن مجالـس الفسوق بعـدا**

ولا تصاحـب فاسقـا فتـردى"

وفي بـــاب "الحقيقـــة والمجـــاز" يقـــول:

كِلاَهُمَـــا شَـــرْعِّي أوْ عُـــرفِيُّ

نَحْوُ "**ارْتَقَى لِلْحَضْرَةِ الصُّـــوفِي**"

ويقـــول في "فصـــل الاستعـــارة" أيضـــاً:

نَحْوُ "**ارْتَقَى إلَى سَمَاءِ القُـــدْسِ**

فَفَاقَ مَنْ خَلْـــفَ أرْضِ الْحِـــس"

ثـــم يقـــول في فصـــل "في الحقيقيـــه والعقليـــة":

كَـــ"**أشْرَقَتْ بَصَائِـــرُ الصُّوفِيَّـــهْ**

بِشَمْسِ نُورِ الحَضْـــرَةِ القُدْسِيَّـــة"

وهـــذه الأمثلـــة وغيرهـــا ـــ كلهـــا ـــ تـــدل عـــلى حســـن تصـــرف في اختيـــار الشواهـــد والأمثلـــة خـــلال عمليـــة التدريـــس؛ فبمـــا أن طلبـــة **الأخضـــري** مختصـــون أساســـاً في العلـــوم الدينيـــة. وبمـــا أن أستاذهـــم يعتبـــر مـــن أقطـــاب الصوفيـــة ومـــن أإمتهـــا الكبـــار؛ فـــإن أمثلـــة الأستـــاذ تكـــون فعالـــة ومفيـــدة عندمـــا يتـــم اختيارهـــا مـــن ذلـــك المحيـــط؛ وهـــذا هـــو مـــا حصـــل..

وقـــد اتضـــح مـــن خـــلال مـــا تـــم الإطـــلاع عليـــه مـــن منظومـــات **الأخضـــري:** في التصـــوف والسيـــرة، وفي

الفرائض والحساب، وفي البلاغة والمنطق وغيره؛ أن هذا العلامة متمكن في العلوم التي عالجها بواسطة النَّظْم؛ كما تبين أنه متفوق في نظم المطولات؛ إذ يتميز بقدرة كبيرة في هذا الفن؛ الذي يتطلب مكانة عظيمة في علوم اللغة والعروض وسليقة طلقة في ركوب أوزان البحور الشعرية. فمن قَصُرَ نظره في علم ما لا يمكنه النظم فيه أبداً؛ لأن النظم في علم من العلوم يتطلب استيعاباً شاملاً وفهماً كلياً ودقيقاً. لذا **فالأخضري** يتميز بالقدرة الفائقة، وبالنظرة الكلية الشاملة؛ التي تسمح له بالتنقل من فكرة إلى أخرى؛ لكي يساير الأوزان الشعرية ويراعي القياس اللغوي، ويواكب القواعد والمفاهيم التي يتظمنها العلم المراد نظمه.

وعلى الرغم من اعتكاف **الأخضري** وانشغاله بالدراسة والعبادة والتأمل في خلوته **ببنطيوس**، وفي بعض الجبال القريبة من قريته؛ إلاّ أنه لم يسعَ نحو تقمص دور الأولياء؛ المنقطعين كلياً عن الناس في خَلوات الذكر والخمول؛ ولم يدَّعِ يوماً أنه من المرابطين المنعوتين بالكرامات، أصحاب الخوارق والمعجزات،[1] ولم يزج بنفسه بين من يدعي

[1] يفرق المتكلمون بين الكرامات والمعجزات، ويشرح الباقلاني ذلك في كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات؛ حيث يرى أن

الدروشة المغالية في نشر الخرافات والبدع؛ من الذين يسبحون في الأوهام والميول السلبية؛ بل على الرغم من أنه صوفي التوجه، زاهد في الدنيا، ورع وصادق في تدينه؛ إلاّ أنه كان يتميز بعقل رياضي، منطقي، واقعي؛ وكان متمسكاً بالكتاب والسنة، لا يعطي بالاً للغيبيات السرابية، ولا يسمح بالغلو في الأوهام. وهذا ما أكده في منظومته المسماة **"بالقدسية"**؛[1] إذ يقول:

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الوَلِيَّ الرَّبَّانِي
لَتَابِعُ السُّنَّةِ وَالقُرْآنِ
وَالفَرْقُ بَيْنَ الإِفْكِ وَالصَّوَابِ
يُعْرَفُ بِالسُّنَّةِ وَالكِتَابِ
وَالشَّرْعُ مِيزَانُ الأُمُورِ كُلِّهَا
وَشَاهِدٌ لأَصْلِهَا وَفَرْعِهَا

المعجزات والكرامات تتساوى في أنها تتناقض مع العادات؛ بينما وجه الخلاف يكون في أن المعجزات يختص بها الأنبياء، وهم يعلنونها ويصرحون بها؛ متحدين خصومهم بها. بينما تسند الكرامات للأولياء؛ فلا يصرحون بها ولا يدعون فضلها، ويكتمونها عن الناس؛ خوفاً من الفتنة وتبدل الحال.

[1] تسميته لمنظومته "بالقدسية" تؤكد ميوله الصوفية؛ كما تظهر تأثره بالإمام الغزالي؛ الذي ألف "العقيدة القدسية"؛ وقد شرحها شيخ أبيه أحمد الزروق الفاسي؛ الذي صرح عبد الرحمن الأخضري بكل وضوح أنه يتبع نهجه؛ حين نصح القراء في منظومته "القدسية" بقوله:

وَمَنْ يُرِدْ مَعْرِفَةَ بِالبِدَعِ   وَمَا يُبْنَى عَلَيْهِ أَصْلُ المُدَّعِي
فَفِي كِتَابِ شَيْخِنَا الزَّرُوقِ   عَجَائِبٌ فَائِقَةُ الرُّوقِي

ومع هذا فقد نسب إليه بعض العامة خوارق وكرامات عجيبة؛ مثل انطواء الأرض بين **أكجال** (أين مات)، وبلدته **بنطيوس** (التي دفن فيها)؛ لكي يسهل على أهله ومحبيه دفنه بمسقط رأسه في اليوم الذي مات فيه، وحكاية سارق العنزة؛ الذي طلب منه القسم في ضريح **عبد الرحمن الأخضري**؛ فأقسم كذباً؛ فسمع صوت العنزة داخل أحشائه؛ فانكشف أمره. كما أن اشتهاره بين الناس كخصم للدجالين وأدعياء الخوارق والمعجزات؛ أسقط العامة في الخطأ نفسه الذي حذر منه **الأخضري**؛ إذ يزعم بعضهم أنه تصدى لأحد الأدعياء من المشعوذين؛ الذي كان يوهم الناس بأنه قادر على إطعامهم الرُّطَب في غير وقته؛ فأبطل **الأخضري** شعوذته؛ عندما حول ذلك الرطب إلى روث بهائم.

بالإضافة إلى ذلك؛ ثمة من يقول أن **عبد الرحمن الأخضري** يكون قد تلقى ورد الطريقة **الشاذلية والزروقية** من الشيخ **محمد بن علي الخروبي**؛[1]

---

[1] هو محمد بن علي الخروبي؛ أصله ــ في قول ــ من طرابلس الغرب ــ وفي قول آخر ــ من صفاقس؛ عاش في الجزائر وتوفي بها سنة 963هـ/ 1555م. ويقال أنه تربى في اسطنبول قبل مجيئه إلى الجزائر؛ وكان مقرباً من السلطات العثمانية. وهو من المتصوفة ذوي الاتجاه المشرقي؛ إذ تشبع بالفرق الصوفية المنتشرة في الدولة العثمانية؛ كالشاذلية والبكداشية والقادرية؛ وقد أهتم أكثر بالطريقة الشاذلية وعمل على نشرها والدعوة لها. ومن مؤلفاته بعض الأوراد والأذكار، وكتاب في التفسير، و"الأنس في التنبيه عن عيوب

وذلك عندما زار **بنطيوس**؛ وهو في طريقه لأداء فريضة الحج.[1] وحتى إن صح ذلك؛ **فالأخضري** لا ينأى بنفسه عن حلقات الذكر والدعاء في خلوته الخاصة؛ ما دامت في حدود الشرع. فهو يفرق جيداً بين فروض العبادة، وواجب التقوى؛ ضمن إطارها الشرعي المنسجم مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا لا يعني تبنيه ورضاه بكل ما يجري لدى أهل الصوفية ممن يقفز على حدود التقوى والاستقامة؛ إلى أوهام الكشف ورفع الحجاب؛ بالغلو في طقوس الغيب المبهمة؛ أو حلقات الذكر الجنونية. وعليه؛ فلا يستبعد تلقيه أوراد **الشاذلية والزروقية**؛ ما دامت في حدود الشرع. وقد أشار **الأخضري** بنفسه إلى ذلك مراراً في منظوماته **"كالقدسية"** وغيرها. من ذلك المنظومات التي اعترض فيها على حلقات الذكر التي تتم بالرقص والغناء؛ حيث يقول:

مِنْ شُرُوطِ الذِّكْرِ أنْ لاَ يَسْقُطَ
بَعْضُ حُرُوفِ الاسْمِ أوْ يُفْرَطَ

النفس". و"رسالة ذوي الإفلاس إلى خواص أهل فاس"، و"شرح صلاة ابن مشيش"، و"مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس"، "كفاية المريد وحلية العبيد" في التصوف.

[1] تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 508.

فِي الْبَعْضِ مِنَ مَنَاسِكِ الشَّرِيعَـهْ

عَمْـداً فَتِلْـكَ بِدْعَـةٌ شَنِيعَـهْ

وَالرَّقْصُ وَالصُّـرَاخُ وَالتَّصْفِيـقُ

عَمْـداً بِذِكْـرِ اللَّـهِ لاَ يَلِيـقُ

وَإِنَّمَـا الْمطْلُـوبُ فِي الأَذْكَـارِ

الذِّكْـرُ بِالْخُشُـوعِ وَالْوَقَـارِ

وفي قصيـدة أخـرى يقـول:

لاَ نُطْـقَ لِذِكْـرِ اللَّـهِ لَهُـمْ

إِلاَّ بِاللَّـهْـوِ وَبِالْهَـزَلِ

ثـم ينبـه النـاس إلى ضـرورة التحـري، وعـدم تصديـق كـل مـن هـب ودب؛ مـن المُدَّعيـن للعلـم، والمنتسبيـن زوراً للصوفيـة؛ ثـم يدعوهـم إلى قيـاس مـا يرونـه ويسمعونـه بمقيـاس الشـرع؛ فـإن توافـق معـه؛ فلا بـأس؛ وإن خالـف الشـرع؛ فهـو حتمـاً مـن البـدع الـتي تستوجـب الرفـض التـام. وفي هـذا يقـول في **"القدسيـة"**:

وَقَالَ بَعْـضُ السَّـادَةِ الصُّوفِيَّـهْ

مَقَالَـةً صَادِقَـةٍ جَلِيَّـهْ

إِذَا رَأَيْـتَ رَجُـلاً يَطِيـرُ

أَوْ فَـوْقَ مَاءِ البَحْـرِ قَدْ يَسِيـرُ

وَلَمْ يَقِفْ عِنْدَ حُدُودِ الشَّرْعِ
فَإِنَّهُ مُسْتَدْرِج وَبِدْعِي
فَارْفُضْهُ إِنَّمَا الفَتَى دَجَّالُ
لَيْسَ لَهُ التَّحْقِيقُ وَالكَمَالُ

ـ *النبي خالد بن سنان:*

والأمر الذي يبقى غامضاً، وغير مفهوم، وعار عن أي مسوغ أو تعليل؛ هو تأكيد بعض الباحثين والرحالة على أن **الأخضري** هو الذي كشف وجود قبر **النبي خالد بن سنان** في المدينة التي تحمل اسمه الآن. على أن أولئك الباحثين لم يذكروا الدليل الذي اعتمد عليه **الأخضري** في البرهنة على صحة انتقالِ **النبي خالد بن سنان العبسي** إلى **الجزائر**، ووفاتِه بها.

وكل ما قيل؛ أنه أظهر سر القبر بواسطة "**الكشف وعلم التربيع**".[1] وإذا تأملنا هذه العبارة؛ سنجد أن "**الكشف**" مصطلح صوفي؛ يَدَّعي أصحابه القدرة على كشف ما يخفيه الغيب. وقد تناول كثير من العلماء هذا الموضوع بين مؤيد ومكذب.

[1] قال الحسين الورثلاني: ((سيدي عبد الرحمن الأخضري نفعنا الله ببركاته، وأفاض علينا من بحر أنواره؛ رضي الله عنه؛ وأنا سمعنا أنه هو الذي أظهر قبره بعلم التربيع)). نزهة الأنظار، ص: 5.

وخصص **ابن خلدون** لموضوع التصوف كتاباً كاملاً سماه: **"شفاء السائل لتهذيب المسائل"**؛ كما خصص له حيزاً كبيراً في مقدمته ضمن: **"فصل في كشف الغطاء عن المتشابه من الكتاب والسنة، وما حدث لأجل ذلك من طوائف السنة والمبتدعة في الاعتقادات"**؛ حيث أوضح فيه الفرق بين المتصوفة المتمسكين بالسنة؛ وبين أهل الغلو منهم؛ أدعياء الكشف المطلق ومبدأ الحلول.[1]

أما ما يسمى **"بعلم التربيع"** فهو ليس علماً على وجه الحقيقة؛ وإنما هو فن غريب؛ يَدَّعي أصحابه معرفة الغيب بواسطته. ويدخل في عداد فنون التنجيم والكهانة؛ الشاملة: **لأحكام النجوم، وأسرار الحروف أي السيميا وخط الرمل** وغيره من الفنون التي لا تستند إلى برهان، ولا يسعى أصحابها إلى إيجاد دليل يستوعبه العقل؛ وإنما يزعمون أنهم يتعاملون مع **الوجدانيات والروحانيات**.[2] وقد وضع **ابن خلدون** في

---

[1] المقدمة، ج: 3، ص ص: **1184 ــ 1214**. ومما قاله في هذا الباب: ((ثم أن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف، وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك؛ فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة... وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب؛ ومعناه رأس العارفين؛ يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله؛ ثم يُورِّثُ مقامه لآخر من أهل العرفان)). ص ص: **1207 ــ 1208**.

[2] وقد شرح ابن خلدون هذه الفنون في عدة فصول من مقدمته؛ ثم قال: ((وحدث هذا العلم في الملة بعد صدر منها؛ وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيديهم، والتصرفات في عالم العناصر... فحدث لذلك علم أسرار الحروف؛ وهو من تفاريع علم السيميا... وتعددت فيه تآليف البوني وابن

مقدمته فصلاً مطولاً شرح فيه ما يعرف بعلم **أسرار الحروف وزايرجية استخراج أجوبة المسائل لأبي العباس أحمد السبتي.**[1]

المهم؛ أن هذه الفنون كلها؛ لم يثبت — حتى الآن — اهتمام **الأخضري** بها، أو انشغاله بالكتابة فيها، أو احتمال تحدثه بها في الحلقات التي يعلم فيها تلاميذه. بل صدر عنه ما ينفي ذلك. فها هو يقول في **منظمة السراج في الفلك:**

وبَعْدُ فاعْلَمْ أنَّ عِلْمَ الفَلَكِ
عِلْمٌ عَزِيزٌ مِنْ أجَلِّ مَسْلَكِ
وَمَا بِهِ تَطَرُّقٌ لِلْغَيْبِ
فَذَلِكَ الحَرَامُ دُونَ رَيْبِ

إذن؛ **فالأخضري** يحرم الاشتغال بأمور الغيب. ومن هنا؛ لا يصح لنا أن نتهمه بتعاطي فنوناً تبحث في كشف الغيب، وأسرار أخفاها الله لحكمة سنها.

العربي وغيرهما ممن اتبع آثارهما... ثم اختلفوا في سر التصرف الذي في الحروف بما هو؛ فمنه من جعله للمزاج الذي فيه، وقسم الحروف بقسمة الطبائع إلى أربعة أصناف كما للعناصر)). ج: 4، ص: **1271**.

[1] وهو من المتصوفة؛ عاش في أواخر القرن السادس من الهجرة بمراكش؛ وعاصر ملك الموحدين يعقوب ابن المنصور.

وكل الذي عرفناه ـ بخصوص هذا الموضوع ـ هو ما ذكره **الحسين بن محمد الورثلاني**؛ صاحب الرحلة المسماة **"نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"**؛ حين قال: **((وأنا سمعنا أنه هو الذي أظهر قبره بعلم التربيع)).**[1] والكلام هنا عن **الأخضري**؛ الذي زعم **الورثلاني** أنه اكتشف قبر **النبي خالد**؛ بواسطة **"علم التربيع"**. ولكنه لم يذكر ممن سمع هذا القول.. هل سمعه من علماء موثوق بهم.؟ أم من عامة الناس الذين تستهويهم الخرافات والأوهام..؟ علماً بأن **الورثلاني** نفسه يبدو ـ من خلال كتاباته ـ أنه ممن يعتقدون **بالوجدانيات والغيبيات**؛ ولا يعطي بالاً كبيراً **لأحكام المنطق، والعلوم العقلية.** وعليه؛ فالقول باستعمال **الكشف والتربيع** في معرفة قبر **النبي خالد بن سنان** مشكوك فيه، ولا يتفق مع الحركة العلمية **لعبد الرحمن الأخضري**، أو ما عرف عن منهجه العلمي؛ الذي يميل إلى أحكام المنطق، ويعتمد على البراهين الرياضية.

[1] نزهة الأنظار، ص: 5.

وكل ما في الأمر؛ أن أهم حجة استند إليها أصحاب الرأي في إظهار **الأخضري** لقبر **النبي خالد**؛ هي القصيدة الطويلة التي نسبت إليه؛ تلك القصيدة التي تحث الناس وتدعوهم لزيارة قبر **النبي خالد** في المدينة المعروفة باسمه؛ وهي:[1]

سِرْ يَا خَلِيلِي إِلَى رَسْمٍ شُغِفْتُ بِهِ
طُوبَى لِزَائِرِ ذَاكَ الرَّسْمِ وَالطَّلَلِ
جَلَّتْ شَوَاهِدُهُ عَزَّتْ دَوَائِرُهُ
مَا خَابَ زَائِرُهُ فِي الصُّبْحِ وَالأصَلِ
يلقَى الجَواهِر من يَغشَى مَناكِبه
يُعطي الكَرامة منْ يَأتيه ذا وَجَلِ
القلبُ مضَى بهذا الرّمْس مُعتكفٌ
والشيخ مِنّي خلال النَّاس لم يزل
فلسْتُ أملك من صَبرٍ ولا جَلَد
فاحْملْ سلامي لهذا الرّسم والطّلل
وقُلْ له قد ثَوَى عبدٌ بحُبِّكُم
هذي تحِيَّةٌ مَوْصوفة المَثَل
إنْ قلتَ أين أروم الرَّسْم والطَّلَلِ
أقولُ إليكَ بالأخْبار إنْ تَسَلِ

[1] تحتوي القصيدة التي بين يدي على 40 بيتاً؛ بينما ذكر الدكتور سعد الله أنه يملك نسخة منها ضمن مخطوط "العقد الجوهري" لأبي محمد أحمد بن داود؛ بـ 42 بيتاً.

هذا مقامٌ عليه النَّاسُ قــدْ غَفلــوا

إذا حَلَّ بين بلادِ السُّــوء فأمْتَثــل

هذا مقامٌ رفيعُ الشَّــأنِ قــد شَهــدتْ

به الدَّلائِلُ هذا الأمــرُ فيــه جَــلي

هذا مقــامٌ بلادُ الغَــرْبِ مَسْكَنُــه

شَرّ البقاعِ بهــا قــد حَــلّ في المِلَــلِ

هذا مقامٌ له خَطْــبٌ لــه عَجَــب

أخْفَتْهُ غُرْبَتُــه هذا المقــامُ عــلي

هذا مقامٌ بلادُ الغَــرْب حَــلَّ بهــا

وما لَهُ في بلادِ الغَــرْبِ مِنْ مَثَــلِ

هَذا نَبِيٌ كَــريمٌ في الأنــامِ ثَــوَى

بين البَوادي أشَرَّ النّاس في النِّحَــلِ

يا رُبَّ غُصْنٍ بَديعِ الحُسْنِ مُنْتَهــج

مُزَخْرفٍ ببقاعِ السُّــوءِ مُكْتَمِــلِ

إنَّ النُّبُوَّةَ قَدْ لاحَــتْ شَوَاهِدُهَــا

كَيفَ المَحَالَةُ وَالأنْــوَارُ لَمْ تَــزَلِ

فِي خَالِدِ بْنِ سِنــانِ البَدْرِ سَيِّدِنَــا

أخُصُّــهُ بِسَــلاَمٍ رَائِــقٍ حَفِــلِ

لِلّهِ مَا حَازَ مِنْ عِــزٍّ وَمِنْ شَــرَفٍ

نَالَ الرِّسَالَةَ يَا نَاهِيــكَ بِالرُّسُــلِ

أنْوَارُهُ سَطَعَتْ فَوْقَ الرُّبى وَبَــدَتْ

عَلَى الفَيَافِي وَفَوْقَ السَّهْلِ وَالجَبَلِ

فاحْللْ بساحَتِه تُبْصِـــرْ عَجائِبَــه

وكنْ أخــا أدَب إنّ المقــام عَــلي

أكــرِمْ بِزائِــرِه تَحْــظَ بِحُرْمَتــه

ما حــل جرمه من قُلّــد بالرُّســل[1]

حاشــا الإله يرد المستغيــث بــه

خَــصّ النَّبئيــن بالإكرام والجَلــل

حــاش النُّبُــوّة أيَخِيــبُ زائِرُهــا

إنَّ النُّبُــوَّة بابُ الجــود والفضــل

إنّ النَّبيِّينَ ربُّ العَــرْشِ فَضَّلَهُــم

فهمْ مُلوك الــوَرَى يومَ المعاد قُــلِ

إنّ النَّبيئينَ يومَ الفَصْلِ قد جَلســوا

على منابر فوقَ البســط والحلــل

إنّ النُّبــوءَةَ لا تَخْــفَى عَجائِبهــا

أمرُها كَضِيــاءِ الشَّمْسِ في المَثَــل

هذا المقامُ لدا المَــوْلَى لــه عِظَــمٌ

فيه النُّبــوَّءة ذات القُدسِ والنِّحَــل

وإنّمــا ضاعَــهُ قَــوْمٌ بــه ثبتــوا

والقربُ يحتقر الإجــلال بالمهــل

أبا البقاء لقدْ جَلَّــتْ مَحاسِنُهُــم

والعبدُ يَخْشَى حِيــال الوِزْرِ من ثِقَــلِ

---

[1] هكــذا نســخ بشكــل غيــر الشطــر غيــر موزون ولا مفهــوم.

وكيف يَخْشَى لظًى من يستغيث بكـــم

إذا كم أنال إله العـــرش بالرّســـل

يا سيدي إن هذا العبــد معتصـــم

بحبلكمْ وإنَّني أشْكو مـــن الزّلـــل

عسَى عبيدكـــم يحْـــظَى بقربكـــمُ

ويهتـــدي لطريـــق الخيـــر والسُّبُـــل

وأنْتَ يا سَيّدي من جاءَ زائِركُـــمْ

يَنْجـــو من الهَمِّ والأهْـــوالِ والوَجَـــلِ

إن النَّبيئيـــنَ عنـــد اللَّـــهِ فـــي عِظَـــمٍ

مَنِ اسْتَغاثَ بِهِمْ يَنْجو مِنَ الوَحَـــلِ

وها أنا ذا كثيـــر الـــوِزْرِ مُسْتَنِـــدٌ

لِجاهِكُمْ فعَسَى مَـــوْلايَ يَغْفِـــرُ لِي

علَيكمْ صلواتُ اللَّـــــه يَتْبَعُـــهـــا

أزْكَى تَحِيَّته في الصُّبْحِ والأصَـــلِ

لا سيما خَيْر من جَلتْ مَحاسِنـــه

محمـــدٌ سيـــد الأمِـــلاك والرُّســـل

صلَّى عليهِ إلَهُ العَرش ما طَلَعَـــتْ

شَمْسٌ وما غَرُبَتْ ثُمَّ السَّلام يَـــلي

والآلِ والصُّحْبِ والصِّدِّيـــقِ ثم أب

حَفْصٍ ومُحْيِ الدجا[1] ثُمَّ الإمـــامِ عَلي

---

[1] هكـذا.

ما غَرَّدَ الطَّيْرُ في أفْنانِهِ أسَفاً
وما أقامَ بكاء الصَّبِّ في الطَّلَلِ
وما أقام بكاء الوجْد مُضْطَربا
والحمدُ لله طولَ الدَّهر والدُّوَلِ

وهذه القصيدة صيغت في خمس وأربعين بيتاً؛ تمجد وتعظم **النبي خالد بن سنان**؛ وتبرز فضل زيارة قبر هذا النبي الذي ضيعه أهله؛ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ثم أهمله **أهل المغرب**؛ الذين يحتقرون العلماء؛ حسب ما نسب **للأخضري**. والقصيدة ــ حتى وإن صحت **نسبتها للأخضري** ــ فلا تكفي أن تكون دليلاً يثبت وجود قبر هذا **النبي** في المدينة التي تحمل اسمه الآن؛ لأن المصادر التاريخية تذكر: أن **النبي خالد بن سنان بن غيث العبسي** دفن في **شبه الجزيرة العربية**؛ بين قومه **بني عبس**؛ ضمن أحقاف رملية. بل ثمة رواية ــ نقلاً عن **ابن عباس** رضي الله عنه ــ تفيد بأن ابنة **النبي خالد بن سنان** أتت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ وهي عجوز ــ وأسلمت

علـى يديـه.[1] فكيـف ـ إذن ـ انتقـل قبـر هـذا النـبي إلى **الجزائـر..؟!**

والغريـب؛ أن **الورثـلاني** يقـول أن **النـبي خالـد بـن سنـان** بعـث إلى قـوم **في "جبـل الـرس"**؛ معتقـداً أنـه **"جبـل أوراس"**؛ تبعـاً لمـا استنجـه **الخفـاجي**[2] في رسالـة **"الشفـاء"**.[3] بينمـا تؤكـد مصـادر كثيـرة أن **"الـرس"** اسـم أطلـق عـلى عـدد مـن الأماكـن في **شبـه جزيـرة العـرب**؛ منهـا مـا جـاء في القـرآن الكريـم عـن أصحـاب الـرّس: **((وَعَـاداً وَثَمُـوداً وَأَصْحَـابَ الـرَّسِّ وَقُرُونـاً بَيْـنَ ذَلِـكَ كَثِيـراً))**.[4] ثـم **((كَذَّبَـتْ قَبْلَهُـمْ قَـوْمُ نُـوحٍ وَأَصْحَـابُ الـرَّسِّ وَثَمُـودُ))**.[5] و**"الـرّس"** كمـا جـاء في التفاسيـر: كـل مـا حفـر مثـل البئـر والقبـر. والآيـة تقـول أن قومـاً كانـوا يقيمـون عنـد بئـر تعـرف **"بالـرّس"**؛ دمرهـم اللـه.

وبالإضافـة إلى ذلـك فقـد ورد في بعـض المصـادر أن **"الـرّس"** أحـد أوديـة نجـد؛ وفي هـذا يقـول **بـدر ابـن مالـك بـن زهيـر ـ سيـد بـني عبـس ـ** يـرثي أبـاه؛ الـذي قتلـه أولاد **بـدر الفـزاري**؛ في ثـأر لهـم ـ **وبنـو**

---

[1] مـروج الذهـب، ج: 1، ص: 67. ج:2، ص: 226. والبـدء والتاريـخ، ج: 3، ص ص: 134 ـ 135.

[2] وهـو شهـاب الديـن أحمـد بـن محمـد الخفـاجي المصـري (1069هـ/1658م)؛ صاحـب رسالـة شفـاء العليـل فيمـا في كـلام العـرب مـن الدخيـل.

[3] نزهـة الأنظـار، ص ص: 5. 87 ـ 88.

[4] سـورة الفرقـان، آيـة: 38.

[5] سـورة ق، آيـة: 12.

عبس كما ترى؛ هم قوم **النبي خالد ابن سنان** ــ فقال:[1]

أَحَلَّ بِهِ أَمْسِ جُنَيْدِبُ نَذْرِهِ
فَأَيُّ قَتِيلٍ كَانَ فِي غَطَفَانِ
إِذَا سَجَعَتْ بِالرَّقْمَتَيْنِ حَمَامَةٌ
أَوِ **الرَّسِّ،** تَبْكِي فَارِسَ الْكَتَفَانِ

ويقول زهير بن أبي سلمى في معلقته أيضاً:[2]

بَكَرْنَ بُكُوراً وَاسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ
فَهُنَّ وَوَادِي **الرَّسِّ** كَالْيَدِ فِي الْفَمِ

إذن؛ فالمكان المسمى **"بالرَّس"** يوجد في **شبه الجزيرة العربية**؛ ــ سواء أكان بئراً أم وادياً أم جبلاً ــ ولا علاقة له بجبل **"الأوراس"**. ومن المضحك أن نتخيل ذلك بدون دليل. ولا يوجد ما يسوغ رأي **الورثلاني** وغيره في هذا الباب. أما القبر المنسوب **للنبي خالد بن سنان**؛ فإنه إذا كان قد عُرِف ونسب ــ منذ زمن بعيد ــ لرجل يسمى **خالد**، وتواترت الأخبار بذلك؛ فلا يعني هذا أن **خالداً** صاحب القبر ــ هو بالضرورة ــ **النبي خالد بن**

---

[1] معجم البلدان، ج: 1، ص: 205. كلمة الإصاد.

[2] شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى، ص: 10.

سنان؛ إذ قد يكون صاحب ذلك القبر **خالداً** آخر.. وربما كان هو **خالد بن يزيد العبسي**[1] الذي تبنته **الكاهنة**، وآخت بينه وبين ابنيها. **فخالد** هذا كان متواجداً في منطقة **الأوراس وبسكرة**؛ فما الذي يمنع أن يكون قد استشهد حيث يتواجد القبر المذكور الآن..؟

ـ وفاة الأخضري:

وجملة القول؛ فقد انتهت حياة **عبد الرحمن الأخضري** بينما كان يقضي فصل الصيف ـ كعادة أهل الصحراء في التّل ـ إذ توفي رحمه الله في سنة 953هـ/1546م؛ **بكجال** بجهات **سطيف**. فنقل جثمانه إلى مسقط رأسه **بنطيوس**؛ أين يتواجد الآن ضريحه؛ الذي بقي طوال السنين التالية لوفاته مزاراً للعلماء والرحالة من **بلاد المغرب** كافة.

وقد زعم بعضهم أن **الأخضري** لم يتزوج، ولم يخلف أولاداً. وهذا ما اعتقدته ـ بدوري في البداية ـ كما قال به الدكتور **سعد الله**[2]؛ ولكن تبين لي ـ

---

[1] سماه بعضهم خالد بن يزيد القيسي، وبعضهم الآخر يزيد بن خالد العبسي أو القيسي. فإن صحت تسميته بخالد بن يزيد العبسي؛ ألا يبعث هذا إلى الرغبة في المقارنة بينه وبين خالد المدفون في المدينة المسماة بسيدي خالد في ولاية بسكرة. راجع أخبار خالد ابن يزيد العبسي في: رياض النفوس للمالكي، ج: 1، ص: 54.

[2] تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 508.

فيما بعد ــ بالدليل؛ أنه تزوج؛ وله خَلَفٌ ــ من صلبه ــ بقيت سلسلتهم إلى الآن. وتجلى لي ذلك من خلال وثيقة مستخرجة من المحكمة الشرعية **بطولقة**؛ كتبت بتاريخ 21 فبراير 1915م الموافق ليوم من محرم الحرام سنة 1334هـ. تفصل هذه الوثيقة الشرعية في مياه السقي لفائدة أبناء **الأخضري**؛ فجاء ما نصه: ((**الولي الصالح سيدي عبد الرحمن بن صغير...... واتفقوا واصطلحوا على هذا......** [فلان بن فلان، وفلان بن فلان]..... **وأولاد سيدي عبد الرحمن بن صغير**))[1].

كما ذكر المستشرق الفرنسي **لوسياني** Luciani. J.D.؛ (1851 – 1932)؛ في كتاب السلم المرونق في المنطق ــ الذي قام بترجمته إلى الفرنسية بعنوان LE SOULLAM; TRAITÉ DE LOGIQUE ــ قال فيه: أن ثمة وثائق صادرة عن **الباي التركي بقسنطينة**. وإحدى تلك الوثائق مؤرخة في محرم سنة 1060هجرية [1650م]؛ تقضي بالتقدير والتبجيل والاحترام لثلاثة من أحفاد **عبد الرحمن الأخضري**؛ هم الإخوة: **رحمون، وعبد المالك، ومحمد**؛ أبناء **عامر بن علي بوستة ابن المقدس سيدي عبد الرحمن الأخضري**. وقد اطلع **لوسياني**

---

[1] رقم هذه الوثيقة المستخرجة من محكمة طولقة هو: 1915/124.

Luciani. J.D.؛ على عدد من تلك الوثائق الصادرة عن الإدارة **التركية بقسنطينة** بخصوص أحفاد **الأخضري** وزاويتهم؛ تحمل التواريخ التالية: 1078 ـ 1103 ـ 1132 ـ 1147 ـ 1149 ـ 1246؛ وهذه الأخيرة تحمل توقيع **باي قسنطينة الحاج أحمد باي.** إذن؛ **فلعبد الرحمن الأخضري** أحفاد؛ وقبل الأحفاد؛ ابن اسمه **علي بوستة.** من هنا يتبين بأن للأخضري ابن اسمه **علي بوستة.**

أما اعتقاد بعضهم بعدم زواجه؛ نظراً لكونه مات في العقد الثالث من عمره؛ فهذا ليس بدليل قاطع؛ خاصة إذا علم أن الشباب في الزمن الذي عاش فيه **الأخضري**؛ كانوا يتزوجون صغاراً؛ وبالخصوص أبناء العائلات المتمسكة بالتعاليم الدينية. والحريصة على تقاليد السلف.

*****

مؤلفات الأخضري

ذاك ما أمكن ذكره بخصوص حياة **عبد الرحمن الأخضري**. وبقي الآن؛ الحديث عن بعض مؤلفاته؛ التي تيسرت وتم الإطلاع عليها. إذ أن معظم كتبه غير متوفرة الآن؛ إما لكونها مفقودة، وإما أن تكون في حوزة من تعذر الاتصال بهم. ومجمل القول؛ فإن مؤلفات **الأخضري** قد يصل عددها حوالي عشرين تأليفاً؛ بل ثمة من يرى أنه أنجز زهاء الثلاثين عملاً؛ منها ما هو معروف، وما هو مفقود.

ومنهجه في التأليف يغلب عليه الطابع المدرسي؛ بسبب اهتمامه بالتربية والتعليم. حيث كان يعمل على ترويض ذاكرة المتعلمين؛ إذ ينجز لهم أولاً المتن الخاص بالمادة المراد تعليمها — بغرض تلخيص الموضوع؛ ضمن قواعد محددة؛ لكي لا يجهد ذاكرة المتلقي — ثم يسعى — بعد ذلك — إلى إعداد الشرح اللازم؛ لتوضيح ما يقصده في المتن.

لذلك نجد أن **الأخضري** عمل على إنجاز شروح وافية لمعظم منظوماته في شتى العلوم. وهذه الطريقة التعليمية ـ حتى وإن كانت تقليدية ـ فقد أفادت عدداً كبيراً من طلبة العلم. ولولاها لتفاقم أمر الجهل بين الناس؛ في زمن كانت الدولة فيه لا تهتم بتعليم أبنائها. وعلى هذا؛ أصبحت معظم كتب **الأخضري** تدرس في أهم المعاهد **بالمغرب والمشرق: كالأزهر والزيتونة والقرويين**؛ بالإضافة إلى المدارس والزوايا **بتلمسان والجزائر وبجاية وقسنطينة وبسكرة** وغيرها من البلدان الإسلامية في **آسيا...**

وبعد استكمال الحديث حول حياة **الأخضري**، ومستوى تفاعله مع عصره، ومدى قيمة أفكاره وأعماله؛ التي انحصرت في عملية التربية والتعليم، وفي تأليف الرسائل والكتب نظماً ونثراً، إلى جانب القيام الواجبات الدينية؛ التي كان حريصاً على أدائها؛ في إطارها الشرعي؛ الملتزم بالكتاب والسنة؛ عندها؛ نصل الآن إلى موضوع مؤلفاته العديدة؛ على أننا سنلمح ـ بإيجاز ـ لبعضها؛ بينما نتوسع ـ بعض الشيء ـ في الكلام عما توفر منها لدينا؛ ولكن في حدود يسمح بها مجال هذه الدراسة. وعلى هذا فأهم كتب **الأخضري** هي:

أولاً ـــ رسالـــة في علـــم الحســـاب:

نظمهـــا في مائـــة وسبـــع عشـــرة بيتـــاً. ولم تكـــن مـــــادة الحســـاب ـــ عـــلى مـــا يبـــدو ـــ هي الغايـــة الـــــتي يرغـــــب فيهـــا **الأخضـــري**؛ حيـــن وضـــع هـــذه الرسالـــة؛ بـــل كـــــان الحســـاب وسيلـــة لفهـــم وتطبيـــق مـــادة **"الفرائـــض"** و**"قسمـــة التركـــات"**. لـــذا فقـــد خصـــص القســـم الأول مـــن كتابـــه **"الـــدرة البيضـــاء"** لتعليـــم الحســـاب. وقـــد صـــاغ **"رسالـــة الحســـاب"** بأسلـــوب بسيـــط وواضـــح؛ وضـــع فيهـــا القواعـــد الأوليـــة الهامـــة للحســـاب. وحظيـــت هـــذه المنظومـــة باهتمـــام المشرفيـــن عـــلى المعاهـــد التعليميـــة في **المغـــــرب والمشـــــرق**. وطبعـــت عـــدة طبعـــات؛ منهـــا طبعـــة **القاهـــرة** سنـــة 1369 هـــ/ 1949م؛ ضمـــن **"مجمـــوع مهمـــات المتـــون"**. ولَـــدَى كاتـــب هـــذه السطـــور نسخـــة منهـــا. سيتـــم شـــرح بعـــض فصولهـــا؛ بغـــرض توضيـــح طـــــرق تدريـــــس الحســـــاب في عصـــر **الأخضـــري**. وهـــذه المنظومـــة تبـــدأ بـــ:

ـ ***الباب الأول:*** الذي يشرح فيه **الأخضري** ماهية **"حروف الغبارى".**[1] ثم يحدد مراتب الأعداد في أربع مراتب؛ هي: **الآحاد والعشرات والمئات والآلاف.** وبعدها تتبدل الأعداد؛ حيث تصبح الآلاف كالآحاد. وفي ذلك يقول:

حُرُوفُهُ مَعْلُومَةٌ مَشْهُورَهْ
مِنْ وَاحِدٍ لِتسْعَةٍ مَذْكُورَهْ
وَجَعَلُوا صِفْراً عَلاَمَةَ الخَلاَ
وَهْوَ مُدَوَّرٌ كَحَلْقَةٍ جَلاَ

ومن خلال البيت الثاني؛ الذي يصف فيه الناظم الصفر على أنه **"مدور كحلقة"**؛ يتبين لنا أن الأرقام المتبعة في **الجزائر** ـ أيام **الأخضري** ـ هي **"الأرقام العربية"** المعمول بها الآن؛ وليست **"الأرقام الهندية"** المعتمدة في **المشرق العربي**؛ التي يكون الصفر فيها عبارة عن نقطة.

[1] **حروف الغبارى أو الحروف الغبارية: هي الأعداد من واحد إلى تسعة؛ حسب الطريقة المتبعة في بلدان المغرب. وهي المعروفة بالأعداد العربية.**

وبعد الحديث عن **حروف الغبارى**؛ ينتقل **الأخضري** مباشرة ــ مبدياً قدرة كبيرة على النظم ــ إلى وصف عملية الجمع بالشكل المبسط نفسه؛ فيقول في:

ــ ***الباب الثاني***: المخصص للجمع:

وَالجَمْــعُ ضَــمُّ عَــدَدٍ لِعَــدَدِ
لِــكَيْ تَعُــدَّهُ بِلَفْــظٍ مُفْــرَدِ
فَتُجْمَــعُ الآحَــادُ لِلآحَــادِ
وَهَكَــذَا البَــاقِي عَلَى التَّمَــادِي

وعملية الجمع ــ كما يقول **الأخضري** هنا ــ هي عبارة عن ضم عدد معين لعدد آخر؛ بحيث يُنْطَقُ ــ بعد ذلك ــ بصيغة المفرد؛ كأن تقول: **إثنان** زائد **ثلاثة** يساوي **خمسة**؛ فتأتي النتيجة مفردة أي **خمسة**؛ بعد أن قدمت في البداية في شكل عددين هما: **إثنان وثلاثة**. ثم يسترسل ــ بعدئذ ــ في وصف الكيفية التي تمت بها عملية الجمع؛ وذلك بإضافة كل رتبة إلى مثيلتها: (الآحاد للآحاد والعشرات للعشرات والمئات للمئات والآلاف للآلاف)؛ بحيث توضع نتيجة كل رتبة ــ إن كانت دون التسعة ــ تحت أختها؛ وما كان فوق التسعة يضاف للرتبة الموالية؛ كأن يضاف

الفائض عن الآحاد إلى العشرات، والفائض عن العشرات يضاف إلى المئات؛ وهكذا حتى تنتهي المراتب المقصودة بالجمع. ويلخص **الأخضري** هذا بقوله:

ضِفْ كُلَّ رُتْبَةٍ إِلَى الْمَوْضُوعِ
مِنْ تَحْتِهَا وَانْظُرْ إِلَى الْمَجْمُوعِ
فَإِنْ يَكُنْ تِسْعاً فَأَدْنَى فَلْتَضَعْ
جُمْلَتَهُ فَوْقَ الَّذِي مِنْهُ اجْتَمَعْ
وَمَا يَكُونُ زَائِداً عَلَيْهَا
فَانْزِلْ بِهِ تَحْتَ الَّذِي تَلِيهَا
وَاجْمَعْهَا مَعْ أَعْدَادِهَا بِالضَّبْطِ
فَخَارِجٌ مَا كَانَ فَوْقَ الخَطِّ

هذا في الأعداد من: واحد إلى تسعة؛ أما في حال جمع عدد منها إلى صفر؛ فالنتيجة لا تتغير عن قيمة العدد المذكور، أما إذا جُمِع صفران إلى بعضهما؛ فالنتيجة تكون صفراً من الصفرين. وهكذا دواليك في كل الحالات.

وَإِنْ جَمَعْتَ عَدَداً لِصِفْرِ
فَاطْلَعْ إذاً بِعَدَدٍ لِتَدْرِي

فَإِنْ جَمَعْتَ هَاهُنَا صِفْرَيْنِ
فَاطْلَعْ بِوَاحِدٍ مِنَ الإِثْنَيْنِ
وَإِنْ تَكَرَّرَ الَّذِي قَدْ نَزَلاَ
بِهِ لِكَوْنِ الْجَمْعِ قَدْ تَسَلْسَلاَ
فَاجْمَعْهُ مَعْ أَعْدَادِ مَا بِهِ عَرَى
مِنْ دُونِ تَغْيِيرٍ لَهُ كَذَا جَرَى

ويتبين لنا من خلال ما أنجزه **الأخضري** في هذه المنظومة وغيرها من المتون؛ أنه يضع قواعد جاهزة للحفظ؛ قصد استيعاب العلم المراد تعليمه؛ وهذا لا يتناقض مع الطرق **البيداغوجية** المعمول بها حديثاً؛ إذ يخصص في الكتب المدرسية الحالية فقرة أو فقرات لكل درس؛ يطلب من التلاميذ حفظها؛ وتسمى هذه الفقرة **"بالقاعدة"**. وهذا ما كان يرمي إليه **الأخضري** من إعداد المتن؛ خاصة المنظوم منه؛ الذي يسهل حفظه؛ خلافاً للفقرات المنثورة المعتمدة حالياً. على أنه كان يسعى ــ فيما بعد ــ لإعداد شروح وتفاسير لتلك القواعد المسماة بالمتون؛ حتى يتمكن الطلبة من التوسع وهضم الدروس وفهمها من جميع جوانبها.

وكما هو الحال بالنسبة لموضوع الجمع فقد خصص أيضاً للطرح باباً في منظومته.

ـ *الباب الثالث:* وبدأه بـ:

الطَّرْحُ إسْقَاطُ قَلِيلٍ مِنْ كَثِيرْ
وَهْوَ عَلَى سِتَّةِ أقْسَامٍ يَصِيرْ
فَإنْ طَرَحْتَ القَدْرَ مِنِ كَثِيرِ
فَالطَّرْحُ فِيهِ وَاضِحُ التَّقْدِيرِ

إذن؛ فالطرح عبارة عن إسقاط العدد القليل من العدد الكثير. ويتم ذلك بإتباع ست طرق:

ـ **الطريقة الأولى:** هي العادية، البسيطة؛ التي يتم فيها طرح القدر القليل من القدر الكثير؛ مثل:

$$\begin{array}{r} 444 \\ \underline{-\ 222} \\ =222 \end{array}$$

ـ **أما الطريقة الثانية والثالثة:** فتتطلب استعارة عدد من الرتبة الموالية ليضاف إلى المرتبة الناقصة؛ يقول فيها:

وَالْحَمْلُ فِي قِسْمَيْنِ إنْ صِفْرٌ عَــلاَ
أوْ كَانَ الأعْــلَى أدْنَ مِمَّا سَفَــلاَ
فَاحْمِــلْ عَلَيْهِمَا بِعَشْــرٍ وَافِيَــهْ
وَاطْرَح وَأَدْخِلْ وَاحِداً فِي الثَّانِيَــهْ

مثـال هـذا يكـون عـلى شكليـن: إمـا أن يكـون القـدر الـذي يطـرح منـه صفـراً بينمـا القـدر المطـروح مـن واحـد إلى تسعـة، أو يكـون القـدر المطـروح منـه مـن واحـد إلى تسعـة ولكنـه أكثـر مـن المطـروح منـه؛ عندئـذ تستوجـب العمليـة الحمـل إلى المرتبـة المواليـة؛ فنحمـل عشـر، ثـم نطـرح ذلـك العـدد المجـاور بعـد أن ندخـل الواحـد في الأولى. ويتـم ذلـك كمـا يـلي:

440
- 222
= 2 1 8

وهنـا لا يصـح القـول: 2 مـن صفـر؛ بـل نستعيـر 1 مـن العـدد 4 المجـاور، ونضيفـه للصفـر؛ فيصبـح العـدد المطلـوب 10؛ بينمـا ينقـص مـن العـدد 4 واحـد؛ فيضـحى 3 . إذن نطـرح 2 ــ 10 = 8 . ثـم ننتقـل إلى مرتبـة العشـرات؛ فنطـرح 2 مـن 3؛ بعـد أن أصبحـت هكـذا؛ بسبـب الواحـد الـذي استعيـر منهـا؛ فتكـون

النتيجة = 1. ثم نطرح ـ في النهاية ـ مرتبة المئات: 4 ـ 2 = 2. فتغدو النتيجة النهائية: 218.

ـ أما الطريقة الرابعة والخامسة والسادسة: فيقول فيها:

وَالصِّفْرُ كَافٍ إنْ طَرَحْتَ العَدَدَا
مِنْ مِثْلِهِ كَالصِّفْرِ مِنْ صِفْرٍ بَدَا
وَإنْ يَكُ الصِّفْرُ الَّذِي مِنْ أسْفَلاَ
فَاقْنَعْ إذاً بِعَدَدٍ قَدِ اعْتَلَى
وَكُلُّ مَا ذَكَرْتُ مِنْ أقْسَامِ
فِيمَا عَدَا الآخِرِ ذِي الإتْمَامِ
لأَنَّهُ حَتْماً يَكُونُ أكْثَرَا
مِنَ الَّذِي مِنْ تَحْتِهِ قَدْ شُهِرَا

وبيانها أن تكون في حال طرح صفر 0 من 0 مثله؛ فتكون النتيجة 0 . أو طرح 0 من أعداد تتراوح من: 1 إلى 9 ؛ فالنتيجة تكون حسب مقدار العدد المطروح منه. مثل: 6 ـ 0 = 6. والأخرى تتم عند طرح أي عدد من 1 إلى 9 من صفر. وهنا يتعذر الطرح.

وقد اشتملت هذه المنظومة أيضاً على باب خاص بعملية الضرب.

ـ ***الباب الرابع:*** استهله الناظم بـ:

إعْلَمْ بِأنَّ الضَّرْبَ تَضْعِيفُ العَدَدْ
بِقَدْرِ مَا فِي آخَرٍ منَ العَدَدْ
فَاجْعَلْهُمَا سَطْرَيْنِ كُلٌّ مَرْتَبَهْ
مَقْرُونَةٌ بِأخْتِهَا مُرَتَّبَهْ
فَكُلُّ رُتْبَةٍ لأعْلَى تُنْسَبُ
فِي رُتْبَةِ الآخَرِ طُرًّا تُضْرَبُ

الضرب يختلف عن الجمع والطرح؛ في أنه تضعيف للعدد بقدر العدد المضروب فيه. وإذا كان الضرب يتفق معهما في ترتيب المراتب؛ بحيث توضع الآحاد تحت الآحاد والعشرات تحت العشرات وغيره؛ فإنه لا يكتفي مثلهما بضرب مرتبة الآحاد مع الآحاد مثلاً؛ بل يمكن لعدد في مرتبة الآحاد أن يُضْرب بعدد آخر في مرتبة العشرات وهكذا دواليك.

وإذا تمت عملية الترتيب؛ تبدأ عملية الضرب بـ:

وَاحْسِبْ مِنَ المَضْرُوبِ لِلْمَضْرُوبِ فِيهْ
وَالتَّرْكُ لاَ مِنْ وَاحِدٍ تَكُـنْ نَبِيـهْ
وَلْتَجْعَـلِ الخَارِجَ فَوْقَ الأَسْطُـرِ
بِقَـدْرِ ذَلِـكَ الْحِسَـابِ الأَشْهَـرِ
وَيُجْمَـعُ الخَـارِجُ ثُـمَّ يُجْعَـلُ
مِـنْ فَوْقِـهِ وَبَعْـدَ ذَاكَ يُفْعَـلُ

والعملية تتم بضرب المضروب في المضروب فيه ضمن خانة الآحاد على حد سواء؛ ثم تضرب الآحاد بالعشرات وبعدها المئات إلخ.. وبعد انتهاء ضرب خانة الآحاد بالخانات الأخرى تنتقل العملية نفسها انطلاقاً من خانة العشرات إلى غيرها؛ وهكذا بالتناوب. وتوضع النتيجة مرتبة بعد مرتبة على التوالي؛ وإذا فاض عدد يوضع فوق الخانة الموالية ثم يجمع مع أعدادها؛ مثل:

$$\begin{array}{r} 44 \\ \times\ 44 \\ \hline 1\ 76 \\ 176\ \ \\ \hline =1836 \end{array}$$

وذلك بضرب $4 \times 4 = 16$ ؛ فنثبت 6 في الموضع المخصص للنتيجة؛ ونرفع الواحد؛ الذي يمثل العشرات فوق العدد 4 التي تحتل خانة العشرات أيضاً؛ ثم

نضيف ذلك الواحد إلى 16 وهي النتيجة الثانية؛ فتصبح 17 . هذه هي المرحلة الأولى. أما المرحلة الثانية فتتطلب ضرب الأربعة الأخرى في خانة العشرات السفلى بخانة الآحاد العليا وتثبت 6 أيضاً ثم يرفع الواحد كذلك فوق خانة العشرات مثل الأولى، ويجمع مع نتيجة العشرات؛ فتكون النتيجة هي 176 أيضاً فترتب بترك خانة يمين الأعداد؛ ثم تجمع المراتب كلها لتحصل النتيجة النهائية وهي: 1836.

ثم يضيف **الأخضري** قائلاً:

وَإِنْ ضَرَبْتَ وَاحِداً فِي وَاحِدِ
فَوَاحِدٌ يَكُونُ دُونَ زَائِدِ
وَإِنْ ضَرَبْتَ ذَاكَ فِي الأَعْدَادِ
فَقَدْرُ مَا فِيهَا مِنَ الآحَادِ
فَاقْنَعْ بِصِفْرٍ انْ ضَرَبْتَ الصِّفْرَ فِي
نَظِيرِهِ أَوْ عَدَدٍ فَلْتَقْتَفِي

وستكون النتيجة ــ حين تضرب واحداً في واحد ــ هي واحد دون زيادة؛ أما إذا ضربت واحداً في عدد ما؛ فالناتج يكون بقدر ذاك العدد؛ كأن تضرب: 1 × 4 ؛ ستكون النتيجة حتماً 4. ومن جهة أخرى فإذا ضربت الصفر في الصفر؛ فالنتيجة هي صفر بالطبع.

وكذلـــك هـــو الحـــال إذا ضربـــت الصفـــر بعـــدد مـــا؛ فـــلا بـــد أن تكـــون النتيجـــة صفـــراً؛ كـــأن تضـــرب 4×0 فالنتيجـــة $= 0$.

أمـــا بـــاب القسمـــــة فقـــــد قسمـــــه **الأخضـــــري** إلى فصليـــن:

__***ـ البـــاب الخامـــس:***__ يقـــول في أولهمـــا:

وَعَمَـــلُ القِسْمَـــةِ فِي الحِسَـــابِ
مِنْ أحْسَنِ الفُصُـــولِ وَالأبْـــوَابِ
فَلْتَجْعَـــلِ المَقْسُومَ فَـــوْقَ الآخَـــرِ
وَتَجْعَلِ الأمَـــامَ تَحْـــتَ الآخِـــرِ
وَلاَ يَجُـــوزُ أنْ يَكُـــونَ الأكْثَـــرُ
تَحْـــتَ الأقَـــلِّ مِنْـــهُ بَلْ يُقَهْقَـــرُ
ثُمَّ تَـــرُومُ عَـــدَداً يُضْـــرَبُ فِيـــهْ
مِنْ تَحْتِـــهِ تُفْـــنَى بِهِ الَّذِي عَلَيْـــهْ
وَمَا بَـــقِي فَضَعْـــهُ فَـــوْقَ ذَاكَـــا
وَقَهْقَـــرِ الأمَـــامَ مِـــنْ هُنَـــــاكَ
فَـــإنْ تَعَـــدَّى رُتْبَـــةً فَلْتَجْعَـــلاَ
صِفْـــراً قُبَالَـــةَ المُعَـــدَّى أسْفَـــلاَ
وَافْعَـــلْ كَمَا ذَكَرْتُهُ إلَى التَّمَـــامْ
فَخَـــارِجٌ مَا تَحْتَ ذَلِكَ الأمَـــامْ

وَمَا بَـــقِي مِنْ الكُسُـــورِ يُطْلَـــبُ
فَـــوْقَ الأَمَـــامِ ثُمَّ مِنْـــهُ يُنْسَـــبُ

لفهـم مـا يـرمي إليـه **الأخضـري** في موضـوع القسمـة هنـا؛ لا بـد مـن التنبيـه إلى أن عمليـة القسمـة ــ قديمـاً ــ كانـت تتبـع بطـرق تختلـف عمـا هـو معـروف الآن؛ وقـد تعـددت الطـرق في هـذا الموضـوع؛ مـن ذلـك أنهـم كانـوا يجـرون القسمـة بعـدة أساليـب؛ منهـا طريقـة الشطـب الـتي تشبـه الطـرح.[1] لأن القسمـة في حقيقتهـا عبـارة عـن طـرح متكـرر؛ بغـرض معرفـة كـم مـن المـرات الـتي يوجـد فيهـا عـدد في عـدد آخـر؛ عـلى أن يتـم ذلـك بسرعـة.

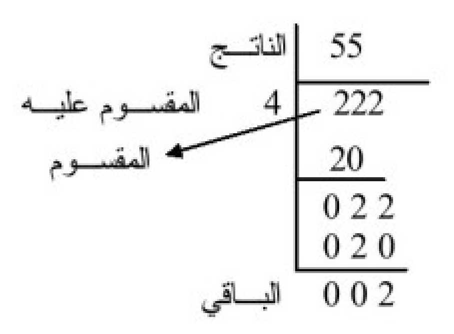
النتيجـة 1 5
/2 /6 7
المقسـوم /4 /0 /0 9 5
المقسـوم عليـه /2 /4 /3

وتتـم هـذه العمليـة بوضـع المقسـوم فـوق المقسـوم عليـه؛ وينطلـق العمـل مـن بالرقـم الأمـامي أي مـن يسـار الأعـداد؛ فنقـول 400 ÷ 243 = 1. ثـم نقـوم بضـرب 243 × 1 = 243. وبعدهـا نطـرح الناتـج بواسطـة الشطـب؛ وهـو 243 مـن 400 ؛ أي مـن أمـام المقسـوم أو

[1] أنظـر كتـاب علـم الحسـاب تطـوره وأهـدافـه وطـرق تدريسـه، ص ص: 126 ــ 138.

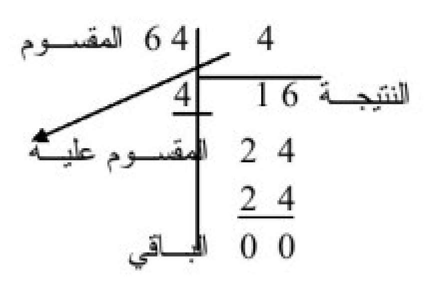
بالأحرى بدءاً باليسار نحو اليمين؛ وذلك بشطب كل رقم يتم طرحه؛ على التوالي.

كما كانوا ــ أيضاً ــ يجرون القسمة بوضع النتيجة في الأعلى؛ مثل:



ويبدو أن الطريقة الأخيرة هي التي اعتمدها **الأخضري** في منظومته؛ وهي لا تختلف عما هو متبع في جل البلدان الآن؛ سوى في وضع النتيجة في الأعلى؛ بينما توضع عندنا تحت المقسوم عليه. وتجري: بالبدء من أمام العدد المقسوم؛ أي من جهة اليسار؛ فنبدأ برقم 22؛ فنقسمه على 4؛ فتتكون النتيجة الأولية: 5؛ فنضرب 5 × 4= 20؛ فنطرح 20 من 22= 02؛ عندها ننزل رقم 2 الباقي في العدد الإجمالي للمقسوم؛ بعد أن أجلناه في المرة الأولى؛ فيصبح العدد المراد قسمته هو 22؛ فنقسمه مرة أخرى على 4 ؛ فيساوي 5 أيضاً؛ فنطرح ــ كالمرة الأولى ــ فيبقى: 002 ؛ وهو الرقم الذي لا يقبل القسمة على 4.

وكما ترى فالناتج يوضع في الأعلى أيام **الأخضري.** وهذا يختلف عن الطريقة الحالية التي تضع الناتج تحت المقسوم عليه؛ مثل:



أما الفصل الثاني فيقول فيه:

وَإِنْ تَشَأْ فَتَأْخُذُ الوَفْقَيْنِ وَاعْمَلْ عَلَيْهِمَا بِغَيْرِ مَيْنِ

أَوْ حُلَّ مَقْسُوماً عَلَيْهِ وَاقْسِمَا عَلَى أَئِمَّةٍ لَهُ لِتَعْلَمَا

أَوْ تَقْسِمَ المَقْسُومَ بِالتَّفْضِيلِ وَتَجْمَعَ الخَارِجَ بِالتَّعْدِيلِ

وكما هو واضح من الأبيات أعلاه؛ فكل اهتمام **الأخضري** من عملية الحساب كان منصباً في الغرض الأساسي من شرحه لمادة الحساب؛ وهي الكيفية التي يقرب بها فكرة تقسيم التركات؛ وهذا ما جعله يستعمل بعض المصطلحات المعمول بها في

الفرائض وتقسيم التركات؛ مثل: **الوفق والتفضيل والتعديل والتسمية**. لذا فعملية استخراج القاسم المشترك الأعظم هنا ضرورية؛ كما أن تقسيم الأعداد أقساماً متساوية؛ يستدعي أحياناً اللجوء لعملية الاختزال من أجل الحصول على النتيجة النهائية للقسمة.

ثم يواصل **الأخضري** نظمه الذي يبين فيه عمليات الكسور وكيفية إجراء الاختبار؛ من أجل تصحيح العمليات الأربعة في الحساب. وكل هذا يمكن متابعته من خلال المقاطع الآتية:

الباب السادس: في التسمية

تَسْمِيَةٌ نِسْبَتُكَ القَلِيلاَ

مِنَ الكَثِيرِ فَاعْرِفِ التَّمْثِيلاَ

فَأَلْقِهِ أئِمَّةً لِتَقْسِمَا

مِنْ بَعْدِ أنْ تُحِلَّهُ فَلْتَعْلَمَا

وَالبَدْءُ فِي تَنْزِيلِهَا بِالأَكْبَرِ

وَالبَدْءُ فِي قِسْمَتِهَا بِالأصْغَرِ

وَمَا بَقِي مِنَ الكُسُورِ يُرْسَمُ

فَوْقَ الأمَامِ ثُمَّ مِنْهُ يُعْلَمُ

وَاقْسِمْ عَلَى الَّذِي يَلِيهِ مَا خَــرَجْ

وَافْعَــلْ كَمَا ذَكَرْتُــهُ فَلاَ حَــرَجْ

فَكُــلُّ مَا عَلَى الأئِمَــةِ تُصِــبْ

هُوَ المُسَمَّى مِثْلُ كَسْــرٍ يَنْتَسِــبْ

وَإنْ تَشَــأ فَانْظُــرْ إلَى الأوْفَــاقِ

وَاعْمَــلْ عَلَيْهَــا عِنْــدَ الاِتِفَــاقِ

فصــل: في حــل الأعــداد

قَــدْ ذَكَــرُوا لِحَلِّــهِ مُقَدِّمَــهْ

لاَزِمَــةً لِكُــلِّ مَــنْ تَعَلَّمَــهْ

النِّصْفُ وَالعُشْرُ مَعَ الخُمْــسِ لَمَــا

الصِّفْــرُ فِي أوَّلِــهِ تَقَدَّمَــا

وَإنْ يَكُــنْ مُفْتَتَحــاً بِالْخَمْسَــهْ

فَــذَاكَ ذُو خَمْــسٍ تَفَهَّــمْ اسَّــهْ

وَاعْلَــمْ بِأنَّ جُمْلَــةَ الأعْــدَادِ

مَقْسُومَــةٌ لِلــزَّوْجِ وَالإفْــرَادِ

وَلْيُطْرَحِ الزَّوْجُ بِطَــرْحِ التِّسْعَــةِ

مَعَ الثَّمَــانِ ثُمَّ طَــرْحِ السَّبْعَــةِ

فَــإنْ طَرَحْتَــهُ بِتِسْــعٍ فَالسُّدُسْ

لَــهُ وَتِسْــعٌ مَعَ ثُلْــثٍ فَاقْتَبِــسْ

وَحَيْثُ سِتٌّ أَوْ ثَلاَثٌ عَبَرَا
فَالسُّدْسُ وَالثُّلْثُ لَهُ قَدَ شُهِرَا
وَإنْ بَقِي ثَلاَثَةٌ فَالسُّدْسُ لَهْ
وَالثُّلْثُ أَيْضاً فَادْرِ تِلْكَ المَسْأَلَهْ
وَاطْرَحْهُ إنْ بَقِيَ غَيْرُ ذَلِكَ
طَرْحَ الثَّمَانِ تَتْبَعِ المَسَالِكَ
فَالثُّمْنُ وَالرُّبْعُ لَهُ إنِ انْطَرَحْ
وَإنْ بَقِي رُبْعٌ فَرُبْعٌ اتَّضَحْ
وَإنْ بَقِي مَا عَدَا مَا قَدْ شُرِحْ
فَاطْرَحْهُ طَرْحَ سَبْعَةٍ إنِ انْطَرَحْ
فَذَاكَ ذُو سُبْعٍ وَإنْ لَمْ يَنْطَرِحْ
فَلَيْسَ إلاَّ النِّصْفُ فَرْداً يَتَّضِحْ
وَفْدُهَا بِطَرْحِ تِسْعٍ يُطْرَحُ
وَطَرْحُ سَبْعَةٍ بِذَاكَ يُوضَحُ
فَإنْ طَرَحْتَهُ بِتِسْعٍ فَالتُّسُعْ
لَهُ وَثُلْثٌ فَتَفَهَّمْ وَاتَّبِعْ
وَإنْ بَقِي ثَلاَثَةٌ أَوْ سِتَّةٌ
فَذَاكَ ذُو ثُلْثٍ فَحَسْبُ يَثْبُتُ
وَإنْ بَقِي غَيْرُ مَا قَدْ ذُكِرَا
فَاطْرَحْهُ طَرْحَ سَبْعَةٍ وَاعْتَبِرَا
فَإنْ طَرَحْتَهُ بِذَاكَ الطَّرْحِ
فَذَاكَ ذُو سُبْعٍ تَفَهَّمْ شَرْحِي

وَإنْ يَكُنْ لَمْ يَنْطَرِحْ فَهْوَ الأَصَّـــمْ

فَسَـــمٍّ مِنْ أجْزَائِـــهِ مَا قَدْ عُلِـــمْ

البـــاب السابـــع: في الاختبـــار

الاخْتِبَـــارُ آلَـــةٌ قَـــدْ عُلِمَـــا

يُفِيـــدُ فِي جَمِيـــعِ مَـــا تَقَدَّمَـــا

فَاخْتِبَـــارُ الجَمْـــعِ ذُو وَجْهَيْـــنِ

إمَّـــا بِطَـــرْحِ أحَـــدِ السَّطْرَيْـــنِ

مِنْ خَارِجٍ فَاعْلَـــمْ وَيَبْقَى الآخَـــرُ

فَوَاضِـــحٌ بَيَانُـــــهُ وَظَاهِـــرُ

أوْ تَطْرَحُ الخَارِجَ وَالبَاقِي الجَوَابْ

فَجِيماً اجْعَلْ فَوْقَـــهُ بِلاَ ارْتِيَـــابْ

ثُمَّ اطْرَحِ السَّطْرَيْنِ وَاجْمَعْ مَا بَقِي

وَاطْرَحْهُ يَبْقَى كَالْجَوَابِ السَّابِـــقِ

وَاخْتَبِرِ الطَّرْحَ بِجَمْـــعِ الطَّرَفَيْـــنْ

لِكَيْ يَكُونَ وَسَطـــاً بِغَيْـــرِ مَيْـــنْ

كَـــذَا بِطَـــرْحِ مَا بَقِي مِنْ أوْسَطِ

يَبْـــقَى كَمِثْـــلِ وَسَطٍ بِلاَ شَطَـــطِ

أوْ تَطْرَحِ البَاقِي فَبَاقِيـــهِ الجَـــوَابْ

وَاطْرَحْ بِذَاكَ الآخَرَيْنِ بِاحْتِسَـــابْ

وَاطْرَحْ بَقِيَّ أسْفَـــلٍ مِمَّـــا بَـــقِي

مِـــنْ أوْسَـــطٍ وَبَعْـــدَ ذَاكَ وَفِّـــقِ

فَإنْ يَكُـــنْ أقَـــلَّ مِنْـــهُ فَاحْمِـــلاَ

عَلَيْهِ مِثْلَ مَا بِـــهِ الطَّـــرْحُ جَـــلاَ

وَالضَّرْبُ فِي اخْتِبَـــارِهِ وَجْهَـــانِ

فَاحْفَظْهُمَـــا تَصِـــلْ إلَى البَيَـــانِ

فَاخْتَبِـــرُوا بِقِسْـــمٍ خَارِجٍ عَـــلَى

سَطْرٍ مِنَ السَّطْرَيْنِ فَاعْلَمْ مُسْجَلاَ

كَذَا بِطَـــرْحِ كُلِّ سَطْـــرٍ مِنْهُمَـــا

بِوَاحِـــدٍ مِنَ الطُّـــرُوحِ فَاعْلَمَـــا

فَمَا بَقِي فِي وَاحِـــدٍ فَاضْرِبْـــهُ فِي

مَـــا قَـــدْ بَـــقِي لآخَـــرٍ لِتَقْتَـــفِي

فَمَا بَدَا فَاطْرَحْـــهُ مِثْلَ مَا أُلِـــفْ

فَمَا بَقِي فَهْـــوَ الجَوَابُ قَدْ عُـــرِفْ

وَاطْرَحْ بِذَاكَ خَـــارِجَ الحِسَـــابِ

يَبْـــقَى كَمِثْـــلِ ذَلِـــكَ الجَـــوَابِ

وَإنْ تُرِدْ كَيْفَ اخْتِبَـــارُ القِسْمَـــةِ

فَاعْمَـــلْ عَلَى قَوْلِي تَكُنْ ذَا هِمَّـــةِ

فَتَضْـــرِبُ الخَـــارِجَ فِي الأمَـــامِ

فَيَخْـــرُجُ المَقْسُـــومُ بِالتَّمَـــامِ

أوْ تَطْرَحُ المَقْسُومَ وَالبَاقِي المَـــرَامْ

وَاطْرَحْ بِذَاكَ خَارِجـــاً مَعَ الأمَـــامْ

وَاضْرِبْ بَقِيَّ وَاحِدٍ فِيمَـا بَـقِي

لِوَاحِـدٍ وَاطْرَحْـهُ مِثْلَ السَّابِـقِ

فَـإِنْ يَكُـنْ مَا بَقِي كَالجَـوَاب

فَهْـوَ صَحِيحٌ دُونَ مَـا ارْتِيَـابِ

وَالسَّبْـعُ حَيْثُمَـا كُسُـورٌ تَقَـعُ

فَخَـارِجُ البَاقِيَتَيْـنِ تُجْمَـعُ

وَإِنْ تَسَـلْ عَنِ اخْبَـارِ التَّسْمِيَهْ

فَافْعَـلْ كَمَا أَقُولُـه بِالتَّسْوِيَـهْ

فَابْـدَأْ بِضَـرْبِ أَوَّلِ المُسَـمَّى

فَمَا يَـلِي مَا تَحْـتَ ذَا المُسَـمَّى

وَاجْمَعْـهُ لِلَّذِي عَلَيْـهِ وَافْعَـلاَ

فِي خَـارِجٍ كَمَـا فَعَلْـتَ أَوَّلاَ

فَإِنْ يَـكُ المَجْمُوعُ كَالْمَنْسُـوب

فَهْـوَ صَحِيحُ الْعَمَـلِ المَطْلُـوبِ

هَذَا اخْتِبَـارُ التَّسْمِيَـةَ المَعْهُـودَهْ

وَاخْتَبِـرِ الأَئِمَّـةَ المَوْجُـودَهْ

بِضَـرْبِ مَا قَدَّمْتَـهُ فِيمَـا أَتَى

مِنْ بَعْـدِهِ عَلَى الـوَلاَءِ يَا فَـتَى

وَخَارِجـاً فِيمَـا قَـدِ اسْتَقَـرَّا

مِـنْ بَعْـدِ إِلَى هَلُـمَّ جَـرَّا

فَيَخْـرُجُ المَنْسُوبُ مِنْـهُ بِالتَّمَـامْ

وَاحْفَظْ جَمِيعَ مَا ذَكَرْتُ وَالسَّلاَمْ

بـــاب الكســـور، ويشتمـــل عـــلى فصليـــن:

الفصـــل الأول في أقسامهـــا

الكَسْــرُ مِنْهُ مُفْــرَدٌ وَمُخْتَلِــفْ
مُبَعَّــضٌ مُنْتَســبٌ كَــذَا عُــرِفْ
فَذُو اخْتِــلاَفٍ مِثْلُ ثُلْثٍ وَرُبُــعْ
وَذُو انْتِسَابٍ مِثْــلُ خُمْسٍ وَسُبُــعْ
خَمْسٍ وَذُو التَّبْعِيضِ فَهْوَ يَنْتَسِبْ
بالعَكْــسِ مِنْ كَسْرٍ أمَامَهُ نُســبْ
وَبَسْطُ ذِي الإِفْرَادِ وَافَقَ الأمَــامْ
وَبَسْطُ ذِي التَّبْعِيضِ فَافْهَمِ الكَــلاَمْ
بِضَــرْبِ مَــا عَلَى الأمَــامِ الأوَّلِ
فِي كُــلِّ مَــا يَلِيــهِ فَلْيُكَمَّــلِ
وَذُو انْتِسَابٍ كَاخْتِبَــارِ النِّسْبَــةِ
وَقَــدْ مَضَى تَقْدِيــرُهُ بِالْجُمْلَــةِ
وَالُمخْتَلِفْ بِضَرْبِ بَسْطِ مَا قُصِــدْ
فِي كُلِّ مَا مِنْ تَحْتِ غَيْرِهِ عُهِــدْ
وَضَــرْبُ بَسْطِ ذَاكَ فِي أمَــامِ ذَا
وَيُحْمَلُ الَمجْمُوعُ فَافْعَــلْ هَكَــذَا
وَإنْ يَكُنْ هُنَــا صَحِيــحٌ يُــدْرَى
كَأنَّــهُ بَسْــطُ الْكُسُــورِ شُهِــرَا

الفصل الثاني

في أعمال الكسور

وَإنْ تُرِدْ ضَرْبَ الكُسُورِ فَاضْرِبَا
البَسْطَ فِي البَسْطِ وَكُنْ مُرَتِّبَا

فَقَدِّمِ الكَبِيرَ فِي الأئِمَّةِ
يَبْدُو لَكَ المَطْلُوبُ بَعْدَ القِسْمَةِ

وَوَصْفُ قِسْمَةِ الكُسُورِ هَكَذَا
بِضَرْبِ بَسْطِ ذَاكَ فِي أمَامِ ذَا

وَالعَكْسُ وَاقْسِمْ خَارِجَ المَقْسُومِ
عَنْ خَارِجِ الأمَامِ كَالمَعْلُومِ

وَهَكَذَا تَسْمِيَةُ الكُسُورِ
وَيُقْسَمُ الأدْنَى عَلَى الكَثِيرِ

وَمِثْلُ ذَاكَ الجَمْعُ لَكِنْ تُجْمَعُ
وَالخَارِجَاتُ بَعْدَهُ تُوَزَّعُ

وَالطَّرْحُ يُطْرَحُ الأقَلُّ مِنْهُمَا
مِنَ الكَثِيرِ فِيهِ ثُمَّ تَقْسِمَا

وَاخْتَبِرِ الطَّرْحَ بِطَرْحِ بَسْطٍ مَا
بَدَا وَسَطْرَيْهِ كَمَا تَقَدَّمَا

وَخَارِجاً فَابْسُطْهُ كَالْمَقْسُومِ فِي

جَمْعٍ وَقِسْمَةٍ وَنِسْبَةٍ تَفِي

يُطْرَحُ بَسْطُ مَا بَقِي وَمَا ظَهَرْ

مِنْ ذَيْنِكَ الشَّطْرَيْنِ طَرْحاً يُخْتَبَرْ

*****

ثانياً ـ الدرة البيضاء:

في الحساب والفرائض؛ وقد نظمها **الأخضري** في خمسمائة بيت؛ مقسمة إلى ثلاثة أقسام: أولها يدرس موضوع الحساب؛ وقد شرحناه؛ والثاني فقه الفرائض والتركات، أما الثالث فيهتم بالجانب العملي في قسمة التركات. ويبدو أن هذا التأليف قد سرق مخطوطه ـ في بداية الأمر ـ من **الأخضري** ثم وجده؛ فقام بشرح القسم الثاني بنفسه، ثم شرح بعض الفصول من القسم الثالث. وربما يكون **عبد اللطيف المسبح المرداسي** قد تولى شرح **"الدرة البيضاء"**؛ حسبما قال **عبد الكريم الفكون**.[1]

المهم أن كتاب **"الدرة البيضاء"** قد نشر عدة مرات؛ منها طبعة **القاهرة** سنة 1309هـ/1891م وطبعة مشروحة سنة 1325هـ/1907م. كما قام

---

[1] تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 2، ص: 92.

الشيخ **محمد الصادق الشطي** بشرح القسم المتعلق بالفقه من **"الدرة البيضاء"** ونشره في **تونس** سنة 1355هـ/1936م؛ وقد تقرر تدريس هذا الشرح في **جامع الزيتونة**. وفي هذا السياق سنتكلم في بعض العينات من القسم الثاني **"للدرة البيضاء"**. ويوجد لدى كاتب هذه الدراسة نسخة منها. ومن شرحها الصادر بالقاهرة سنة 1325هـ/1907م.

1 ـ كيفية التصرف بأموال الميت:

1

تَرْتِيبُ مَا يُبْدَى بِهِ فِي الْمَالِ

تَدْرِيهِ مِنْ **"تَدُومُ"** فِي مَقَالِ

كل ما يهم في هذا البيت هي كلمة **"تدوم"**؛ أوردها **الأخضري** في سياق نظمه؛ لتحفظ بغرض التذكر؛ وهي **أربعة حروف** توضح **المراتب** التي يصرف فيها مال الميت شرعاً؛ وهي **أربع مراتب**؛ نتذكر كل واحدة؛ كلما نطقنا حرفاً بعد حرف. لذلك فهو يقول: أن الترتيب المطلوب عند البدء في التصرف بأموال الميت؛ هو أن نبدأ بحرف **"التاء"**

من كلمة **"تدوم"** والتاء ــ هنا ــ ترمز **لتجهيز الميت**. أما **"الدال"** فترمز **للدين** الذي عليه، و**"الواو"** تشير **للوصية** التي يكون الميت قد أوصى بها، و**"الميم"** ترمز **للميراث** الذي لا يصح؛ إلا بعد إتمام ما سبق ذكره بالترتيب الذي وضع في كلمة **"تدوم"**. ثم يشرع في تعداد الوارثين بالفرض فيقول:

2

الْوَارِثُونَ فِي الرِّجَالِ عَشَرَهْ

مِنْ جِهَةِ الشَّرْعِ أَتَتْ مُقَرَّرَهْ

أَبٌ وَجَدٌّ لأبٍ إنِ انْفَصَلْ

بِذَكَرٍ وَابْنٌ وَمَنْ مِنْهُ انْسَفَلْ

زَوْجٌ أخٌ وَابْنُ أخٍ إنْ لَم يَكُنْ

لِلأمِ مَوْلَى نِعْمَةٍ أَيْضاً قَمِنْ

وَالعَمُّ لاَ لِلأُمِّ وَابْنُهُ كَذَا

وَغَيْرِ مَنْ ذَكَرْتُهُ قَدْ نُبِذَا

أوضح **الأخضري** ــ هنا ــ أن أصحاب الحق في الإرث من **الرجال عشرة أصناف**؛ طبقاً لما نص عليه الشرع؛ هم: **1 ــ الأب. 2 ــ والجد من جهة الأب**؛ بشرط ألا يشوب التسلسل انقطاع أو انفصال

بسبب أنثى تربك تسلسل الآباء. **3 ـ والابن. 4 ـ وابن الابن**؛ وليس ابن البنت؛ أي الذي من أبيه انبثق. **5 ـ والزوج 6 ـ والأخ**؛ سواء كان من الأب أم من الأم. **7 ـ وابن الأخ**؛ على أن يكون ابن أخ شقيق من جهة الأب وليس الأم. **8 ـ مولى النعمة**؛ سواء كان مولى عتق أو مولى الولاء؛ لأنه قَمِنْ أي جدير. **9 ـ والعم**؛ على أن يكون عماً شقيقاً، أو لأب وليس عماً لأم. **10 ـ وابن العم** كذلك؛ وينطبق عليه ما ينطبق على أبيه.

3

وَسَبْعٌ النِّسَاءُ وَهْيَ الْبِنْتُ
وَبِنْتُ الإبْنِ زَوْجَةٌ وَأُخْتُ
أُمٌّ وَمَوْلاَةٌ وَجَدَّتَانِ
فَمَا عَلاَ بِالْمِثْلِ تُدْلَيَانِ
وَهُنَّ أُمَّهَاتُ الأُمِ وَالأَبِ
وَعَدُّ زَيْدٍ أُمَّ جَدٍّ قَدْ أُبِي

أما النساء فالوارثات منهن **سبعة أصناف**؛ هي: **1 ـ البنت** التي خرجت من صلب الميت. **2 ـ وبنت الابن**؛ ويدخل في هذا الاعتبار بنت ابن الابن أيضاً.

3 ـ **والزوجة**. 4 ـ **والأخت**؛ سواء كانت شقيقة أو من أب أو أم. 5 ـ **والأم**. 6 ـ **ومولاة النعمة**؛ ويقصد بها المعتقة. 7 ـ **والجدة**؛ أي أم الأب وأمهاتها، أو أم الأم وأمهاتها. أما قوله: **وَعَدُّ زَيْدٍ أُمَّ جَدٍ قَدْ أُبِي**؛ يعني أن ما قاله زيد بن ثابت رضي الله عنه بخصوص ميراث أم الجدة رفضه جمهور العلماء.

2 ـ موانع الإرث:

4

مَوَانِعُ الْمِيرَاثِ سَبْعٌ وَهْيَ فِي

"عِشْ لَكَ رِزْقٌ" حُصِرَتْ فَلْتَقْتَفِي

وَقَاتِلُ الْعَمْدِ بِإِطْلاَقٍ سَقَطْ

وَيَرِثُ الْمُخْطِئُ فِي الْمَالِ فَقَطْ

أما الأسباب التي تمنع من الإرث؛ فهي **سبعة موانع**؛ حصرها **الأخضري** في **سبعة حروف**؛ ترمز للحالات المانعة؛ وقد جمعت في كلمات ثلاثة هي: **"عش لك رزق"**. 1 ـ **فالعين** ترمز **"لعدم الاستهلال"**؛ أي استهلال الطفل عند مولده بالصراخ؛ لأن ذلك يعني أنه ولد حياً؛ ومرجع ذلك إلى ما رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((إذا استهلَّ الصبيُّ وُرِّث وصلى عليه)).[1] 2 ـ وحرف **الشين** يرمز **"للشك"**؛ تبعاً لقوله صلى الله عليه وسلم: **((لا ميراث بشك))**؛ مثل الشك في النسب، أو الشك في كون زوجة الميت حامل، أو الشك فيمن سبقته الموت من المتوارثين؛ في حالات الغرق أو الهدم؛ وعلى هذا فقد قال الإمام مالك: **((لا ينبغي أن يرث أحدٌ أحداً بالشك، ولا يرث أحدٌ أحداً إلاَّ باليقين من العلم والشهداء)).**[2] 3 ـ وحرف **اللام** يرمز **"للعان"**؛ ويحدث في حال عدم اعتراف الزوج بمولود من زوجته بعد أن اتهمها بخيانته مع رجل آخر؛ فيتلاعنان أمام القاضي؛ فيقول كل منهما: **"علي لعنة الله إن كنت من الكاذبين"**؛ ففي هذه الحال لا يرث المولود من الرجل المشكوك في أبوته؛ بينما يرث من أمه.[3] 4 ـ وحرف **الكاف** يرمز **"للكافر"**؛ الذي لا يرث؛ تبعاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم)).**[4] 5 ـ وحرف **الراء** يرمز **"لِلرِّق"**؛

[1] وعن أبي هريرة: ((إذا استهلَّ المولودُ وُرِّثَ)). معالم السنن، ج: 4، ص: 104. السراجية للجرجاني، ص: 322.

[2] موطأ الإمام مالك، رواية الليثي، ص: 353.

[3] قال أبو داود؛ بعد الأسانيد: ((جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراث ابن الملاعنة لأمه ولورثتها من بعدها)). معالم السن، ج: 4، ص: 100.

[4] صحيح البخاري، ج: 8، ص: 10. وموطأ الإمام مالك؛ رواية الليثي، ص: 351. وسنن الترمذي، ج: 3، ص: 287.

وبيانه أن من بقي على رقه، أو قال له سيده أنت حر بعد موتي، أو اشترى حريته من سيده بمال؛ فكل هذه الأصناف لا يرث أصحابها. 6 ــ وحرف **الزاي** يرمز **"للزنا"**؛ ومفاده أن المولود عن طريق الزنا لا يتوارث مع أبيه؛ بينما يتوارث مع أمه. 7 ــ وحرف **القاف** يرمز **"للقتل"**؛ إذ لا ميراث للقاتل؛ تبعاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((القاتل لا يرث))**.[1] وقد اعتبر أتباع مالك أن المقصود بالقاتل ــ هنا ــ هو القاتل بإطلاق؛ أي القتل عمداً. وفي البيت الأخير **للأخضري** ــ وهو مالكي ــ يقول أن القاتل عمداً لا يرث، أما القاتل بالخطأ فيرث في المال.

5

وَيَمْنَعُ الإرْثَ نكَاحٌ فِي الْمَرَضْ
وَلَيْسَ يَمْنَعُ الطَّلاَقُ إنْ عَرَضْ
وَالْمَوْتُ فِي النِّكَاحِ بِالتَّفْوِيضِ لاَ
يَمْنَعُ إرْثاً وَالصَّدَاقُ حُظِلاَ
وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ التَّوَارُثِ البِنَا
إذِ الْوَفَاةُ كَالدُّخُولِ عِنْدَنَا

[1] سنن الترميذي، ج: 3، ص: 288.

وَحَيْثُ فِي فَسْخِ النِّكَاحِ خُيِّرَا
فَالإِرْثُ قَبْلَ فَسْخِهِ لَنْ يُحْضَرَا
وَيَمْنَعُ الإِرْثَ نِكَاحٌ مُجْمَعُ
عَنْ فَسْخِهِ وَالْعَكْسُ لَيْسَ يُمْنَعُ
وَحَيْثُمَا طَلَّقَهَا فِي الصِّحَّةِ
رَجْعِيَّةً تَوَارَثَا فِي الْعِدَّةِ

ولما كان **الأخضري** قد حدد في البيتين السابقين **الموانع الحقيقية** للميراث؛ فقد وجد أنه من الأفضل إضافة **موانع أخرى تابعة** للأولى، وتدخل في باب النكاح وصحته؛ فالنكاح ــ مثلاً ــ فيه مسائل تتعلق بالميراث؛ لذا فقد أشار **لنكاح المريض** في صدر البيت الأول؛ فقرر أن الإرث فيه باطل. والمقصود هنا **المرض المميت**؛ الذي لا أمل في الشفاء منه؛ ولا يطول بصاحبه حتى يقضي عليه.[1] أما الطلاق لمن كان مريضاً؛ فلا يمنع الإرث إن مات الزوج؛ حتى وإن انتهت عدة المرأة. وهذا ما أشار إليه الناظم في عجز البيت. وقد وُضِعَ فَصْلٌ في موطأ الإمام مالك

[1] هذه مسألة اختلف فيها العلماء؛ ومن بينهم علماء المالكية أنفسهم؛ إذ وردت لهم أقوال متباينة في هذا الموضوع؛ ومرد خلافهم راجع إلى اختلاف أحوال المرضى؛ إذ فيهم من كان مريضاً؛ وطال به المرض إلى ثلاث سنوات؛ لذا فقد أجاز بعض العلماء الإرث للمرأة في حال كهذه. أنظر كتاب المعيار المعرب، ج: 3، ص ص: **149 ــ 152**.

يجيز ميراث المطلقة في حال مرض الزوج.[1] أما البيت الثاني فيتناول **الأخضري** فيه موضوع موت الشخص **المتزوج بالتفويض**؛ أي **بدون تسمية الصداق**؛ فإذا مات أحد الزوجين ـ في هذه الحال ـ يمكن لأحدهما أن يرث الآخر؛ ولكن الصداق يمنع وهو ما عبر عنه بكلمة **"حظل"** أي منع. ثم يصرح في البيت الثالث أن الإرث **لا يشترط فيه البناء**؛ لأن الوفاة في مذهبه كالدخول تماماً. وما يقصده **الأخضري** من البيت الرابع هو: إذا ترك أحد الزوجين للآخر الخيار في الطلاق أو الإبقاء على عقد الزوجية؛ ومات أحدهما قبل الفصل في الاختيار؛ سلباً أم إيجاباً؛ فإن الميراث يبقى ثابتاً، ولا يسقط؛[2] ما دام فسخ عقد الزوجية لم يحدث؛ وقد استعمل كلمة **"يحظر"** تبعاً لقوله سبحانه وتعالى: **((وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً))**.[3] وفي البيت الخامس يقول **الأخضري**: أن **النكاح المتفق على فسخه بالإجماع** ـ كنكاح الزوجة الخامسة ـ يُمْنَعُ الإرث فيه؛ إذ هو باطل بالإجماع؛ على العكس

[1] وقال مالك ابن أنس: ((أنه سمع ابن شهاب يقول: " إذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً وهو مريض فإنها ترثه". قال مالك: وإن طلقها وهو مريض قبل أن يدخل بها؛ فلها نصف الصداق، ولها الميراث، ولا عدة عليها؛ وإن دخل بها ثم طلقها فلها المهر كله والميراث؛ البكر والثيب في هذا عندنا سواء)). الموطأ؛ برواية الليثي، ص: **391**.

[2] ورد في كتاب المعيار ما يبيح ذلك، ج: **3** ، ص: **135**.

[3] سورة الإسراء، من الآية **20**.

من النكاح المختلف في أمره بين العلماء؛ **كنكاح الشغار** مثلا؛[1] فإنه لا يسقط الإرث. أما البيت الخامس فينبه الناظم من خلاله: إلى أن المرأة؛ عندما يطلقها زوجها ــ في حال الصحة السليمة ــ طلاقاً رجعياً؛ ثم توفي واحد منهما؛ فلا يسقط عنهما حق الميراث؛ ما دامت العدة لم تنته؛ فإذا انتهت مدة العدة لا يرثان.؛ وهو ما أراده بقوله: **(توارثا في العدة).**

6

إذَا أَتَتْ أُمُّ الْفَتَى بِوَلَدِ
مِنْ بَعْدِهِ مِنْ رَجُلٍ مُسْتَبْعَدِ
إنْ وَضَعَتْهُ قَبْلَ سِتٍّ أشْهُرِ
يَرِثْ وَحَيْثُ لاَ فَمَنْعُهُ حَرِي

إذا مات أحدهم دون أن يترك ولداً يحجب إخوة للأم؛ وفي وقت مماته تكون أمه متزوجة برجل آخر؛ فتلد ولداً بعد موت ابنها المذكور. ففي هذه الحال؛ أجمع العلماء على أن المولود الجديد إن ولد

---

[1] ورد في صحيح البخاري((أن رسول الله r نهى عن الشغار. والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته؛ ليس بينهما صداق)). ج: 6، ص: 128. ((وقال أصحاب الرأي وسفيان الثوري: "النكاح جائز؛ ولكل واحدة منهما مهر مثلها؛ وهي معنى النهي؛ في هذا عندهم؛ أن يستحل الفرج بغير مهر)). معالم السنن، ج: 3، ص: 192.

قبل ستة أشهر من وفاة أخيه يرث؛ وهذا ما قصده **الأخضري** بقوله: **((إن وضعته قبل ست يرث...))**. أما إذا تجاوزت المدة ستة أشهر فلا يرث؛ لأنه غير حري؛ أي جدير بالإرث؛ إذ **"لا ميراث بشك"**.[1] ولكي يصح الإرث لابد من دليل قاطع؛ سواء بمصادقة من الوارث قبل وفاته؛ بإقراره المسبق أنها كانت حاملاً، أو بشهادة موثقة.

3 ــ السهام:[2]

1

الثُّلْثُ وَالثُّلْثَانِ نِصْفٌ وَسُدُسْ

وَالرُّبْعُ وَالثُّمْنُ فُرُوضٌ فَاقْتَبِسْ

يشير هذا البيت إلى ما يرثه أصحاب الفرض؛[3] وهذا يختلف عما يورث بالعصبة.[4] وقد حدد سهام الفروض في **ستة أجزاء** هي: **الثلث والثلثان والنصف**

[1] قال الإمام ملك: ((لا ينبغي أن يرث أحد أحداً بالشك، ولا يرث أحد أحداً إلاّ باليقين من العلم والشهداء)). موطأ الإمام ملك؛ رواية الليثي، ص: 353.

[2] مفرد السهام: سهم؛ وهو الحظ والنصيب.

[3] الفرض جمعه فروض: وهي السهام المقدرة شرعاً للورثة. والفرض هو التقدير والقطع والبيان؛ يقول سبحانه وتعالى: ((وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ))؛ أي فنصف ما قدرتم. سورة البقرة، من الآية 237.

[4] العصبة: هم قرابة الرجل لأبيه؛ واختص بها ــ في الغالب ــ الذكور من قرابة الرجل.

والسدس والربع والثمن. ويقصد بكلمة **"اقتبس"** ـ في عجز البيت ـ إلى ضرورة الرجوع إلى القرآن والاقتباس منه. فكل هذه السهام مقدرة بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والإجماع. وهذه السهام كلها يختص بها اثنا عشر نوعاً من أصحاب الفروض وهم:

ـ من الذكور أربعة: الزوج، والأب، والجد الصحيح، والأخ لأم.

ـ ومن الإناث ثمانية وهن: الزوجة، والأم، والجدة الصحيحة، والبنت، والبنت لأبن، والأخت الشقيقة، والأخت لأب، والأخت لأم.

2
من يرث النصف

نِصْفٌ لِزَوْجٍ عِنْدَ فَقْدِ الابْنِ
وَلابْنَةِ الصُّلْبِ وَبِنْتِ الإِبْنِ
أُخْتٌ شَقِيقَةٌ وَأُخْتٌ لأَبِ
فِي فَقْدِهَا لاَ غَيْرُهُمْ بِهِ حَبِي[1]

[1] يقصد بِحَبِي: أعطي.

أصحاب **النصف** ـ كما عدهم **الأخضري** ـ **خمسة** وهم:

1 ـ **الزوج**؛ على أن لا يكون للموروث فرع يحق له الإرث؛ سواء كان ذكراً أم أنثى؛ مثل: الابن، وابن الابن، وبنت الابن، والبنت.

2 ـ **وبنت الصلب**؛ ولكي تحظى بنت الصلب بالنصف لا بد أن تكون وحيدة.

3 ـ **وبنت الابن**؛ حتى وإن تدرجت في الانحدار التسلسلي إلى بنت ابن الابن؛ بشرط انفرادها عن بنت الصلب ووحدانيتها.

4 ـ **والأخت الشقيقة**؛ فيشترط فيها كي تحوز النصف؛ أن تكون وحيدة، وأن تنفرد عن البنت وبنت الابن.

5 ـ **والأخت لأب**؛ فلا بد أن تنفرد عن الشقيقة والبنت وبنت لابن، أن تكون وحيدة.

3
من يرث الربع

وَالرُّبْعُ سَهْمُ الزَّوْجِ إِنْ كَانَ الْوَلَدْ
وَمَعَ فَقْدِهِمْ لِزَوْجَةٍ وَرَدْ

أصحـــاب **الربـــع** همـــا: الـــزوج والزوجـــة.

1 ـ فالـــزوج: يـــرث الربـــع إذا كـــان للميـــت فـــرع آخـــر يحـــق لـــه الإرث؛ ســـواء كـــان ذكـــراً أم أنـــثى؛ أم كـــان منـــه أو مـــن أب آخـــر؛ أو ابـــن زنـــا؛ لأنـــه يلحـــق بأمـــه ويرثهـــا.مثـــل: الابـــن، وابـــن الابـــن، والبنـــت، وبنـــت الابـــن.

2 ـ الزوجـــة: أو الزوجـــات: تـــرث الربـــع إذا لـــم يكـــن للميـــت فـــرع آخـــر؛ ســـواء كـــان ذكـــراً أم أنـــثى؛ خـــرج منهـــا أو مـــن غيرهـــا؛ حـــتى وإن انحـــدر تسلسليـــاً مثـــل: الابـــن، وابـــن الابـــن، والبنـــت، وبنـــت الابـــن. وقـــد عبـــر **الأخضـــري** في نظمـــه عـــن الشـــرط في أحقيـــة الزوجـــة للربـــع، بفقـــد الفـــروع المذكـــورة؛ حيـــث قـــال: **"ومـــع فقدهـــم"**؛ عندهـــا يـــرد الربـــع للزوجـــة.

4
مـــن يـــرث الثمـــن

وَالثُّمْـــنُ سَهْمُهَـــا إِذَا مَـــا وُجِـــدَا

وأصحـــاب **الثمـــن** هي الزوجـــة، أو الزوجـــات في حـــال التعـــدد؛ عـــلى أن يشتـــرك معهـــا أو معهـــن فـــروع أخـــرى لهـــا حـــق في الإرث؛ ســـواء كانـــوا ذكـــوراً أم إناثـــاً؛ منهـــا أم

مـــن غيرهـــا؛ مثـــل: الابـــن، وابـــن الابـــن، والبنـــت وبنـــت الابـــن.

5

مـــن يـــرث الثلثيـــن

وَالثُّلُثَـــانِ لاِبْنَتَيْـــنِ وَرَدَا
وَابْنَـــتَيْ إِبْـــنٍ وَلأُخْتَيْـــنِ وَرَدْ

أمـــا أصحـــاب **الثلثيـــن**؛ فهـــم ــ كمـــا جـــاء في البيـــت ــ **أربعـــة**؛ وهـــم:

1 ــ البنتـــان فأكثـــر.

2 ــ بنتـــا الابـــن فأكثـــر: حـــتى وإن سلفـــن؛ أي انحـــدر التسلســـل إلى بنـــات ابـــن الابـــن؛ ويشتـــرط في ذلـــك انفرادهـــن عـــن البنـــت وبنـــت الابـــن.

3 ــ الأختـــان الشقيقتـــان فأكثـــر: ؛ ويشتـــرط أيضـــاً انفرادهـــن عـــن البنـــت وبنـــت الابـــن.

4 ــ الأختـــان لأب فأكثـــر: ويشتـــرط كذلـــك انفرادهـــن عـــن البنـــت وبنـــت الابـــن والشقيقـــة.

6

مـــن يـــرث الثلـــث

وَالثُّلْـــثُ لِلأُمِّ لَـــدَى فَقْـــدِ الْوَلَـــدْ

وَالأَخَوَيْنِ وَلأُخْوَةٍ لأُمْ
وَالْجَدُّ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ قَدْ عُلِمْ

وأصحاب **الثلث** ــ كما يقول **الأخضري** ــ **ثلاثة**؛ هم:

1 ــ الأم: على أن لا يكون ثمة فرع آخر وارث. وفي قوله تعالى: ((**فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ؛ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ**)).[1]

2 ــ الأخوين والإخوة: إخوة لأم؛ ويشترط أن يكون عددهم من اثنين فأكثر؛ سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً؛ فهم شركاء في الثلث. وقال مالك في هذا: (("**فإن كانوا أكثر من ذلك** [أي من اثنين]؛ **فهم شركاء في الثلث**"؛ **يقتسمونه بينهم بالسوية؛ للذكر مثل حظ الأنثيين**)).[2] ويشترط في ذلك كله؛ عدم وجود الفرع الأصلي الوارث. وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: ((**فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ**)).[3]

3 ــ الجد: ويحدث هذا في بعض الحالات؛ مثل أن يكون معه إخوة ذكوراً من ثلاثة فأكثر. وقد أقر

---

[1] سورة النساء، من الآية: **11**.

[2] موطأ الإمام مالك، رواية الليثي، ص: **341**.

[3] سورة النساء، من الآية:**12**.

مالك بن أنس هذا: **((عن مالك؛ أنه بلغه عن سليمان بن يسار؛ أنه قال: "فرض عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وزيد بن ثابت للجد مع الإخوة الثلث"))**.[1]

7
من يرث السدس

سُدْسٌ لِجَدٍ أَوْ أَبٍ لَدَى الْوَلَدْ
وَوَاحِدِ الإِخْوَةِ لِلأُمِّ وَرَدْ
وَالأُمِّ مَعْ إِخْوَةٍ أَوْ أَبْنَاءِ
وَهُوَ لِلْجَدَّةِ أَيْضاً جَائِي
وَلاِبْنَتِ إِبْنٍ مَعَ بِنْتِ الصُّلْبِ
وَمَعْ شَقِيقَةٍ لِذَاتِ الأَبِ

حددت هذه الأبيات أصحاب **السدس** ضمن **سبعة ورثة؛ هم:**

1 ــ الجد: على أن يكون للميت فرع آخر يحق له الإرث؛ سواء كان ذكراً أم أنثى؛ حتى وإن انحدر في التسلسل إلى الابن وابن الابن والبنت وبنت الابن

2 ــ الأب: يجري عليه ما يجري على الجد.

---

[1] موطأ الإمام مالك؛ رواية الليثي، ص: 344.

3 ــ الأخ للأم: لا بد ــ هنا ــ أن يكون الأخ للأم واحداً؛ سواء كان ذكراً أم أنثى.

4 ــ والأم: لا بد أن يكون ــ في هذه الحال ــ معها فرع آخر يرث الميت؛ وحتى وإن كان واحداً؛ سواء كان ذكراً أم أنثى؛ كالابن، وابن الابن، والبنت وبنت الابن؛ أو مجموعة من الإخوة يتجاوز عددهم الاثنين؛ ذكوراً أم إناثاً.

5 ــ الجدة: سواء كانت أم الأب وأمهاتها، أو أم الأم وأمهاتها؛ على أن لا تكون منفصلة بولد في كل الحالات؛ فترث السدس. أما إذا ما انفصلت بذكر فلا ترث.

6 ــ وبنت الابن: لا بد أن تكون مع بنت الصلب الواحدة.

7 ــ والأخت للأب: يشترط في وراثتها السدس؛ أن تكون مع شقيقة.

ونظرا لضيق المجال؛ نكتفي بهذا القدر من الشرح؛ على أن نكمل كتابة المنظومة كما هي؛ لأن الغرض من شرح هذه الأبيات في الفرائض؛ هو تقديم صورة نموذجية توضح للقارئ؛ الطريقة المتبعة في الفرائض من جهة؛ ومن جهة أخرى يتعرف على

مكانة **الأخضري** العلمية، ومنهجه في عرض المواد التعليمية على الراغبين في العلم.

وَأَعْطِ فَضْلَةً لِبَيْتِ المَالِ
فِي فَقْدِ عَاصِبٍ بِكُلِّ حَالِ
وَمَنْ يَرِثْ بِالجِهَتَيْنِ حَصَّلاَ
سِهَامَهُ وَمَا بَقِي إنْ فَضَلاَ
وَالعَوْلُ فِي تَزَاحِمِ السِّهَامِ
وَخَابَ عَاصِبٌ لَدَى الإتْمَامِ
الحَجْبُ إسْقَاطٌ وَنَقْصٌ فَاقْتَدِي
وَهَا أنَا بِحَجْبِ نَقْصٍ أبْتَدِي
فَيُصْرَفُ الزَّوْجُ لِرُبْعٍ بِالْوَلَدْ
وَزَوْجَةٌ لِثُمْنِهَا بِهِ تُرَدْ
وَالأُمُّ بِالإخْوَةِ وَالأوْلاَدِ
لِسُدُسٍ عَنْ ثُلْثِهَا المُعْتَادِ
كَرَدِّ بِنْتِ الإبْنِ بِنْتُ الصُّلْبِ
كَذَا شَقِيقَةٌ لِذَاتِ الأبِّ
وَالأخَوَاتُ عَاصِبَانٌ لِلْبَنَاتْ
وَإخْوَةٌ يُعَصِّبُونَ الأخَوَاتْ
إلاَّ ذَوِي الأمِّ

وَالإبْـــــــــنُ رَدَّا

لِلسُّـــدْسِ وَإبْنُــهُ أبــاً وَجَــدَّا

وَبِنْتُ الإبْنِ فَاسْتَمِـــعْ يَا سَائِـــلْ

يُعْصِبُهَـــا ابْنُ عَمِّهَـــا الْمُعَـــادِلْ

مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ وَابْنُ عَـــمٍّ أسْفَـــلُ

إنْ لَمْ تَكُـــنْ فِي الثُّلُثَيْـــنِ تَدْخُـــلُ

ذُكُـــورُ صُلْبٍ حَجَبُهُمْ قَدْ عَمَّـــا

مَـــنْ تَحْتَهُـــمْ وَإخْـــوَةً وَعَمَّـــا

ثُـــمَّ أبٌ أبَـــاهُ قَـــدْ أبَانَـــا

وَأمَّـــهُ وَالْعَـــمَّ وَالإخْوَانَـــا

وَالأمُّ أيْضـــاً تَحْجُـــبُ الجَـــدَّاتِ

جَـــدٌ لِمَـــنْ عَـــلاَهُ ذُو بَتَـــاتِ

وَإخْـــوَةً لِـــلأمِّ وَالأعْمَامَـــا

كَذَا بَـــنِي الإخْـــوَةِ قَدْ أضَامَـــا

وَالجَدَّتَـــانِ اقْتَسَمَـــا إنْ وُجِـــدَا

فِي رُتْبَـــةٍ أوْ ذَاتُ الأمِّ أبْعَـــدَا

وَإنْ تَـــكُ الَّـــتِي لِـــلأمِّ أقْرَبَـــا

فَتَحْجُبُ الأخْرَى بِحُكْـــمٍ وَجَبَـــا

لأنَّهَـــا الَّتِي بِهَا النَّـــصُ صَـــدَرْ

وَوَرَّثَ الأخْرَى أبُو حَفْصٍ عُمَـــرْ

وَالبِنْتُ ثُمَّ بِنْــتُ الإبْنِ تَحْجُــبُ

الأخَ لِــلأمِّ فَلَيْــسَ يَقْــرُبُ

وَتَحْجُــبُ البِنْتَــانِ بِنْتَ الإبْــنِ

مَا لَمْ يَكُــنْ أخٌ لَهَــا فَيُــدْنِي

أوْ ابْنَ عَــمٍّ إنْ يَكُــنْ مُسَاوِيــاً

فِي رُتْبَــةٍ أوْ نَــازِلاً لاَ عَالِيــاً

وَيَحْجُبُ الشَّقِيــقُ ذَا أبٍ وَعَــمْ

وَمَــا لَــهُ حَجْــبٌ عَلَى أخٍ لأمْ

وَهَكَــذَا أبْنَاؤُهُــمْ لِــلأَبَــدِ

كُــلٌّ قَرِيــبٍ حَاجِــبٌ لِلأبْعَــدِ

عَــمٌّ شَقِيقٌ حَاجِــبٌ لِــذِي أبٍ

وَهَكَــذَا أبْنَاؤُهُــمْ فِي الرُّتَــبِ

وَابْــنُ الشَّقِيــقِ صَــدَّهُ أخٌ لأبْ

وَالبِنْــتُ مَعْ شَقِيقَــةٍ أخْتــاً لأبْ

وَيَحْجُبُ الْعَــمَّ بَنُــو الإخْــوَانِ

وَالأخْــتَ لِــلأبِ الشَّقِيقَتَــانِ

إلاَّ إذَا تَكُــونُ مَــعْ أخِيهَــــا

فَإنَّــهُ حِينَئِــذٍ يُدْنِيهَــــا

مَنْ لَمْ يَرِثْ لَمْ يَحْجُبْ إلاَّ الإخْوَةَ

فَنَقْصُهُــم لِــلأمِّ وَالْجَــــدِّ أتى

وَكُلُّ مَنْ يَلْــقَى بِظَهْــرٍ أقْعَــدَا

أوْلَى مِنَ الَّــذِي بِظَهْــرٍ أبْعَــدَا

وَفِي اخْتِلاَفِ الطَّبَقَاتِ وَاسْتَــوَى

فِي الظَّهْرِ فَالأعْــلَى أحَقُّ بِالنَّــوَى

فَــإنْ تَسَــاوَوْا فَالشَّقِيــقُ أوْلَى

لأنَّــــهُ بِالْقُرْبَتَيْـــــنِ أدْلَى

وَكُلُّ مَنْ يُدْلِي بِشَخْــصٍ يَسْقُــطُ

بِــهِ سِــوَى الإخْــوَةِ لِلأمِّ قَــطُ

وَذَكَــرٌ كَأُنْثَيَيْــنِ فِي سِــوَى

الأخْــوَةِ لِــلأمِّ فَإنَّهُــمْ سَــوَا

وَمِثْلُهُــمْ فِي ذَلِــكَ الأشِقَّــا

فِي قِصَّــةِ الحِمَــارِ أيْضــاً حَقَّــا

مِــنْ ذَلِــكَ الْغَــرَّا فَرِيضَتَــانِ

زَوْجَــةٌ أوْ زَوْجٌ وَوَالِــــدَانِ

لِــلأمِّ ثُلْــثُ فَضْلِ كُلِّ مَسْألَــهْ

عَلَى خِــلاَفِ مَا مَضَى مُفَصَّلَــهْ

كَــذَا الْحِمَارِيَّــةُ وَالْمُشْتَرَكَــهْ

يَدْعُونَهَــا بِاسْمَيْــنِ أهْلُ الْمَلَكَــهْ

أمٌّ أشِقَّــــا إخْــــوَةٌ لأمِّ

وَالــزَّوْجُ فَالسُّدْسُ نَصِيــبُ الأمِّ

وَالثُّلْـثُ لِلإِخْـوَةِ لِـلأُمِّ وَرَدْ

وَالنِّصْـفُ لِلزَّوْجِ فَإِذْ تَمَّ العَـدَدْ

قَالَ الأَشِقَّـاءُ عِنْدَمَا قَضَى عُمَـرْ

هَبْكُـمْ أَبَانَـا كَالْحِمَـارِ يُعْتَبَـرْ

لأَنَّنَـا نَحْـنُ إِذَا سَـوَاءُ

مِـنْ جِهَـةِ الأُمِّ فَمَـا القَضَـاءُ

فَقَسَـمَ الثُّلْـثَ عَلَى الجَمِيـعِ

لَكِـنْ عَلَى الـرُّؤُوسِ بِالتَّوْزِيـعِ

فَإِنْ يَكُنْ جَـدٌّ فَزَيْـدٌ اعْتَبَـرْ

سُدْسـاً لَهُ وَلِلأَشِقَّـا مَا غَبَـرْ

وَمَالِـكٌ أَعْطَـاهُ مَـا تَبَـقَّى

جَمِيعـاً إِذْ يَقُـولُ لِلأَشِقَّـا

مِنْ جِهَـةِ الأُمِّ وَرِثْتُـمْ وَأَنَـا

أَحْجُـبُ كُلَّ مَـنْ بِأُمِّـهِ دَنَـا

فَـإِنْ يَكُونُـوا لأَبٍ فَتَنْسَـبُ

لِمَالِـكٍ وَكُلُّهُـمْ يُخَيَّـبُ

وَالجَـدُّ فِي انْفِـرَادِهِ فَعَاصِـبْ

إِلاَّ إِذَا كَـانَ هُنَـاكَ حَاجِـبْ

وَمَعْ ذَوِي السِّهَـامِ ذُو نَصِيـبِ

وَيَأْخُـذُ البَـاقِيَ بِالتَّعْصِيـبِ

وَمَــعَ إخْــوَةٍ فَيُعْــطَى الأفْضَــلُ

مِنْ قَسْمٍ أوْ ثُلْــثٍ لَــهُ يُكَمَّــلُ

وَمَــعْ كِلَيْهِمَــا فَثُلْــثُ التَّــالِي

أوْ قَسْمُــهُ أوْ سُدْسُ كُــلِّ المَــالِ

وَالأخُ لِــلأبِ عَلَيْــهِ يُحْسَــبُ

وَلِلشَّقِيــقِ مَــا لِــذَاكَ يُنْسَــبُ

فَإنْ يَكُــنْ شَقِيقَتَــانِ أوْ شَقِيــقْ

فَمَا لِذِي أب إلَى الإرْثِ طَرِيــقْ

فَإنْ تَكُــنْ شَقِيقَــةٌ فَــإنْ تَلَــتْ

أخْــتٌ فَمِنْ نَيْلِ التُّرَاثِ حُظِلَــتْ

وَإنْ تَــلاَ أخٌ أوْ أخْتَــانِ فَمَــا

فَوْقُ فَالبَاقِي عَلَى النِّصْفِ أُحْكُمَــا

وَقَاسَمَتْــهُ الأخْــتُ فِي البَقِيَّــهْ

إلاَّ الَّــتِي تُــدْعَى بِالأكْدَرِيَّــــهْ

زَوْجٌ وَجَــدٌ أمٌّ أخْــتٌ لأب

فَالنِّصْفُ لِلزَّوْجِ وَجَــدٌّ قَدْ حُــبِي

بِالسُّــدْسِ وَالثُّلْثُ لِــلأمِّ كَمُــلاَ

ثُمَّ أعِــلْ لِلأخْــتِ نِصْفَ الْمَسْألاَ

وَاجْمَعْ سِهَامَ الْجَدِّ وَالأخْتِ مَعَــا

وَأعْطِــهِ ثُلْثَيْــنِ مِمَّــا اجْتَمَعَــا

أبٌ يَكُــونُ عَاصِبــاً إذَا انْفَــرَدْ

وَافْرُضْ لَهُ سُدْساً إذَا كَانَ الوَلَــدْ

وَمَــعْ ذَوِي السِّهَــامِ بِالْوَجْهَيْــنِ

الْفَــرْضِ وَالتَّعْصِيــبِ دُونَ مَيْــنِ

أَفْرُضْ لِخُنْثَى مُشْكِلٍ نِصْفَ الذَّكَرْ

وَنِصْفَ حَظِّ امْــرَأَةٍ بِــلاَ حَــذَرْ

وَحَيْثُمَــا الإِشْكَالُ عَنْــهُ ذَهَبَــا

فَانْسُبْــهُ لِلَّــذِي عَلَيْــهِ غَلَبَــا

لِعَاصِــبٍ إِرْثُ الْــوَلاَءِ يَحْصُــلُ

وَلَيْــسَ فِيــهِ لِلإِنَــاثِ مَدْخَــلُ

إِلاَّ بِعِتْــقٍ أَوْ بِجَــرٍّ وَحَجَــبْ

مَنْ يَرِثُ الْوَلاَءَ عَاصِبُ النَّسَــبْ

وَهْوَ لأَِدْنَى النَّــاسِ بِالَّــذْ أَعْتَقَــا

يَــوْمَ يَمُــوتُ مُعْتَــقٌ مُحَقَّقَــا

لِمُعْتِــقٍ ثُــمَّ ابْنِــهِ ثُــمَّ الأَبِ

ثُــمَّ الأَخِ الشَّقِيــقِ ثُمَّ ذِي الأَبِ

ثُــمَّ ابْنِ ذَاكَ فَابْــنِ ذَا فَالْجَــدِّ

فَالْعَــمِّ فَابْنِــهِ بِغَيْــرِ حَــدِّ

وَهَاهُنَــا انْتَــهَى بِنَــا الْمَقَــالُ

فِي الفِقْــهِ ثُمَّ بَعْــدَهُ الأَعْمَــالُ

*****

ثالثاً ـ متن الأخضري في العبادات:

وضع **الأخضري** هذا المختصر ـ نثراً ـ في فقه العبادات على مذهب الإمام **مالك بن أنس**. وقد طبع عدة مرات: منها طبعة **الجزائر**، وطبعة **مصر**؛ التي شرحها **عبد اللطيف بن المسبح المرداسي القسنطيني** (توفي سنة 980هـ/1572م.)، ثم طبعة أخرى صححها وراجعها الشيخ **حبيب الله الشنقيطي المالكي**؛ برعاية المكتبة المحمدية **بالقاهرة**، والمكتبة الأهلية بواد مدني **بالسودان**؛ وقد حظيت بالحصول على نسخة **ابن المسبح**، ونسخة **الشنقيطي**.

هذا؛ وقد قمت بإعداد بعض التعاليق والإحالات الضرورية؛ أضفتها في هوامش ما

أثبته ـ هنا ـ من متن **الأخضري**؛ بغرض الزيادة في التوضيع، وسهولة الطرح؛ فأرجوا من الله أن تفيد القارئ الكريم؛ كما ألتمس العذر عن كل تقصير ظهر فيها.

المهم؛ أن **الأخضري** بدأ مختصره في العبادات هذا ـ المعنون بـ**"متن الأخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك بن أنس"** ـ بفقرات استهلها في البداية بعنوان مصغر؛ جاء فيه: **(أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ)**[1] ثم ختمه بـ**"باب السهو"** الذي توسع فيه بعض الشيء.[2] ومن خلال ما جاء في متن العبادات هذا يتبين

---

[1] المكلف بالشيء: المولع به. والمقصود ـ هنا ـ هو الإنسان العاقل البالغ؛ بحيث يستطيع التمييز والنظر. وهو المكلف بالصلاة والصوم والعبادات كافة، والمعني بترك المحرمات كـ: الزنا والسرقة وأكل السحت وغيره.

[2] السهو: نسيان الشيء والغفلة عنه.

أن **الأخضري** لم يتمكن من إكماله. وآخر ما جاء في المتن هذا هو : **سهو الإمام.** وقد تضمن **متن الأخضري** عدة فصول صغيرة؛ هي:

1 ـ فصل في مبحث الإيمان:[1] استهله **الأخضري** بفقرات يحدد فيها الشروط الواجب توفرها في **المكلف**؛ لتصحيح إيمانه؛[2]

---

[1] في الإيمان: يقول تعالى: ((لَيْسَ البِرَّ أنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ؛ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالمَلائِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنَبِيِّينَ، وَآتَى المَالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ، وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَكَاةَ، وَالمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إذَا عَاهَدُوا، وَالصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ؛ أُولَئِكَ الَذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ المُتَقُونَ)). سورة البقرة، الآية: 177. وَالبِرُّ هنا يعني: الصدق والطاعة والإيمان والعبادة والتُّقى. وفي الحديث: ((عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بارزاً للناس؛ فأتاه رجل فقال: "يا رسول الله؛ ما الإيمان".؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر...))؛ إلى آخر الحديث. صحيح مسلم، ج: 1، ص ص: 161 ـ 162.

[2] يصحح المكلف إيمانه بـ: السعي لمعرفة الله بصفاته؛ وهي: الوجود: الذي يقول فيه سبحانه وتعالى: ((اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ؛ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)). سورة الزمر، الآية: 62. ويقول: ((أَفِي اللَّهِ شَكٌّ؟ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)). سورة إبراهيم، من الآية: 10. إذن فلا يمكن أن يتوهم

وتتلخص في الأعمال والواجبات؛ التالية: فلكي يصحح إيمانه؛ يتوجب عليه إدراك ما يلزمه لإصلاح فرض عينه[1] من: **طهارة وصلاة وصيام...** كما يتوجب عليه صيانة

صاحب العقل الراجح أن هذا الكون المحكم الترتيب؛ قد وجد بدون صانع له، أو ضابط لحركته وسننه. ثم القدم: إذ لا بد من التيقن بأن الله قديم قدم الأزل؛ فهو أول كل شيء وقبل أي شيء؛ لأنه لو لم يكن قديماً لاحتاج إلى محدث؛ ومحدثه يحتاج إلى محدث؛ وهكذا إلى ما لا نهاية؛ ؛ حتى يصل الأمر إلى المحدث القديم وهو الأول والأقدم؛ خالق كل شيء في هذا العالم؛ وهو الله. ثم البقاء: فهو الأزلي والأبدي الواحد الأحد والظاهر والباطن؛ ((لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه)). أنظر في هذا كتاب إحياء علوم الدين، ج: 1، ص: 184. ثم معرفة رسله الصادقين والأمناء، المبلغين لأمر الله ونهيه؛ والإيمان بهم وبرسالتهم الصادقة؛ لأن حاجة البشرية للأنبياء مثل حاجتها للأطباء: ((ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة، ويعرف صدق النبي بالمعجزة)). إحياء علوم الدين، ج: 2، ص: 6.

[1] الفرض: فرض عين، وفرض كفاية. وفرض عين هو ما ذكره الأخضري من: طهارة وصلاة وصيام .. إلخ، أما فرض كفاية: ((فهو كل علم لا يستغني عنه في قوام أمور الدنيا: كالطب ؛ إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب ؛ فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما. وهذه العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حَرِجَ أهْلُ البلدِ، وإذا قام بها واحد كفي وسقط الفرض عن الآخرين)). إحياء علوم الدين، ج: 1، ص: 28.

حدود الله،[1] والمحافظة عليها؛ بالالتزام بما يأمر به، والبعد عما ينهى عنه.[2] ثم يتكلم عن **"شروط التوبة"**[3] التي تستهل

---

[1] حدود الله: هي العقوبة التي يتوجب تنفيذها فيمن خالف أمر الله وأمر رسوله؛ وهي نوعان: عقوبة تنفذ في حق القاذف والزاني والسارق، وعقوبة تنفذ فيمن عصى وخالف ما أمر به الله من تحريم وتحليل. يقول سبحانه وتعالى: ((وَالنَّاهُونَ عَنِ المُنكَرِ وَالحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ؛ وَبَشِّرِ المُؤمِنِينَ)). سورة التوبة، من الآية: **112**. ويقول: ((وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)). سورة النساء، الآية: **14**.

[2] ما ينهى عنه الله سبحانه وتعالى هو: ((قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ؛ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ؛ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ؛ وَلاَ تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ؛ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالمِيزَانَ بِالقِسْطِ؛ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا؛ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ؛ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)). سورة النساء، الآيات من: **151** إلى **153**.

[3] نقول: تاب الإنسان: أي رجع عن ذنبه وأناب إلى الطاعة. ويقول سبحانه وتعالى: ((وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا المُؤمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)). سورة النور، من الآية: **31**. ثم يقول: ((فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ؛ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)). سورة المائدة، الآية: **39**. وفي الحديث: ((قال أبو هريرة: سمعت رسول الله صلى عليه

بالندم على ما فات من خطايا، وإبداء النية في عدم العودة لارتكاب الذنوب، وترك المعصية[1] في الحين؛ لأن التوبة لا يجوز تأجيلها.[2] ثم يتكلم عن ضرورة

وسلم يقول: والله إني لأستغفر الله وأتوب في اليوم أكثر من سبعين مرة)). صحيح البخاري، ج: 7، ص: 145.

[1] نقول: عَصَاهُ عَصْياً وعِصْيَاناً ومَعْصِيَة فهُوَ عَاصٍ وعَصِيٌّ؛ جَمْعُ عُصَاة: أي خالف أمره ولم يطعه. قال الله تعالى: ((ومَنْ يَعْصِ اللهَ ورَسُولَهُ ويَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا ولَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)). سورة النساء، الآية: 14. ويقول: ((ولَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إلَيْكُمُ الإيمَانَ وزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وكَرَّهَ إلَيْكُمُ الكُفْرَ والفُسُوقَ والعِصْيَانَ؛ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)). سورة الحجرات، من الآية: 7. وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ والطَّاعَة فِيمَا أَحَبَّ وكَرِهَ إلاَّ أنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ؛ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ ولاَ طَاعَةَ)). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 120.

[2] قال تعالى: ((فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ؛ إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)). سورة المائدة، الآية: 39. ويقول: ((إلاَّ مَنْ تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً؛ فأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ؛ وكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً. ومَنْ تَابَ وعَمِلَ صَالِحاً فإنَّهُ يَتُوبُ إلى اللهِ مَتَاباً)). سورة الفرقان، الآيتين: 70 ـ 71. وكتب الإمام الحافظ النووي: ((قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب؛ فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى؛ لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط: أحدها أن يقلع عن المعصية [أي يكف عنها فوراً]، والثاني أن يندم على فعلها، والثالث أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً؛ فإن [غاب] أحد الثلاثة لم تصح توبته. وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة؛ هذه الثلاثة؛ وأن يبرأ من

حفظ اللسان[1] [وهو صيانته من كل ما يشينه من قول منكر] أو النطق **بفاحش**،[2]

حق صاحبها؛ فإن كانت مالاً أو نحوه رد إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها. ويجب أن يتوب من جميع الذنوب؛ فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي)). رياض الصالحين، ص: 6.

[1] يقول سبحانه وتعالى: ((فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً)). سورة النساء، من الآية: 9. ويقول: ((مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً)). سورة النساء، الآية: 46. وفي الحديث: ((عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)). صحيح مسلم، ج: 18، ص: 117. وقال عليه السلام أيضاً: ((امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ)). سنن الترميذي، ج: 4، ص: 31. وهو حديث حسن. وسأل سفيان بن عبد الله الثقفي رسول الله صلى اللته عليه وسلم فقال: ((يا رسول الله؛ ما أخوف ما تخاف علي؟ فاخذ بلسان نفسه ثم قال: "هذا)). سنن الترميذي، ج: 4، ص: 32. حديث حسن صحيح. يقول الإمام الغزالي: ((حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء، وإلزامه السكوت، وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن)). إحياء علوم الدين، ج: 3، ص: 39.

[2] الفاحش: القبيح من القول والفعل. وينهى سبحانه وتعالى عن الفواحش: ((وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ؛ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)). سورة الأنعام، من الآية: 151. وفي الحديث: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لاَ أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ؛ وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا

ويجب عليه – كما يقول – حفظ لسانه من استسهال **أيمان الطلاق**[1] بغير مسوغ ضروري، ولابد أيضاً من الابتعاد عن إهانة الناس[2] قولاً وفعلاً، والامتناع عن

بطن؛ ولا أحد أحب إليه المدح من الله)). صحيح مسلم، ج: 17، ص: 77. وعن أنس: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما كان الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه)). سنن الترمذي، ج: 3، ص: 225. و((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش ولا البذي)). سنن الترمذي، ج: 3، ص: 236. حديث حسن. وعن عبد الله بن مسعود: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سباب المسلم فسوق وقتاله فسوق)). سنن الترمذي، ج: 4، ص: 132.

[1] يقول سبحانه وتعالى: ((ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم؛ أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس؛ والله سميع عليم)). سورة البقرة، الآية: 224. ((ولا تطع كل حلاف مهين)). سورة القلم، الآية 10. وفي الحديث عن أبي هريرة: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاثة جدهن جد، وهزلهن جد: النكاح والطلاق والرجعة)). سنن الترمذي، ج: 2، ص: 328.

[2] أهان الناس: استخف بهم واحتقرهم. وفي قوله تعالى: ((ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب؛ بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان؛ ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون)). سورة الحجرات، من الآية: 11. وفي قوله: ((لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم؛ وكان الله سميعاً عليماً)). سورة النساء، الآية 148.

ترويعهم وتخويفهم بدون حق شرعي.[1] كما يجب على المكلف أيضاً أن يغظ الطرف ويحفظ بصره من المشاهد المُحَرَّمَة.[2] ومطلوب أيضاً من المكلف أن يحفظ جوارحه كلها من الزيغ[3] والمعصية. وأن

---

[1] قال سبحانه وتعالى: ((وَسَيَعْلَمُ الذينَ ظلمُوا أيّ مُنقلَب يَنقلبُون)). سورة الشعراء، من الآية: 227. وفي الحديث: ((أن رسول الله صلى اللته عليته وسلم قال: اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)). صحيح مسلم، ج: 16. وقال: ((المسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 49.

[2] قال سبحانه وتعالى: ((قُلْ للمُؤمنينَ يَغضُوا مِنْ أبْصَارِهِمْ ويَحْفَظُوا فرُوجَهُمْ؛ ذلكَ أزكَى لهُمْ؛ إنّ اللّهَ خبيرٌ بمَا يَصْنَعُونَ)). سورة النور، الآية: 30. وفي الحديث؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((النظرة سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله؛ فمن تركها خوفاً من الله أتاه الله عز وجل إيماناً يجد حلاوته في قلبه)). إحياء علوم الدين، ج: 3، ص: 38.

[3] زَاغَ زَيْغاً وزَيَغاناً: اعْوجّ ومَالَ، والزَّيْغُ: المَيْلُ عَنِ الحَقّ والشّكُّ فِيهِ. (القاموس). ويقول سبحانه وتعالى: ((هُوَ الذِي أنْزَلَ عليْكَ الكِتَابَ؛ مِنهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ؛ هُنّ أمُّ الكِتَابِ؛ وأخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ؛ فأمّا الذِينَ فِي قلوبِهِمْ زَيْغٌ فيَتّبِعُونَ مَا تشَابَهَ مِنْهُ؛ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وابْتِغَاءَ تأوِيلِهِ؛ ومَا يَعْلَمُ تأوِيلَهُ إلاّ اللّهُ والرّاسِخُونَ فِي العِلْمِ؛ يَقولُونَ آمَنّا بِهِ؛ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبّنَا؛ ومَا يَذكّرُ إلاّ أولُوا الألبَابِ. رَبّنَا لاَ تُزِغْ قلوبَنَا بَعْدَ إذ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لنَا مِنْ لدُنْكَ رَحْمَةً إنّكَ أنْتَ الوَهّابُ)). سورة آل عمران، الآيتين: 7 ـ 8.

يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛[1] ثم يعدد **الأخضري** بعض الصفات المخالفة للخلق الإسلامي ومقتضى الشرع:

((ويحرم عليه الكذب[2] [أي يحرم الكذب على المكلف]، **والغيبة** [أي التعرض

---

[1] يقول تعالى: ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ؛ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ؛ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ؛ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ))، سورة آل عمران، الآية: 110 وفي الحديث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار؛ فتندلق أقتاب بطنه [أي أمعاؤه]؛ فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى؛ فيجتمع عليه أهل النار فيقولون: "يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟" فيقول: "بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه")). صحيح مسلم، ج: 18، ص: 118. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده؛ فإن لم يستطع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان)). صحيح مسلم، ج: 2، ص: 22.

[2] يقول الله سبحانه وتعالى: ((إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ؛ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ)). سورة النحل، الآية: 105. ويقول: ((وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ)). سورة الحج، من الآية: 30. ويقول: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ)). سورة الصف، الآيتين: 2. 3. ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة، وتجنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة)). الأخلاق والواجبات، ص: 62.

للناس بالطعن والإساءة في غيبتهم] **والنميمة**[1] [وهي الفعل المشين الذي يقوم به من يتحرش بالآخرين ليوقع بينهم الفتنة؛ بالخبث والكذب الناعم]، **والكِبْر والعُجْب**[2]

---

[1] في الغيبة يقول تعالى: ((يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ؛ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ؛ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً؛ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ؛ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ)). سورة الحجرات، الآية: 12. أما النميمة لغة؛ فنقول فيها: نَمَّ نَمّاً ونَمِيمَة ونميماً به ونم عليه: وَشَى: سَعَى بِهِ لِيُوقِعَ فِتْنَةً أَوْ وحْشَةً. (القاموس). ويقول سبحانه وتعالى: ((هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ)). سورة القلم، الآية: 11. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يدخل الجنة نمام)). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 228.

[2] يقول سبحانه وتعالى في الكبر: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً)). سورة النساء، من الآية: 36. ويقول: ((لاَ جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ؛ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ المُسْتَكْبِرِينَ)). سورة النحل، الآية: 23. ويقول: ((وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً؛ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً)). سورة الإسراء، الآية: 37. وفي الحديث: ((عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر)). رياض الصالحين، ص: 114. أما العُجْبُ: فهو الزهو والكبر. وقال الله سبحانه وتعالى في هذا: ((وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً؛ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)). ومعنى "لا تصعر خدك للناس": هو النهي عن إمالة الوجه عن رؤية الناس؛ من فرط التكبر والتهاون بهم. سورة لقمان، الآية: 18. ومن أمثلة العُجْب التي ذكرها الله في كتابه العزيز؛ مثال ذلك الرجل الذي ملكه العجب؛ عندما رأى جنته محفوفة بالأشجار؛ ومزدانة بمياهها الجارية؛ فقال لصاحبه: ((أَنَا أَكْثَرُ

[الكبر هو التجبر والعظمة والإثم العظيم؛ أما العُجْب فهو التكبر في زهو وتيه وتعاظم]، **والرياء والسَّمْعَة**[1] [الرِّياء والرِّءَاء هو الفعل المقصود به إظهار صفات الخير

منكَ مالاً وأعزُّ نفراً. ودَخَلَ جنّتَهُ وهُوَ ظالمٌ لنفسِه؛ قالَ: ما أظنُّ أنْ تبيدَ هذهِ أبداً. ومَا أظنُّ السّاعَةَ قائمَةً؛ ولئنْ رُدِدتُ إلى ربّي لأجِدَنَّ خيْراً منهَا مُنقلباً. قالَ لهُ صاحبُهُ وهُوَ يُحاورُهُ: أكفرْتَ بالّذي خلقَكَ منْ تُرابٍ ثُمَّ منْ نطفةٍ ثُمَّ سوّاكَ رجُلاً؟. لكنّا هُوَ اللّهُ ربّي؛ ولاَ أشْرِكُ بربّي أحَداً. ولَوْلا إذْ دَخَلْتَ جنّتَكَ قلتَ: مَا شاءَ اللّهُ لا قُوّةَ إلاَّ باللّه؛ إنْ تَرَنِ أنَا أقَلَّ منكَ مالاً وولَداً. فعَسى ربّي أنْ يُؤتيَنِ خيْراً منْ جنّتكَ ويُرْسِلُ عليْهَا حُسْبَاناً منَ السّماءِ؛ فتصبِحَ صعيداً زلقاً. أوْ يُصْبحَ ماؤهَا غَوْراً؛ فلنْ تستَطيعَ لهُ طلباً. وأُحيطَ بثَمَرِهِ؛ فأصبَحَ يُقلّبُ كفّيْهِ علَى مَا أنفقَ فيهَا وهِيَ خاويَةٌ علَى عُرُوشِهَا؛ ويقُولُ: يَاليْتَنِي لَمْ أشْرِكْ بربّي أحَداً)). سورة الكهف، الآيات من: 32 إلى 42. وفي الحديث عن أبي هريرة: ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً)). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 114.

[1] يقول سبحانه وتعالى في الرياء: ((يَا أيُّهَا الذينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بالمَنِّ والأذى؛ كالّذي يُنفِقُ مالَهُ رِئاءَ النّاسِ ولاَ يُؤمِنُ باللّهِ واليَوْمِ الآخِرِ؛ فمَثلُهُ كمَثَلِ صفْوانٍ عليْهِ تُرابٌ فأصابَهُ وابِلٌ فتركَهُ صلْداً لاَ يَقْدِرُونَ علَى شيْءٍ ممّا كسَبُوا واللّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الكافِرِينَ)). سورة البقرة، الآية، 264. وفي الحديث: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ يُسَمِّعْ يُسَمِّعِ اللّهُ بِهِ ومَنْ يُرَائِ يُرَائِ اللّهُ بِهِ)). أي من سَمَّعَ الناس بعمله بغرض الرياء؛ سَمَّعَ الله به وكشفه يوم القيامة. صحيح مسلم، ج: 18، ص: 116. وكل هذا يتفق مع ما سبق ذكره عن الرياء.

والصلاح لكي يراها الناس؛ بينما هي على خلاف الواقع]؛ أما **السَّمْعَة** [وَالسُّمْعَة: فهو التنويه بالعمل لِيُرَى وَيُسْمَع]، **والحسد والبغض** [فالحسد هو تمني زوال النعمة عن الآخرين؛ أما البغض فهو نقيض الحب، وهو الشنآن والكراهية والمقت والعداء]، **ورؤية الفضل على الغير** [أي ظهور الحسد والبغض عند رؤية علامات الفضل على الآخرين] **والهمز واللمز**[1] [الهمز

---

[1] يقول سبحانه وتعالى في الحسد: ((قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَق. مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ. وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ. وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَد. وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)). سورة الفلق. وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: ((ليس مني ذو حسد)). الأخلاق والواجبات، ص: 158. وقوله عليه الصلاة والسلام: ((الغل والحسد يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب)). الأخلاق والواجبات، ص: 158. وقال صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن يغبط والمنافق يحسد)). الأخلاق والواجبات، ص: 159. ويقول سبحانه وتعالى في البغض والشنئان: ((إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر)). سورة الكوثر، الآية: 3. ويقول: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ؛ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا؛ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى، وَاتَّقُوا اللَّهَ؛ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)). سورة المائدة، الآية: 8. وفي الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تباغضوا ولا

واللمز لهما معنى واحد تقريباً؛ غير أن الهمز هو الفعل المؤذي في غياب المتأذى، أما اللمز فهو الفعل المؤذي في حضور المتضرر؛ ويكون في الغالب الهمز بالعين، أما اللمز فباللسان.] **والعبث والسخرية**[1] [العبث هو الأمر الذي لا فائدة فيه؛ أما السخرية فهي الاستهزاء بالآخر]، **والزِّنا**

تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا؛ وكونوا عباد الله إخواناً؛ ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 234. ويقول الله تعالى: ((وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ)). سورة الهمزة، الآية: 1. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس)). الأخلاق والواجبات، ص: 163. ويقول: ((إن أبغضكم إلى الله المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الإخوان، الملتمسون للبراء العثرات)). أي الباحثون عن عثرات وهفوات يوصمون بها الأبرياء. الأخلاق والواجبات، ص: 166.

[1] يقول الله تعالى: ((أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ. وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ)). سورة الشعراء، الآيتين: 128 ــ 129. ويقول: ((أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً، وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ)). سورة المؤمنون، الآية 115. ويقول تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ، وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ، وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ، وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ؛ بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ؛ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)). سورة الحجرات، الآية: 11.

[وهو إتيان المرأة من غير عقد شرعي] **والنظر إلى الأجنبية والتلذذ بكلامها،**[1] **وأكل أموال الناس بغير طيب نفس**[2] [أي بدون رضاهم في داخلهم] **والأكل بالشفاعة**

---

[1] يقول سبحانه وتعالى: ((وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى؛ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً)). سورة الإسراء، الآية: 32. يقول سبحانه وتعالى في ضرورة غض البصر: ((قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)). سورة النور، الآية: 30. ويقول: ((إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً)). سورة الإسراء، من الآية: 36. ويقول: ((يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)). سورة غافر، الآية: 19. ((إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)). سورة الفجر، الآية: 14. وفي الحديث: ((عن النبي r قال: إياكم والجلوس في الطرقات. قالوا: "يا رسول الله مالنا من مجالسنا بد نتحدث فيها". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه". قالوا: "وما حق الطريق يا رسول الله؟" قال: "غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي ع، المنكر")). حديث متفق عليه. رياض الصالحين، ص: 242.

[2] يقول سبحانه وتعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً؛ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً؛ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً)). سورة النساء، الآية: 10. ويقول: ((وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمّاً. وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً)). سورة الفجر، الآيتين: 19 ـ 20. ويقول: ((سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ)). والسحت هنا هي الرشوة. سورة المائدة: من الآية: 42. ويقول: ((وَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ؛ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)). سورة المائدة، الآية: 62.

أو بالدين[1] [أي أكل أموال الناس عن طريق الشَّفاعَةِ أو بسبب الدَّيْنِ]، وتأخير الصلاة عن أوقاتها[2] ولا يحل له صحبة

---

[1] الشفاعة: المطالبة بوسيلة أو ذمام؛ وهي الانضمام إلى آخر بغرض نصرته؛ على أن يتم انضمام من هو أعلى مقاماً لنصرة من هو أدنى منه؛ فيقولون شفع فلان في فلان. وما يقصده الأخضري هنا هو أكل أموال الناس في مقابل الشفاعة لهم، أو بدين يؤخذ من الغير بالضغط عليهم أو بربى. وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: ((وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ، وَتُدْلُوا بِهَا إلى الحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)). سورة البقرة، الآية: 188. ويقول: ((يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا؛ لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً؛ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)). سورة آل عمران، الآية: 130.

[2] قال سبحانه وتعالى: ((فَوَيْلٌ لِلمُصَلِّينَ. الذينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ)). سورة الماعون، الآيتين: 4 ــ 5. ويقول: ((حَافِظُوا عَلى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)). سورة البقرة، الآية: 238. ويقول: ((إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلى المُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً)). سورة النساء، من الآية: 103. ويقول: ((إِنَّ المُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ؛ وَهُوَ خَادِعُهُمْ؛ وَإِذَا قَامُوا إلى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً)). سورة النساء، الآية: 142. ويقول: ((إِلاَّ المُصَلِّينَ. الذينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ)). سورة المعارج، الآيتين: 22 ــ 23. وفي الحديث : ((عن ابن مسعود t قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم "أي الأعمال أفضل"؛ قال: "الصلاة على وقتها". قلت: "ثم أي"؛ قال: "بر الوالدين"؛ قلت: "ثم أي"؛ قال: "الجهاد في سبيل الله")). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 174.

فاسق ولا مجالسته لغير ضرورة[1] ولا يطلب رضا المخلوقين بسخط الخالق؛ قال الله تعالى: "والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين"[2] وقال عليه الصلاة والسلام: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"،[3] ولا يحل له أن يفعل فعلا حتى

---

[1] يقول سبحانه وتعالى: ((وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ: أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا؛ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ؛ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ؛ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا)). سورة النساء، الآية: 140. ويقول: ((وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ؛ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)). سورة الأنعام، الآية: 68. وفي الحديث يقول صلى الله عليه وسلم في مجالسة أهل الصلاح والإعراض عن أصحاب السوء: ((إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء؛ كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك إمّا أن يُحْذِيَكَ [أي يعطيك]، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة؛ ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة)). صحيح مسلم، ج: 16، ص: 178.

[2] الآية كاملة هكذا: ((يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ)). سورة التوبة، الآية: 62.

[3] وجاء هذا الحديث أيضاً هكذا: ((لا طاعة في معصية الله؛ إنما الطاعة في المعروف)). صحيح مسلم، ج: 12، ص: 227. ومعالم السنن، ج: 2، ص: 266. وورد أيضاً: ((عن النبي صلى اللع عليه وسلم قال: على المرء

يعلم حكم الله فيه ويسأل العلماء ويقتدي بالمتبعين لسنة محمد صلى الله عليه وسلم؛ الذين يَدُلُّونَ على طاعة الله ويحذرون من إتباع الشيطان، ولا يرض لنفسه ما رضيه المفلسون[1] الذين ضاعت أعمارهم في غير طاعة الله تعالى؛ فيا حسرتهم، ويا طول بكائهم يوم القيامة. نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لإتباع سنة نبينا وشفيعنا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية؛ فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 120.

[1] المفلس هو كما قال رسول الله r لأصحابه: (("أتَدْرُونَ مَا المُفْلِسُ؟" قالوا: "المُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ ولاَ مَتَاعٌ" فقال: "إنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وزَكَاةٍ؛ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا؛ فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ؛ فَإنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ؛ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ)). صحيح مسلم، ج: 16، ص ص: 135 ـ 136.

2 ــ فصل في الطهارة: ويبدأه **الأخضري** بتقسيم الطهارة إلى قسمين: طهارة حدث، وطهارة خبث؛ وإزالتهما لا تصح إلا بالماء الطاهر المطهر؛ ويصفه بقوله: **((وهو الذي لم يتغير لونه أو طعمه أو رائحته؛ بما يفارقه غالباً كالزيت والسمن والدسم كله والوذح[1] والصابون والوسخ ونحوه؛ ولا بأس بالتراب والحمأة والسبخة والآجر ونحوه)).**

ويتكلم بعد ذلك **الأخضري** في موضوع **النجاسة** وشروط إزالتها. ثم يدخل في موضوع **الوضوء** وفرائضه السبع، وسننه، وفضائله. وبعدها يشير إلى **نواقض**

---

[1] الوذح: هو كل ما علق في أصواف الغنم من بَعْرٍ وبَوْلٍ.

الوضوء بأحداثها وأسبابها. ثم يحذر من القيام ببعض الأعمال دون وضوء؛ مثل **الصلاة والطواف ومس نسخ القرآن** إلا في حال التعليم. ثم يتطرق لموضوع **الغسل** بفرائضه وسننه وفضائله؛ ويقول بأنه مطلوب في ثلاث حالات: **الجنابة والحيض والنفاس.** وكذلك **التيمم** بفرائضه وسننه ونواقضه التي قال فيها: **((كالوضوء؛ ولا تصلى فريضتان بتيمم واحد؛ ومن تيمم لفريضة جاز له النوافل بعدها، ومس المصحف والطواف والتلاوة؛ إن نوى ذلك، واتصلت بالصلاة؛ ولم يخرج الوقت، وجاز بتيمم النافلة كل ما ذكر إلا الفريضة، ومن صلى العشاء بتيمم قام للشفع والوتر بعدها من غير تأخير.**

ومن تيمم من جنابة فلا بد من نيتها)).

3 ـ فصل في الحيض: وبعد أن صنف **الأخضري** النساء ـ في هذا الباب ـ إلى **مبتدأة ومعتادة وحامل،** وبعد تقديره للأيام التي تتعرض فيها النساء للحيض؛ يقول: **((ولا يحل للحائض صلاة ولا صوم ولا طواف ولا مس مصحف ولا دخول مسجد؛ وعليها قضاء الصوم دون الصلاة، وقراءتها جائزة، ولا يحل لزوجها فرجها ولا ما بين سرتها وركبتيها حتى تغتسل)).**

4 ـ فصل في النفاس: ويرى أنه شبيه بالحيض فيما يجري عليه؛ وقد تصل أيام المنع فيه إلى ستين يوماً تقريباً: **((فإن**

انقطع الدم قبلها ــ ولو في يوم الولادة اغتسلت وصلت؛ فإذا عاودها الدم؛ فإن كان بينهما خمسة عشر يوماً فأكثر؛ فأكثره كان الثاني حيضاً؛ وإلاَّ ضم إلى الأول؛ وكان من تمام النفاس)).

ثم ينتقل **الأخضري** ــ بعد ذلك ــ إلى مواضيع عديدة معنونة بالفصول التالية: **الأوقات، وشروط الصلاة، وفرائض الصلاة، وسنن الصلاة، وفضائل الصلاة،** وفي الأخير **باب السهو**؛ الذي يشمل حالات: **الوسوسة والشك والسهو، والضحك في الصلاة، والالتفات، والغلط في الصلاة، والنوم في الصلاة، وسجود السهو، وإذا زاد المصلي في الصلاة أو أنقص منها،**

والسهو في صلاة القضاء، وأخيراً سهو الإمام.

5 ـ (فصل في الأوقات): الوقت المختار للظهر من زوال الشمس إلى آخر القامة، والمختار للعصر من القامة إلى الاصفرار، وضروريهما إلى الغروب، والمختار للمغرب قدر ما تصلى فيه بعد شروطها، والمختار للعشاء من بغيب الشفق إلى ثلث الليل الأول، وضروريهما إلى طلوع الفجر، والمختار للصبح من الفجر إلى الإسفار الأعلى، وضروريه إلى طلوع الشمس، والقضاء في الجميع ما وراء ذلك، ومن أخر الصلاة حتى خرج وقتها؛ فعليه ذنب عظيم إلاّ أن يكون ناسياً، أو نائماً؛ ولا تصلى نافلة بعد صلاة الصبح إلى ارتفاع الشمس، وبعد

صلاة العصر إلى صلاة المغرب، وبعد طلوع الفجر؛ إلاّ الورد لنائم عنه، وعند جلوس إمام الجمعة على المنبر، وبعد الجمعة حتى يخرج من المسجد.

6 ـ (فصل في شروط الصلاة): وشروط الصلاة: **طهارة الحدث**، وطهارة الخبث من: **البدن، والثوب، والمكان، وستر العورة، واستقبال القبلة، وترك الكلام، وترك الأفعال الكثيرة**، وعورة الرجل ما بين السرة والركبة، والمرأة كلها عورة؛ ما عدا الوجه والكفين؛ وتكره الصلاة في السراويل؛ إلاّ إذا كان فوقها شيء؛ ومن تنجس ثوبه ولم يجد ثوباً غيره، ولم يجد ماء يغسله به، أو لم يكن عنده ما يلبس حتى يغسله وخاف خروج الوقت

صلى بنجاسته؛ ولا يحل تأخير الصلاة لعدم الطهارة؛ ومن فعل ذلك فقد عصى ربه؛ ومن لم يجد ما يستر به عورته صلى عرياناً، ومن أخطأ القبلة أعاد في الوقت؛ وكل إعادة في الوقت فهي فضيلة، وكل ما تعاد منه الصلاة في الوقت فلا تعاد منه الفائتة والنافلة.

7 ـ (فصل): فرائض الصلاة: **نية الصلاة المعينة، وتكبيرة الإحرام، والقيام لها، والفاتحة، والقيام لها، والركوع، والرفع منه، والسجود على الجبهة، والرفع منه، والاعتدال، والطمأنينة، والترتيب بين فرائضها، السلام وجلوسه الذي يقارنه.**

ـ **(وشرط):** النية مقارنتها لتكبيرة الإحرام.

ـ **(وسننها): الإقامة، والسورة التي بعد الفاتحة، والقيام لها، والسر فيما يسر فيه، والجهر فيما يجهر فيه، وسمع الله لمن حمده،** وكل تكبيرة سنة؛ إلاّ الأولى، **والتشهدان، والجلوس لهما، وتقديم الفاتحة على السورة، والتسليمة الثانية والثالثة للمأموم، والجهر بالتسليمة الواجبة، والصلاة على رسول الله ‌r، والسجود على الأنف، والكفين، والركبتين، وأطراف القدمين، والسترة لغير المأموم،** وأقلها غلظ رمح، وطول ذراع طاهر ثابت غير مشوش.

ـ **(وفضائلها)**: رفع اليدين عند الإحرام حتى تقابلا الأذنين، وقول المأموم والفذّ: ربنا ولك الحمد، والتأمين بعد الفاتحة للفذ والمأموم، ولا يقولها الإمام، إلاّ في قراءة

السر، والتسبيح في الركوع، والدعاء في السجود، وتطويل القراءة في الصبح والظهر، تليها، وتقصيرها في العصر والمغرب، وتوسطها في العشاء؛ وتكون السورة الأولى قبل الثانية وأطول منها، والهيئة المعلومة في الركوع، والسجود، والجلوس، والقنوت سراً قبل الركوع، والدعاء بعد التشهد الثاني أطول من الأول، والتيامن بالسلام، وتحريك السبابة في التشهد؛ ويكره الإلتفات في الصلاة، وتغميض العينين، والبسملة، والتعوذ في الفريضة، ويجوزان في النفل؛ والوقوف على رجل واحدة؛ إلاّ أن يطول قيامه واقتران رجليه، وجعل درهم أو غيره في فمه، وكذلك كل ما يشوشه في جيبه، أو كمه، أو على ظهره، والتفكر في أمور

الدنيا، وكل ما يشغله عن الخشوع في الصلاة.

8 ـ (فصل): للصلاة نور عظيم تشرق في قلوب المصلين؛ ولا يناله إلا الخاشعون؛ فإذا أتيت إلى الصلاة ففرغ قلبك من الدنيا وما فيها، واشتغل بمراقبة مولاك؛ الذي تصلي لوجهه، واعتقد أن الصلاة خشوع وتواضع لله سبحانه؛ بالقيام والركوع، والسجود، وإجلال وتعظيم له؛ بالتكبير، والتسبيح، والذكر؛ فحافظ على صلاتك؛ فإنها أعظم العبادات؛ ولا تترك الشيطان يلعب بقلبك، ويشغلك عن صلاتك؛ حتى يطمس قلبك، ويحرمك من لذة أنوار الصلاة؛ فعليك بدوام الخشوع فيها؛ فإنها

تنهى عن الفحشاء والمنكر؛ بسبب الخشوع فيها؛ فاستعن بالله إنه خير مستعان.

9 ـ (فصل): للصلاة المفروضة سبعة أحوال مرتبة؛ تؤدى عليها أربعة؛ منها على الوجوب، وثلاثة على الاستحباب: أولها القيام بغير إسناد، ثم القيام بإسناد، ثم الجلوس بغير إسناد، ثم الجلوس بإسناد؛ فالترتيب بين هذه الأربعة؛ على الوجوب إذا قدر على حالة منها، وصلى بحالة دونها؛ بطلت صلاته؛ والثلاثة التي على الاستحباب هي: أن يصلي العاجز عن هذه الثلاثة المذكورة على جنبه الأيمن، ثم على الأيسر، ثم على ظهره؛ فإن خالف في الثلاثة؛ لم تبطل صلاته؛ والاستناد الذي تبطل به صلاة القادر على تركه؛ هو

الذي يسقط بسقوطه؛ وإن كان لا يسقط بسقوطه فهو مكروه؛ وأما النافلة فيجوز للقادر على القيام أن يصليها جالساً؛ وله نصف أجر القائم؛ ويجوز أن يدخلها جالساً؛ ويقوم بعد ذلك، أو يدخلها قائماً ويجلس بعد ذلك؛ إلاّ أن يدخلها بنية القيام فيها؛ فيمتنع جلوسه بعد ذلك.

10 ــ (فصل): يجب قضاء ما في الذمة من الصلوات؛ ولا يحل التفريط فيها؛ ومن صلى كل يوم خمسة أيام؛ فليس بمفرط؛ ويقضيها على نحو ما فاتته؛ إن كانت حضرية قضاها حضرية، وإن كانت سفرية قضاها سفرية؛ سواء كان حين القضاء في حضر أو في سفر؛ والترتيب بين الحاضرتين وبين يسير الفوائت مع الحاضرة

واجب مع الذكر؛ واليسير أربع صلوات فأدنى؛ ومن كانت عليه أربع صلوات فأقل؛ صلاها قبل الحاضرة؛ ولو خرج وقتها ويجوز القضاء في كل وقت؛ ولا يتنفل من عليه القضاء؛ ولا يصلي الضحى، ولا قيام رمضان، ولا يجوز له إلاّ الشفع، والوتر، والفجر، والعيدان، والخسوف، والاستسقاء؛ ويجوز لمن عليهم القضاء أن يصلوا جماعة إذا استوت صلاتهم؛ ومن نسي عدد ما عليه من القضاء صلى عدداً لا يبقى معه شك.

11 ـ (باب في السهو): وسجود السهو في الصلاة سنة.

ـ فلنقصان سجدتان قبل السلام، بعد تمام التشهدين، يزيد بعدهما تشهداً آخر.

ـ وللزيادة سجدتان بعد السلام، يتشهد بعدهما، ويسلم تسليمة أخرى.

ـ ومن نقص وزاد؛ سجد قبل السلام.

ـ ومن نسي السجود القبلي حتى سلم؛ سجد إن كان قريباً؛ وإن طال أو خرج من المسجد؛ بطل السجود، وتبطل الصلاة معه إن كان على ثلاث سُنَنٍ أو أكثر من ذلك؛ وإلاّ فلا تبطل.

ـ ومن نسي السجود البعدي سجده ولو بعد عام.

ـ ومن نقص فريضة فلا يجزيه السجود عنها.

ـ ومن نقص الفضائل؛ فلا سجود عليه.

ـ ولا يكون القبلي إلا لترك سنتين فأكثر.

ـ وأما السنة الواحدة فلا سجود لها؛ إلاّ السر والجهر؛ فمن أسر في الجهر سجد قبل السلام، ومن جهر في السر سجد بعد السلام.

ـ ومن تكلم ساهياً سجد بعد السلام.

ـ ومن سلم من ركعتين ساهياً سجد بعد السلام.

ـ ومن زاد في الصلاة ركعة أو ركعتين سجد بعد السلام، ومن زاد في الصلاة مثلها بطلت.

ـ ومن شك في كمال صلاته أتى بما شك فيه؛ والشك في النقصان كتحققه؛ فمن شك في ركعة أو سجدة أتى بها وسجد بعد السلام.

ـ وإن شك في السلام سلم إن كان قريباً ولا سجود عليه، وإن طال بطلت صلاته.
ـ والموسوس يترك الوسوسة من قلبه، ولا يأتي بما شك فيه؛ ولكن يسجد بعد السلام؛ سواء شك في زيادة أو نقصان.
ـ ومن جهر في القنوت فلا سجود عليه؛ ولكنه يكره عمده.
ـ ومن زاد في السورة في الركعتين الأخيرتين فلا سجود عليه.
ـ ومن سمع ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ـ وهو في الصلاة ـ فصلى عليه فلا شيء عليه؛ سواء كان ساهياً، أو عامداً، أو قائماً، أو جالساً.

ـ ومن قرأ سورتين فأكثر في ركعة واحدة، أو خرج من سورة إلى سورة، أو ركع قبل تمام السورة فلا شيء عليه في جمع ذلك.

ـ ومن أشار في صلاته بيده أو رأسه فلا شيء عليه.

ـ ومن كرر الفاتحة ساهياً سجد بعد السلام؛ وإن كان عامداً فالظاهر البطلان.

ـ ومن تذكر السورة بعد انحنائه إلى الركوع فلا يرجع إليها.

ـ ومن تذكر السر أو الجهر قبل الركوع أعاد القراءة؛ فإن كان ذلك في السورة وحدها أعادها ولا سجود عليه؛ وإن كان في الفاتحة أعادها وسجد بعد السلام، وإن فات بالركوع سجد؛ لترك الجهر قبل

السلام، ولترك السر بعد السلام؛ سواء كان من الفاتحة أو السورة وحدها.

ـ ومن ضحك في الصلاة بطلت؛ سواء كان ساهياً أو عامداً؛ ولا يضحك في صلاته إلاّ غافل متلاعب؛ والمؤمن إذا قام للصلاة أعرض بقلبه عن كل ما سوى الله سبحانه، وترك الدنيا وما فيها؛ حتى يحضر بقلبه جلال الله سبحانه وعظمته، ويرتعد قلبه، وترهب نفسه من هيبة الله جل جلاله؛ فهذه صلاة المتقين؛ ولا شيء عليه في التبسم.

ـ وبكاء الخاشع في الصلاة مغتفر.

ـ ومن أنصت لمتحدث قليلاً فلا شيء عليه.

ـ ومن قام من ركعتين ـ قبل الجلوس ـ فإن تذكر قبل أن يفارق الأرض بيديه وركبتيه؛ رجع إلى الجلوس ولا سجود عليه؛ وإن فارقها تمادى ولم يرجع وسجد قبل السلام؛ وإن رجع بعد المفارقة، وبعد القيام ساهياً، أو عامداً صحت صلاته وسجد بعد السلام.

ـ ومن نفخ في صلاته ساهياً سجد بعد السلام، وإن كان عامداً بطلت صلاته.

ـ ومن عطس في صلاته فلا يشتغل بالحمد، ولا يرد على من شمته، ولا يشمت عاطساً؛ فإن حمد الله فلا شيء عليه.

ـ ومن تثاءب في الصلاة سد فاه.

ـ ولا ينفث إلاّ في ثوبه من غير إخراج حروف.

ـ ومن شك في حدث أو نجاسة؛ فتفكر في صلاته قليلاً، ثم تيقن الطهارة فلا شيء عليه.

ـ ومن التفت في الصلاة ساهياً فلا شيء عليه؛ وإن تعمد فهو مكروه.

ـ وإن استدبر القبلة قطع الصلاة.

ـ ومن صلى بحرير أو ذهب، أو سرق في الصلاة، أو نظر محرماً؛ فهو عاص، وصلاته صحيحة.

ـ ومن غلط في القراءة بكلمة من غير القرآن سجد بعد السلام، وإن كانت من القرآن فلا سجود عليه؛ إلاّ أن يتغير اللفظ، أو يفسد المعنى؛ فيسجد بعد السلام.

ـ ومن نعس في الصلاة فلا سجود عليه، وإن ثقل نومه أعاد الصلاة والوضوء.

ـ وأنين المريض مغتفر، والتنحنح للضرورة مغتفر، وللإفهام منكر؛ ولا تبطل الصلاة به.

ـ ومن ناداه أحد؛ فقال له: سبحان الله؛ كره وصحت صلاته.

ـ ومن وقف في القراءة ولم يفتح عليه أحد؛ ترك تلك الآية وقرأ ما بعدها؛ فإن تعذرت عليه ركع؛ ولا ينظر مصحفاً بين يديه؛ إلاّ أن يكون في الفاتحة؛ فلا بدّ من كمالها بمصحف، أو غيره؛ فإن ترك منها آية سجد قبل السلام، وإن كان أكثر بطلت صلاته، ومن فتح على غير إمامه بطلت صلاته؛ لا يفتح على إمامه إلاّ أن ينتظر الفتح، أو يفسد المعنى.

ـ ومن جال فكره قليلاً في أمور الدنيا نقص ثوابه ولم تبطل صلاته.

ـ ومن دفع الماشي بين يديه، أو سجد على شق جبهته، أو سجد على طية أو طيتين من عمامته؛ فلا شيء عليه.

ـ ولا شيء في غلبة القيء، والقلس في الصلاة.

ـ وسهو المأموم يحمله الإمام؛ إلاّ أن يكون من نقص الفريضة.

ـ وإذا سها المأموم، أو نعس، أو زوحم عن الركوع ـ وهو في غير الأولى ـ فإنْ طمع في إدراك الإمام قبل رفعه من السجدة الثانية؛ ركع ولحقه؛ وإن لم يطمع ترك الركوع وتبع إمامه، وقضى ركعة في موضعها بعد سلام إمامه.

ـ وإن سها عن السجود، أو زوحم، أو نعس حتى قام الإمام إلى ركعة أخرى سجد؛ إن طمع في إدراك الإمام قبل عقد الركوع؛ وإلاّ تركه وتبع الإمام، وقضى ركعة أخرى أيضاً؛ وحيث قضى الركعة فلا سجود عليه؛ إلاّ أن يكون شاكاً في الركوع، أو السجود.

ـ ومن جاءته عقرب، أو حية فقتلها؛ فلا شيء عليه؛ إلاّ أن يطول فعله، أو يستدبر القبلة؛ فإنه يقطع.

ـ ومن شك: هل هو في الوتر، أو في ثانية الشفع؛ جعلها ثانية الشفع وسجد بعد السلام، ثم أوتر.

ــ ومن تكلم بين الشفع والوتر ساهياً؛ فلا شيء عليه، وإن كان عامداً؛ كره ولا شيء عليه.

ــ والمسبوق إن أدرك مع الإمام أقل من ركعة؛ فلا يسجد معه لا قبلياً ولا بعدياً؛ فإن سجد معه بطلت صلاته، وإن أدرك ركعة كاملة، أو أكثر سجد معه القبلي، وأخر البعدي حتى يتم صلاته؛ فيسجد بعد سلامه، فإن سجد مع الإمام عامداً؛ بطلت صلاته، وإن كان ساهياً سجد بعد السلام.

ــ وإن سها المسبوق بعد سلام الإمام؛ فهو كالمصلي وحده.

ـ وإذا ترتب على المسبوق بعدي من جهة إمامه، وقبلي من جهة نفسه؛ أجزأه القبلي.

ـ ومن نسي الركوع وتذكره في السجود؛ رجع قائماً، ويستحب له أن يعيد شيئاً من القراءة، ثم يركع ويسجد بعد السلام.

ـ ومن نسي سجدة واحدة وتذكرها بعد قيامه؛ رجع جالساً، وسجدها؛ إلاّ أن يكون قد جلس قبل القيام؛ فلا يعيد الجلوس.

ـ ومن نسي سجدتين؛ خر ساجداً؛ ولم يجلس، ويسجد في جميع ذلك بعد السلام.

ـ وإن تذكر السجود ـ بعد رفع رأسه من الركعة التي تليها ـ تمادى على صلاته، ولم يرجع، وألغى ركعة السهو، وزاد ركعة في موضعها بانياً، وسجد قبل السلام.

ـ إن كانت من الأوليين، وتذكر بعد عقد الثالثة، وبعد السلام؛ إن لم تكن من الأوليين، أو كانت منهما وتذكر قبل عقد الثالثة؛ لأن السورة والجلوس لم يفوتا.

ـ ومن سلم شاكاً في كمال صلاته؛ بطلت صلاته.

ـ والسهو في صلاة القضاء كالسهو في صلاة الأداء.

ـ والسهو في النافلة كالسهو في الفريضة؛ إلاّ في ست مسائل: **الفاتحة، والسورة، والسر، والجهر، وزيادة ركعة، ونسيان بعض الأركان إن طال.**

ـ فمن نسي الفاتحة في النافلة وتذكر بعد الركوع تمادى وسجد قبل السلام؛ بخلاف الفريضة؛ فإنه يلغي تلك الركعة، ويزيد أخرى، ويتمادى، ويكون سجوده ـ كما ذكرنا ـ في تارك السجود.

ـ ومن نسي السورة، أو الجهر، أو السر في النافلة وتذكر بعد الركوع؛ تمادى ولا سجود عليه؛ بخلاف الفريضة.

ـ ومن قام إلى ثالثة في النافلة؛ فإن تذكر قبل عقد الركوع؛ رجع وسجد بعد السلام، وإن عقد الثالثة تمادى وزاد الرابعة وسجد قبل السلام؛ بخلاف الفريضة؛ فإنه يرجع متى ما ذكر، ويسجد بعد السلام.

ـ ومن نسي ركناً من النافلة ـ كالركوع أو السجود ـ ولم يتذكر حتى سلم وطال فلا إعادة عليه؛ بخلاف الفريضة؛ فإنه يعيدها أبداً.

ـ ومن قطع النافلة عامداً، أو ترك منها ركعة، أو سجدة عامداً؛ أعادها أبداً.

ـ ومن تنهد في صلاته فلا شيء عليه؛ إلاّ أن ينطق بحروف.

ـ وإذا زاد الإمام سجدة ثالثة؛ فسبح به، ولا تسجد معه.

ـ وإذا قام الإمام إلى خامسة؛ تبعه من تيقن موجبها، أو شك فيه، وجلس من تيقن زيادتها؛ فإن جلس الأول وقام الثاني بطلت صلاته.

ـ وإذا سلم الإمام قبل كمال الصلاة سبح به من خلفه؛ فإن صدقه كمل صلاته وسجد بعد السلام، وإن شك في خبره سأل عدلين، وجاز لهما الكلام في ذلك، وإن تيقن الكمال عمل على يقينه وترك العدلين؛ إلاّ أن يكثر الناس خلفه، فيترك يقينه ويرجع إليهم.

*****

رابعاً ـ منظومة القدسية:

وهي أرجوزة طويلة؛ يقول بعضهم: أنها **"أرجوزة في طبيعة النفس"** نظمها **الأخضري** سنة 944هـ/1537م؛ وعدد أبياتها 357 بيتاً؛[1] بينما يرى آخرون[2] أن أبياتها 346 بيتاً؛ وتعتني **"بآداب السلوك"**. أما المنظومة التي أملك نسخة منها؛ فأبياتها 345 بيتاً لا غير؛ وقد تفضل صديقي وأخي الشاعر الكبير **أبو القاسم خمار** بإعطائي نسخة منها؛ فله مني جزيل الشكر والامتنان. كما أمدتني ابنتي **دبابش اعتدال** ـ بعد إكمال هذه الدراسة ـ بنسخة مخطوطة من شرحٍ لقدسية **الأخضري**؛ أنجز الشرح الشيخ **الحسين بن أحمد زروق بن مصباح**[3]؛ ولكن شرحه لم يكتمل إلى نهاية القصيدة.

وقد شاعت أرجوزة **القدسية** وذاع صيتها بين طلاب العلم والمتصوفة؛ حتى غدت تدرس في معظم المعاهد والزوايا آنئذ؛ ووصل الحد ببعضهم إلى حفظها واستظهارها عن ظهر قلب. وهذه الأرجوزة تعالج موضوع التصوف والوعظ والإرشاد الديني والأخلاقي.

---

[1] يعتقد الدكتور سعد الله أنها هي نفسها المنظومة التي توجد في مكتبة ميونخ بألمانيا؛ ضمن مجموعة رقم: 929 ، وبالمتحف البريطاني. تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 509، التعليق: 74.

[2] تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 80.

[3] يبدو أنه هو الذي أشار إليه الحسين الورثلاني في رحلته؛ وعده ضمن علماء زواوة.

وقد تناولت ـ كما يقال بالفعل ـ آداب السلوك.. سلوك أهل التصوف والمهتمين بشئون الدين؛ إذ تركز ـ خاصة ـ على نقد وفضح المتصوفة الزائفين، والمشعوذين الكاذبين، وأهل البدع الدجالين، المندسين في صفوف المتدينين. كما توجه النصح للمريدين وطلاب العلم لكي يلتزموا بالسلوك السوي في عبادتهم ومعاملتهم.

وقد حظيت هذه المنظومة بشهرة واسعة، ووجدت عناية خاصة من قبل بعض العلماء؛ إذ يبدو أنها طبعت في القاهرة سنة 1348هـ/1929م. كما اهتم بعضهم بشرحها؛ بغرض تقريب فكرتها وتبسيطها للقراء. ومن أهم الشروح التي ورد ذكرها ـ حتى الآن ـ **لمنظومة القدسية**؛ هو شرح **الحسين الورتلاني** صاحب الرحلة (1125/ 1713م ـ 1193هـ/1778م) الذي سماه **"الكواكب العرفانية والشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية"**. ثم قام ـ بعد ذلك ـ **الشيخ المولود بن محمد الزريبي الأزهري** المتوفي سنة 1343هـ/1925م؛ بإنجاز شرح **للقدسية**؛ ولكنه لم يطبع إلى الآن. وقال عنه **الشيخ الجيلالي** أنه **"شرح نفيس"**. كما ظهر أن **الزاوية العثمانية بطولقة** تملك شرحاً **للقدسية** لم يعرف من

قبل؛ قام به **الشيخ الحسين بن أحمد زروق بن مصباح** المذكور. كما أمدني الأستاذ **سعد السعود خشاب**؛ بنسخة من مخطوط **شرح قدسية الأخضري** كاملة؛ بشرح الشيخ **الحسين الورثلاني**؛ مسجلة على قرص مضغوط. وكلا الشرحين: شرح **ابن مصباح**، وشرح **الورثلاني** مصدرهما من **الزاوية العثمانية بطولقة**.

المهم؛ أن **منظومة القدسية للأخضري** وجدت اهتماماً ملحوظاً من قبل المشرفين على المعاهد العلمية بالبلدان المغربية على الخصوص؛ حيث تقرر تدريسها ضمن معظم المدارس والزوايا في **المغرب الأقصى والجزائر وتونس**. وقبل الحديث عن محتوى هذه الأرجوزة نحاول التعرف على عنوانها؛ ولماذا سميت بالمنظومة **"القدسية"**؟

الواضح ـ هنا ـ أن كلمات **"قدس وقداسة وقدسية وتقديس"**؛ تعني في مجملها: **الطهارة والنزاهة**؛ فنقول: **مطهر ومنزه**؛ ونعني به **التقديس الإلهي**. وهذه العبارات كلها استعملت كثيراً في كتابات وأقوال المنتسبين للصوفية. ويمكن التأكد من هذا بتتبع مؤلفاتهم؛ مثل: ما كتبه **الإمام الغزالي**؛ عندما عنون فصلاً في الجزء الأول من كتابه **إحياء علوم**

الدين؛ يعالج قواعد العقائد؛ بـ **"القدس"**. كما كتب **الشيخ الشعراني**[1] كتاباً سماه **لواقح الأنوار القدسية**. وألف السيد **عبد الله الميرغني**[2] كتاباً بعنوان **الأنفاس القدسية**. وهذا كبير شعراء المتصوفة في الأندلس وبلاد المغرب **"علي بن عبد الله الششتري"** كتب كتاباً سماه **"الرسالة القدسية في توحيد العامة والخاصة"**[3] كما كتب الشيخ **علوان الحموي** كتاباً سماه **"النفحات القدسية في شرح أبيات للششتري"**[4] وقام **أحمد الزروق الفاسي** بتصنيف كتاب **يشرح العقيدة القدسية** للإمام الغزالي. **وأحمد الزروق** ـ كما هو معروف ـ من الصوفية المصلحين؛ وقد تأثر به **الأخضري**؛ الذي نوه به في **"منظومة القدسية"** ودعا القراء إلى إتباع نهجه وقراءة كتابه. كما أن **الزروق** يعد من بين أساتذة والد **الأخضري**؛ لذا فقد استشهد به في ختام منظومته بقوله:

[1] وهو أبو المواهب عبد الوهاب؛ فقيه وصوفي شهير؛ ولد بقلشندة وتوفي بالقاهرة سنة 973 هـ/1565م. من مؤلفاته أيضاً: "الجواهر والدرر الكبرى".

[2] وهو عبد الله المحجوب الميرغني؛ فقيه حنفي وصوفي؛ ولد بمكة المكرمة وتوفي بالطائف سنة 1193 هـ/1779م. من مؤلفاته أيضاً: "الإيضاح المبين بشرح فرائض الدين"، و"المعجم الوجيز"، و"ديوان العقد المنظم على حروف المعجم"، و"الرسائل الميرغنية"، وغيره.

[3] ديوان الششتري، ص: 14.

[4] مازال مخطوطاً بمكتبة السيد أحمد الصديق بطنجة، ديوان أبي الحسن الششتري، ص: 69.

وَمَنْ يُرِدْ مَعْرِفَةً بِالْبِدَعِ
وَمَا يُبْنَى عَلَيْهِ أصْلُ الْمُدَّعِي
فَفِي كِتَابِ شَيْخِنَا الزَّرُّوقِ
عَجَائِبٌ فَائِقَةَ الرُّتُوقِ[1]

ونظراً لأهمية منظومة الأخضري المسماة بـ **"القدسية"** وما لها من فائدة، ورغبة منا في تقريب القارئ من الصورة الواضحة لهذه الأرجوزة الصوفية، الأخلاقية؛ فقد تبين مدى ضرورة شرحها كاملة بما تيسر؛ مراعاة لضيق المجال؛ ومحدودية الزمن. وعليه؛ نبتدئ بما ابتدأ به **الأخضري** في منظومته؛ وهي الأبيات التالية التي استهل بها الموضوع:

1 ـ يَقُولُ رَاجِي رَحْمَةِ الْمُقْتَدِرِ
الْمُذْنِبُ الْعَبْدُ الذَّلِيلُ الأخْضَرِي
2 ـ بِحَمْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أبْتَدِي
ثُمَّ صَلاَتِهِ عَلَى مُحَمَّدِ

(1، 2) ـ يستهل **الأخضري "منظومة القدسية"** بالبيت الأول الذي يعلن فيه أنه طامع في رحمة **"المقتدر"**؛ وهو الله سبحانه وتعالى؛ لأن **"المقتدر"** اسم

---
[1] الرتوق: المنعة والعز والشرف.

من أسماء الله الحسنى.[1] وفي البيت الثاني يعلن بدء عمله بحمد رب العالمين ثم بالصلاة على رسوله **محمد** صلى الله عليه وسلم.

3 ــ يَا طَالِباً عَلَى كَمَالِ قُدْسِهِ[2]
وَقَاصِداً إِلَى عِلاَجِ نَفْسِهِ[3]

(3) ــ في هذا البيت يستعمل الناظم أسلوب النداء الموجه إلى من سعى في درب كمال طهارته ونزاهته، وعمل في سبيل تحقيق أسباب علاج نفسه. فيقول:

---

[1] المقصد الأسنى، ص: 127.

[2] نقول: كَمَلَ الشَّيْءُ كُمُولاً: تمت أجزاؤه أو صفاته... كَمُلَ الشَّيْءُ كَمَالاً: ثبتت فيه صفات الكمال. أَكْمَلَ الشَّيْءَ: أتمه. وجاء في القرآن الكريم: ((اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)). سورة المائدة، من الآية: 3. ونقول: قَدُسَ قُدْساً: طَهُرَ. وقدس لله تقديساً: طهر نفسه له. وصلى له. وعظمه وكبره، وفي التنزيل العزيز: "وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ"، سورة البقرة، من الآية: 30. راجع كلمتي: "كمال وقدس" في المعاجم. والناظم يقصد بقوله: "كمال قدسه": تمام طهارته. وقد استعمل المتصوفة هاتين الكلمتين كثيراً ضمن مصطلحاتهم الصوفية والفلسفية على السواء. فكلمة الكمال مثلاً تعني ((الحال الكامل؛ ويطلق على ما يكمل به النوع في ذاته أو في صفاته. فالذي يكمل به النوع في ذاته يسمى بالكمال الأول؛ لتقدمه على النوع. والذي يكمل به في صفاته يسمى بالكمال الثاني؛ وهو يشمل العوارض التي تلحق بالشيء بعد تقدمه كالعلم وسائر الفضائل. ومعنى ذلك أن الكمال الأول تتوقف عليه الذات؛ على حين أن الكمال الثاني يتوقف على الذات)). المعجم الفلسفي، ج: 2، ص: 243. وفي هذه الحال يكون الكمال الذي يطلبه الناظم هو الكمال الثاني؛ الذي يكمل به في صفاته.

[3] النفس هي الروح حسب أشهر الأقوال؛ ولكن بعض الفلاسفة يفرقون بينهما؛ إذ يرون "أن معنى النفس يتضمن معنى الجوهرية الفردية، وأن مفهومها أغنى من مفهوم الروح، وأن مجالها أوسع من مجال الشعور... أن الروح جسم والنفس غير جسم، وأن الروح يحوى في البدن وأن النفس لا يحويها البدن..." أنظر المعجم الفلسفي، ج: 2، ص ص: 481 ــ 483. أما ابن خلدون فيقول أن الله خلق الإنسان من جثمان وهيكل محسوس، ومن لطيفة ربانية عبر عنها الشرع بألفاظ مختلفة؛ مثل: الروح أحياناً، والنفس أحياناً أخرى، أو العقل تارة، والقلب تارة أخرى. وبهذا تكون هذه العبارات ترمي لمعنى واحد في الشرع. أنظر شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص: 80.

يا راغباً في الطهارة التامة والنقاء من الشوائب والأدران الدنيوية، ويا من فضل الاتجاه نحو تطبيب نفسه المريضة ومداواتها من الآفات والمهالك.

4 ــ اعْلَمْ بِأَنَّ الْجَوْهَرَ الإِنْسَانِي
هُوَ الَّذِي يَدْعُونَهُ الرُّوحَانِي[1]

5 ــ مَنْشَأُهُ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ
وَمُودَعٌ فِي القَالَبِ الْجِسْمِيِّ

6 ــ لأَنَّهُ فِي الأَصْلِ مِنْ جِنْسِ المَلَكْ
فَصَارَ مَرْكُوزاً فِي عَالَمِ الْحَلَكْ

(من 4 إلى 6) ــ يتشكل الإنسان من **"جثمان"** وهو هيكل ظاهر ومحسوس يسمى الجسد، ومن **"جوهر"**؛ وهو حقيقة الإنسان، ومصدر النفع فيه. والجوهر ــ هنا ــ هي الروح؛ تلك اللطيفة الربانية التي أودعها الله في الجسم؛ لحفظه وتحقيق منفعته. ومنشأ تلك اللطيفة ــ التي هي الروح ــ هو العالم العلوي؛ حيث وضعت بأمر إلهي في الجسم؛ الذي هو بمثابة القالب؛ ويختلف **"الجثمان"** عن **الجوهر** في كونه مجرد **عرض.** وهذه اللطيفة الربانية؛ أي **الروح** ــ التي أودعت في القالب الإنساني وهو **"الجثمان"** ــ

[1] الجوهر جمع لجوهرة؛ وهو حقيقة الشيء وذاته؛ إذ يستخرج منه ما ينتفع به. والجوهر لدى الفلاسفة كل ما قام بنفسه؛ ويقابله العرض الذي يقوم بغيره.

هي عبارة عن **جوهر نوراني** من جنس ملائكي؛ ركزت بأمر الله في عالم مظلم وهو الجثمان الأرضي الترابي.

7 ــ فَهَذِهِ جَوْهَرَةٌ نَفْسِيَّهْ
فِي الأَصْلِ فِي الدَّائِرَةِ القُدْسِيَّهْ

8 ــ دَائِرَةَ التَّطْهِيرِ وَالْكَمَالِ
وَعَاقَهَا عَنْ ذَاكَ الاتِّصَالِ

(7، 8) ــ يصف **الأخضري** منظومته بأوصاف فيها طهارة وقدسية؛ إذ يقول عنها أنها جوهرة نفسية؛ أي مستمدة من الجوهر النفسي الروحاني؛ وتستمد أصولها من دائرة قدسية وطاهرة. وتلك الدائرة هي دائرة التطهير والنزاهة والكمال؛ ولا يعيق تمامها وكمالها إلا الاتصال أو المواصلة؛ وهي المعرفة والمشاهدة.

9 ــ شَيْئَانِ مِنْهُمَا حِجَابٌ[1] ظَاهِر
وَبَاطِنٌ فِي النَّفْسِ أيّ سَاتِر

10 ــ فَالظَّاهِرُ الْعَوَائِدُ الْجِسْمِيَّهْ
وَالْبَاطِنُ الْعَلاَئِقُ النَّفْسِيَّهْ

[1] الحجاب جمع حجب: هو الساتر؛ نقول: حجب الشيء أي ستره. وقد استعمل المتصوفة هذه الكلمة للتعبير عن الحال التي يرفع فيها الحجاب عما هو غامض ومخفي في الوجود.

11 ــ مِنْ شَهْوَةِ رِئَاسَةٍ وَدَعْوَى
وَنَزْغَةِ الشَّيْطَانِ وَهْيَ البَلْوَى

12 ــ فَأَوَّلٌ يُدْعَى حِجَاب الحِسِّ
وَالثَّاني يُدْعَى بحِجَابِ النَّفْسِ

13 ــ فَمَنْ يَكُنْ لِنَفْسِهِ مُكَبْكِبَا[1]
عَلَى هَوَاهَا لَمْ يَزَلْ مُحْتَجِبَا

(من 9 إلى 13) ــ يتكون الإنسان من **جوهر وعرض**؛ أي جسم ونفس أو روح. وهو مركب من غرائز بالفطرة، ومن سلوك مكتسب بالعادة والتعلم. وغرائزه ومكتسباته مخفية في عقله وباطنه؛ ولكن العوائد تظهر من خلال تصرفات الإنسان الحسية والنفسية؛ أي من خلال تحقيق رغباته وإشباع شهواته، وتلبية تطلعاته للرئاسة وانسياقه وراء كل دعوى تعزز مركزه الدنيوي. أما الغرائز فتنبثق من داخل الإنسان تلقائياً؛ وكلا الحالتين لهما حجاب خاص بهما؛ فالحجاب الأول الظاهر هو حجاب الحس، وله علاقة بالعوائد الجسمية. أما الحجاب الثاني الباطني؛ فمتعلق بالنفس ومسند إليها.

[1] كَبْكَبَ الشَّيْءَ: قلبه بعضه على بعض، ورماه في الهُوَّةِ؛ يقول تعالى: ((فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ)). سورة الشعراء، الآية: 94.

لـذا فمـن يـرمي بذاتـه في هـوة شهـوات النفـس وهواهـا؛ سيبـقى محجوبـاً؛ ولا يطمـع في رفـع حجـاب المعرفـة عـن عينيـه. فكلمـا ابتعـدت الـروح عـن الحـس الظاهـر باتجـاه الباطـن لحـق بأحـوال الحـس ضعـف ووهـن؛ وبالمقابـل تقـوى أحـوال الـروح، وتتغلـب عـلى الـذات ومـا يحيـط بهـا.

14 ــ إِذْ تُحْجَـبُ المِـرْآةُ بِالصَّـدَاءِ[1]

عَـلَى انْطِبَـاعِ صُـوَرِ الأشْيَـاءِ

15 ــ وَمَنْ أجَادَ الصَّقْـلَ بِالْمُجَاهَـدَهْ

رَقَى مَقَـامَ الكَشْـفِ وَالْمُشَاهَـدَهْ[2]

16 ــ وَصَارَ فِي طَيِّ النُّفُـوسِ بَادِيَـا

جَمِيـعُ مَـا كَـانَ لَهَـا مُحَاذِيَـا

17 ــ وَظَهَـرَتْ خَـوَارِقُ العَـادَاتِ[3]

عَلَيْـهِ مِـنْ صَقَالَـةِ الْمِـرْآةِ

---

[1] الصـدأ: طبقـة مـن الأكسيـد تعلـوا الحديـد وغيـره مـن المعـادن، وقـد استعمـل الناظـم كلمـة: صـداء للضـرورة.

[2] نقـول: صقلـه صقـلاً: جَـلاه. ونقـول: صقـل السيـف والمـرآة: أزال مـا عليهمـا مـن شوائـب ولمعهمـا. أمـا المجاهـدة فمعناهـا هنـا الرياضـة الـتي يتبعهـا المتصوفـة بواسطـة الذكـر والتعبـد والصيـام في خلوتهـم. أمـا الكشـف عندهـم فهـو رفـع حجـاب القلـب؛ ويقـول فيـه الجرجـاني: ((الإطـلاع عـلى مـا وراء الحجـاب مـن المعـاني الغيبيـة والأمـور الحقيقيـة وجـوداً وشهـوداً)). شفـاء السائـل لتهذيـب المسائـل، ص: 105. أمـا المشاهـدة فـهي المعرفـة باللـه وصفاتـه وأفعالـه وأسـرار ملكوتـه وجـلاء الحقيقـة بـدون شـك. أنظـر شفـاء السائـل لتهذيـب المسائـل، ص ص: 42، 108.

[3] خـوارق العـادات: كـل مـا خـرج عـن طبيعـة العـادات.

18 ــ وَعَادَتِ الْحَقِيقَةُ النَّفْسِيَّهْ

لأَصْلِهَا فِي الْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّهْ[1]

19 ــ وَطُهِّرَ الْقَلْبُ مِنَ الأَدْغَالِ[2]

إِذْ حَلَّ فِي دَرَجَةِ الكَمَالِ

(من 14 إلى 19) ــ يستعمل المتصوفة مثال المرآة هذا للتعبير عما يكتنف النفس من أغشية وشوائب تمنع عنها النظارة والوضوح. ويصور الناظم ــ هنا ــ الوضع بقوله: أن المرآة عندما تعلوها غشاوة من الصدأ أو الغبار؛ لا تنطبع صورة من يقف أمامها. وإذا أزيل ما علق عليها؛ تبدو الصورة المنعكسة على المرآة جلية واضحة. وكلما ازداد صقل المرآة، وتكاثف تلميعها؛ ازدادت الصورة المنعكسة عليها جلاء ووضوحاً.

وهذا هو بالضبط ما قد يحدث للنفس البشرية؛ إذ تصقل ــ هي الأخرى ــ بواسطة العبادة والمجاهدة والترويض على الطاعة والأعمال الصالحة؛ حتى تتطهر

---

[1] يستعمل المتصوفة مصطلح الحضرة للتدليل على عدة معاني؛ من ذلك: جلال الحضرة، والحضرة العمائية، والحضرة الهبائية والحضرة الربوبية. يمكن التوسع في معرفة ذلك بالإطلاع على كتاب: شفاء السائل لتهذيب المسائل؛ لابن خلدون، ص ص: 40. 46. 51 ــ 52. وكتاب أصول مفردات التصوف الإسلامي؛ لماسينيون، ص ص: 23. 25. وكتاب الأربعين مرتبة؛ للشيخ عبد الكريم الجبلي، ص ص: 8. 10 . 18. 25. 71. 85. وكتاب التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، ص: 106.

[2] الدَّغَلُ: هو الفساد؛ والذي يدغل في شيء: هو الذي يفسد فيه.

وتصفو وترقى للمقام السامي؛ أين يتمكن السالك في طريق الكشف من تحقيق ما تصبو إليه نفسه؛ من كشف الحجاب، وظهور الحقيقة المطلقة بين عينيه، ومشاهدة ما حجب عن غيره من الناس في دنياهم الفانية.

وبذلك يظهر ما تنطوي عليه النفس البشرية، ويتبدد ما يحيط بها من ركام وغموض؛ فتنجلي حقيقة ما يصبو إليه السالك في طريق التصوف. وهكذا؛ فبواسطة الصقل هذا والترويض المستمر؛ تعود الحقيقة النفسية لأصلها وطبيعتها التي خلقت فيها؛ أي ضمن الحضرة القدسية الطاهرة النقية. وبذلك يتطهر القلب ويتخلص من الشوائب والشرور والأدران والفساد. وهكذا يحل القلب في مرتبة أنقي وأطهر هي مرتبة الكمال؛ التي يتطلع إليها كل متعبد ورع، وكل تقي ومستقيم.

20 ــ لَكِنَّ أنْوَاعَ المُجَاهَدَاتِ[1]
بِحَسَبِ المَقَامِ لِلسَّادَاتِ[2]

21 ــ تُقَاءٌ وَاسْتِقَامَةٌ وَكَشْفُ[3]

---

[1] المجاهدات ثلاث درجات: مجاهدة التقوى والورع، ومجاهدة الاستقامة، ومجاهدة الكشف. وهي متفاوتة ومتلاحقة؛ يعرفها ابن خلدون بقوله: ((لما كان معنى المجاهدة ــ كما قررناه ــ اكتساب النفس للصفات المحمودة وتلونها بها صفة بعد صفة؛ ولها ترتيب في تعليم اكتسابها مخصوص بها)). ويعرفها ابن العربي بأنها: ((حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى على كل حال)). أما الجرجاني فيقول عنها: ((في الشرع محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب من الشرع)). شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص: 41. 106.

[2] المقام لدى الصوفية هي الصفات التي تكون بالكسب والاختيار؛ مثل التوكل والصبر والرضى..إلخ. ويقول الجرجاني في المقام: ((عبارة عما يتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف)). شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص: 114.

[3] ــ 1 مجاهدة التقوى هي الوقوف عند حدود الله؛ ((لأن الباعث على هذه المجاهدة طلب النجاة؛ فكأنها اتقاء وتحرز؛ بالوقوف عند حدود الله عن عقوبته وحصولها في الظاهر؛ بالنزوع عن المخالفات، والتوبة عنها، وترك ما يُودي إليها؛ من: الجاه، والاستكثار من المال، وفضول العيش، والتعصب للمذاهب؛ وفي الباطن مراقبة أفعال القلب التي هي مصدر الأفعال ومبدؤها؛ أن يلمّ بمقارفة محضور، أو إهمال واجب... قال عليه الصلاة والسلام: "الحلال بين والحرام بين"... وقال ابن عمر: "حقيقة التقوى أن تدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس" وقال: "لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر". وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام". ــ 2 ومجاهدة الاستقامة هي الصفة الثانية من صفات المجاهدة؛ يقول فيها ابن خلدون: ((هي تقويم النفس وحملها على التوسط في جميع أخلاقها؛ حتى تتهذب بذلك وتتحقق به؛ فَتَحْسُنُ أخلاقها وتصدر عنها أفعال الخير بسهولة وتصير لها آداب القرآن والنبوءة بالرياضة والتهذيب خلقاً جبلية؛ كأن النفس طبعت عليها. والباعث على هذه المجاهدة طلب الفوز بالدرجات العلى؛ درجات الذين أنعم الله عليهم؛ إذ الاستقامة طريق إليها. " قال تعالى: اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ؛ صِرَاطَ الذِينَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ. [سورة الفاتحة، الآيتن:6 ــ 7.] وحصول هذه الاستقامة بعلاج خلق النفس. ومداواتُها بمضادة الشهوة، ومخالفة الهوى، ومقابلة كل خلق يجس من نفسه هواه. والميل إليه والاعتداد به؛ بارتكاب ضده الآخر؛ كمعالجة البخل بالسخاء، والكبرياء بالتواضع، والشره بالكف عن المشتهى، والغضب بالحلم)). شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص ص: 34 ــ 35. وحاول ابن خلدون توضيح مفهوم مجاهدة الاستقامة بعرض هذا المثال: ((ومثاله أن المرآة الصقيلة [المصقولة] إذا كانت محدبة أو مقعرة وحوذي بها جهة المرئي فإنه يتشكل فيه معوجاً على غير صورته؛ وإذا كانت مسطحة تشكل فيها المرئي صحيحاً. فالاستقامة للنفس كالانبساط للمرآة فيما ينطبع فيها من الأحوال)). المقدمة، ج: 3، ص: 1202. ــ 3 أما مجاهدة الكشف والإطلاع يقول فيها ابن خلدون: ((ومجاهدة الكشف

وَذَاكَ مَا بِهِ القُلُوبُ تَصْفُو[1]

22 ــ فَأيُّ مَنْ شَدَّ لِلْحَزْمِ عُرَا

وَظَلَّ يَرْتَضِي النُّفُوسَ مُوثِرَا

23 ــ حَتَّى إذَا صَحَتْ سَمَاءُ القُدْسِ

بِطَرْدِ مَرْكُومِ سَحَابِ النَّفْسِ[2]

24 ــ حِينَئِذٍ تَبْدُو شُمُوسُ الغَيْبِ

مُشْرِقَةً بِعَرَصَاتِ القَلْبِ[3]

والإطلاع؛ وهي إخماد القوى البشرية كلها؛ حتى الأفكار؛ متوجهاً بكلية تعقله إلى مطالعة الحضرة الربانية؛ طالباً رفع الحجاب؛ ومشاهدة أنوار الربوبية في حياته الدنيا؛ ليكون ذلك وسيلة إلى الفوز بالنظر إلى وجه الله في حياته الأخرى التي هي غاية مراتب السعادة)). شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص ص: 43 ــ 44. ويقول أيضاً: ((وأما الكلام عن الكشف وإعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات؛ فأكثر كلامهم فيه نوع من المتشابه لما أنه وجداني؛ وفاقد الوجدان عندهم بمعزل عن أذواقهم فيه. واللغات لا تعطي دلالة على مرادهم منه... فينبغي أن لا نتعرض لكلامهم في ذلك؛ ونتركه فيما تركناه من المتشابه. ومن رزقه الله فهم شيء من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة فأكْرِمْ به سعادة. وأما الألفاظ الموهمة؛ التي يعبرون عنها بالشطحات، ويؤاخذهم بها أهل الشرع؛ فاعلم أن الإنصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس، والواردات تملكهم؛ حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه؛ وصاحب الغيبة غير مخاطب... وسلف المتصوفة من أهل الرسالة أعلام الملة ــ الذين أشرنا إليهم من قبل ــ لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب، ولا هذا النوع من الإدراك؛ إنما همهم الإتباع والإقتداء ما استطاعوا. ومن عرض له شيء من ذلك أعرض عنه، ولم يحفل به؛ بل يفرون منه، ويرون أنه من العوائق والمحن)). المقدمة، ج: 3، ص ص: 1213 ــ 1214.

[1] تصفو: أي يزول عنها الكدر. ((اعلم أن هذه اللطيفة الربانية التي فينا [وهي النفس أو القلب] إذا حصل لها بالتصفية والمجاهدة العلم الإلهامي ــ كما قدمناه ــ ويسمى كشفاً وإطلاعاً؛ فهو ذو مراتب تختلف وتتفاوت بتفاوت الصفا والتخلص من الكدرات؛ فمبداها المحاضرة وهي آخر مراتب الحجاب، وأول مراتب الكشف)). شفاء السالك لتهذيب المسائل، ص: 30.

[2] سماء القدس هنا هي: السماء الطاهرة النقية. الركام: ما اجتمع من السحاب وتراكم بعضه فوق بعض.

[3] _المقصود من الشطر الأول: أن تتجلى أنوار الغيب وينكشف الحجاب. والمقصود بعرصات القلب: دعائمه وحناياه وخفقاته وبريق أنواره.

25 ـ وَانْطَبَعَتْ فِي وَسَطِ الْمِرْآةِ

صُوَرُ الأمُورِ المَلَكُوتِيَّاتِ[1]

26 ـ وَزُخْرِفَتْ حَدَائِقُ القُلُوب

بِثَمَرَاتِ الكَشْفِ وَالغُيُوبِ

27 ـ وَوَابِلُ الأسْرارِ[2] بِالْقَلْبِ انْسَجَمْ

وَانْفَجَرَتْ مِنْهُ يَنَابِيعُ الْحِكَمْ

(من 20 إلى 27) ـ للمجاهدات صفات وأشكال مختلفة؛ أولها: مجاهدة التقوى وهي مراعاة الأدب مع الله، والالتزام بحدود الله في الظاهر والباطن. ومجاهدة التقوى هذه هي التي تعرف بالتصوف لدى السلف الأول. ثم تليها مجاهدة الاستقامة؛ التي تلزم النفس إتباع الصراط المستقيم. ثم مجاهدة الكشف التي تخبو فيها قوى النفس، ويتعطل فيها النشاط الفكري تماماً؛ ولا يبقى لدى السالك في هذا النهج سوى وجدانه وقوة الروح المتنامية فيه.

وأنواع المجاهدات هذه تصنف حسب الصفات المكتسبة؛ أي المقام الذي يكون عليه السادة المتصوفة؛ من: **تقوى، أو استقامة، أو كشف.** وكل تلك

[1] الملكوت: عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس والعجائب؛ يقول تعالى: ((أَوَ لَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ)). سورة الأعراف، من الآية: 185.

[2] السر؛ اصطلاح يطلق على القلب إذا كان محل أنوار المشاهدة والمعرفة.

المقامات تصفو بها القلوب من الكدر والقذى. لذا فإن عملية الزهد وضبط النفس وكبح شهواتها؛ بالتضييق عليها بواسطة الرياضة والمجاهدة؛ ستساعد كلها على صفاء الأجواء، وجلاء سماء الطهارة والقدسية. كل ذلك يحدث بعد إزالة ما تراكم من كدر وسحب قاتمة كانت تغلف النفس.

عندئذ تنجلي أنوار المعرفة مشرقة ساطعة؛ تلك الأنوار التي كانت غائبة؛ فأشرقت بضيائها، وبَشَّرَتْ بنبضات القلب ونشاطه. وانطبعت ـ نتيجة لذلك ـ وظهرت في مرآة الحقيقة الصورة المنيرة لعالم الغيب المتعلق بالأرواح العجيبة والنفوس النقية؛ فتجلت واضحة جلية؛ وزخرفت القلوب بالألوان البهية الباعثة للبهجة والسعادة؛ وأثمرت الأعمال الصالحة والمجاهدات الصادقة بثمار الكشف عن حجاب الغيب؛ فانهالت على القلوب أنوار المشاهدة والمعرفة التي تعرف **"بالسر"**؛ فينتج عن انسجام القلب بالأسرار انبعاث ينابيع الحِكَم وتدفقها من القلب.

28 ـ وَاعْلَمْ بِأَنَّ رُتْبَةَ الكَمَالِ
وَخَارِقُ العَادَاتِ فِي المِثَالِ

29 ـ مَطْوِيَّةٌ فِي النَّفْسِ طَيَّ الْحَبِّ فِي
أَكْمَامِهِ ظُهُورُهَا مِنْهَا يَفِي

30 ــ مِنْ بَعْدِ إرْعَادِ الرُّعودِ السَّائِقَــهْ
ثُمَّ انْسِكَــابِ المُعْصِــرَاتِ[1] الرَّائِقَــهْ

(28، 29، 30) ــ وينبــه الناظــم القــارئ؛ إلى أن الرتبــة الــتي يتحقــق بهــا كمــال العمــل، وتمــام المجاهــدة؛ مطويــة في النفــس مثلمــا تطــوى حبــوب الــزرع والنبــات في قشرهــا وأكمامهــا؛ حيــث تتجــلى عــلى حقيقتهــا بــزوال تلــك القشــور والأكمــام؛ نتيجــة لهديــر الرعــود وبريــق ضوئهــا؛ تلــك الرعــود الجالبــة للسحــب المشبعــة بالأمطــار المنهمــرة الصافيــة.

31 ــ حَــتَّى إذَا شَرِبَــتِ الأشْجَــارُ
وَزَالَ عَــنْ أغْصَانِهَــا الغُبَــارُ
32 ــ وَلاَنَــتِ الأعْــرَافُ بِارْتِوَائِهَــا
وَسَرَيَــانِ المَــاءِ فِي أرْجَائِهَــا
33 ــ وَاهْتَــزَّتْ الأغْصَــانُ بِالرِّيَــاحِ
تَهَيَّــتِ الأثْمَــارُ[2] لِلّقَــاحِ
34 ــ وَالقَصْدُ عِنْدَ القَــوْمِ بِالرُّعُــودِ
قَــدْح رُعــودِ الوَعْــدِ وَالوَعِيــدِ

[1] المُعْصِــرات: السحائــب تُعْتَصَــر بالمطــر.
[2] جمــع الثمــرة: ثمــار. وجمــع الجمــع: أثْمَــار وثُمُــر.

(من 31 إلى 34) ـ وقد رمز الناظم بصورة الرعود الهادرة وبريقها إلى وعد الله ووعيده، أما الأمطار المنسكبة فترمز لسيول الوعظ والإرشاد التي تهدف إلى إصلاح النفوس وتطهير القلوب. لذا فقد تخيل الناظم الوضع؛ بعد سقوط تلك الأمطار الصافية النقية؛ حيث يرى أن الأغصان قد لانت والأشجار انتعشت؛ بسبب ما لحقها من رعاية، وارتواء، وزوال الغبار والقذى عنها؛ فاهتزت الأغصان وتمايلت؛ بفعل الرياح التي هيأت الثمار للقاح.

35 ـ ثُمَّ انْسِكَاب مَطَرِ الوَعْظِ عَلَى
بَصِيرَةِ المَرْءِ لِكَيْ يَمْتَثِلاَ

36 ـ حَتَّى يَلِين قلْبُهُ بالفِكْرَةِ
وَيَنْتَفِي عَنْهُ غُبَارُ الغَفلةِ

37 ـ وَاسْتُخْرِجَتْ ثِمَارُ غُصْنِ القَلْبِ
بِهَزِّهَا فَبَعْدَ هَذَا الخَطْبِ

38 ـ يَبْدُو لِقَاحُ العِلْمِ وَالأَعْمَالِ
بِقَدْرِ مَا لِلْقَلْبِ مِنْ كَمَالِ

(من 35 إلى 38) ـ وقد استعار الناظم هذه الصورة للتعبير عما يحدث للقلب من غفلة وتهاون؛ فيلين بالوعظ؛ كما تلين الأغصان بالرعود والأمطار، ويتطهر وتزول عنه الشوائب بالرياضة والمجاهدة؛ كما

تغتسل الأغصان بمياه الأمطار الصافية التي تزيل الغبار عنها. فيسهل عندئذ قطف ثمرات القلب؛ بعد هزه بالمجاهدة والرياضة. وهكذا يظهر لقاح العلم المفيد، والأعمال الصالحة، على قدر ما أضحى عليه القلب من كمال وتمام الحال.

39 ـ وَبَعْدَ مَا تَحَصَّلَ اللِّقَاحُ
فَهَبَّ فِي أرْجَائِهَا الرِّيَاحُ

40 ـ وَظَهَرَ الأزْهَارُ فِي لأغْصَانِ
وَكَانَ الإعْتِدَالُ فِي الزَّمَانِ

41 ـ وَجَالَتِ الرِّيَاحُ فِي الأشْجَارِ
وَسَقَطَ الجُلُّ مِنَ الثِّمَارِ

42 ـ حِينَئِذِ تَنْعَقِدُ الأزْهَارُ
وَزُخْرِفَتْ بِحُلِّهَا الثِّمَارُ

43 ـ كَذَاكَ مِنْ بَعْدِ لِقَاحِ العِلْمِ
وَالعَمَلِ الأزْهَار عِنْدَ القَوْمِ

44 ـ وَهْوَ ظُهُورُ العِلْمِ وَالعِبَادَةِ
عَلَى الجَوَارِحِ مَعَ الزِّيَادَةِ

45 ـ لأنَّ مَنْ صَحَّ لَهُ الإخْلاَصُ
صَحَ لَهُ التَّحْصِيلُ وَالخَلاَصُ

46 ـ وَحِكَمٌ تَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ
وَطَاعَةٌ تَجْرِي عَلَى أرْكَانِهِ

(من 39 إلى 46) ــ لجأ الناظم إلى الاستعارة ووصف ما يلاقيه المتصوفة من أهل الرياضة والمجاهدة؛ فابتكر هذه الصورة التي تصف أعمال المتصوفة ومساعيهم بما يجري في الأعمال الزراعية؛ حين يتطلب الأمر من الفلاح القيام بتلقيح أشجاره؛ لكي يجني ثماراً صالحة.

فيقول الناظم أن الرياح تجري بين الأغصان؛ فتنقل اللقاح في الأرجاء كافة؛ الأمر الذي يساعد الأشجار على الإزهار؛ وذلك حينما يعتدل الطقس؛ ولكن الرياح تتسبب ــ أيضاً ــ في سقوط معظم الثمار؛ ولا يبقى منها سوى ما كان صالحاً ومتماسكاً. وهذا ينطبق ــ كذلك ــ على أهل العلم؛ إذ ينتج عن لقاح العلم إزهار العمل عندهم؛ فتظهر علامات العلم والعبادة على الجوارح؛ لأن المخلصين في أعمالهم هم الذين يجنون التحصيل، وينجون إلى عالم الخلاص. ومن اكتسب ذلك؛ يرزق بالحكمة التي ينطق بها لسانه، والطاعة التي تجري على أركانه.

47 ــ وَرُبَّمَا هَبَّتْ عَلَى الأعْمَالِ
رِيحُ الرِّيَا المُوبِقِ[1] لِلرِّجَالِ

48 ــ فَتحْبِطُ الجُلَّ مِنَ الطَّاعَاتِ
وَهَذِهِ مِنْ أعْظَمِ الآفَاتِ

[1] الموبق هو الحاجز بين شيئين.

49 ـ فَالعَالِمُـونَ فِي الـوَرَى كَثِيـرُ
وَالثَّابِتُـونَ عَمَـلاً يَسِيـرُ
50 ـ وَالعَقْـدُ لِلأعْمَالِ فِي الطَّرِيقَـهْ
ثُبُوتُهَـا بِالْحَـالِ وَالْحَقِيقَـهْ

(مـن 47 إلى 50) ـ وقـد تتعـرض الأعمـال الصالحـة لموجـة مـن الريـاء والتظاهـر أمـام النـاس بتلـك الأعمـال؛ فتتعطـل فوائدهـا المرجـوة، وتتعثـر جـل المقاصـد مـن الطاعـات؛ وهـذه هي الآفـة الكبـرى. وهكـذا؛ فـإن العامليـن والمتدينيـن كثيـرون؛ غيـر أن الذيـن يثبتـون في أعمالهـم ويتمسكـون بدينهـم قليلـون. لـذا فـإن العبـرة تكمـن في ثبـوت أهـل الطريقـة والتزامهـم بالأعمـال الصالحـة؛ تلـك الأعمـال الـتي تثبتهـم في وضـع تسـود فيـه الحقيقـة.

51 ـ فَرُبَّمَـا هَبَّـتْ رِيَاحُ العُجْـبِ
وَنَحْـوِهِ فِي عَرَصَـاتِ القَلْـبِ
52 ـ فَأسْقَطَـتْ مِنْ ذَلِـكَ الْكَثِيـرَا
وَتَرَكَـتْ مِنْـهُ زُهًى[1] يَسِيـرَا
53 ـ إلاَّ قَلِيـلاً مِـنْ عِبَـادِ اللَّـهِ
تَمَسَّكُـوا فِيهَـا بِحَبْـلِ اللَّـهِ

[1] زهى يسيـر: أي قـدر يسيـر. إذ يقـال: كانـوا زهـاء ألـف.

54 ـ لأَنَّهُـمْ أهْـلُ شُهُـودٍ مِنَّـا
وَالطَّاعِـنُ القَاطِـعُ بِالأَسِنَّـا

(مـن 51 إلى 54) ـ وقـد تهـب ريـاح العُجْـب والكِبَـر في حنايـا القلـب فيضطـرب؛ عندئـذ تتساقـط أعمـال صالحـة كثيـرة وتتـلاشى وتضمحـل، ولا يبـقى منهـا سـوى الشـيء اليسيـر؛ بعـد هبـوب الريـاح القويـة. ومـع هـذا؛ فـلا سبيـل إلى نكـران مـا كـان عليـه بعـض عبـاد اللـه الأتقيـاء؛ الذيـن تمسكـوا بحبـل اللـه؛ فنجـوا وكانـوا بيننـا شهـوداً طاهريـن. وكانـوا ثابتيـن في مواقفهـم، قاطعيـن في أحكامهـم؛ مثـل السيـوف الحـادة والأسنـة المدببـة.

55 ـ وَبَعْـدَ أنْ ثبـت[1] ذَا المِقْـدَارْ
فَـفِي الصَّـلاَحِ يَأخُـذُ الثِّمَـارْ
56 ـ فَإِنْ جَنَاهَـا رَبُّهَـا بِالشُّهْـرَهْ
لَـنْ يَكْمُـلَ الطِّيـبُ لِتِلْـكَ الثَّمْـرَهْ
57 ـ وَحَيْثُ بِالْخُمُـولِ قَدْ أخْفَاهَـا
فَبَلَغَـتْ فِي الطِّيـبِ مُنْتَهَاهَـا
58 ـ تَمَّتْ وَمِنْ بَعْدِ كَمَـالِ الطِّيـبِ
إنْ صَانَهَـا بِالْحِـظِ وَالتَّزْرِيـبِ[1]

---
[1] الكلمة هنا غير واضحة؛ ولكي يستقيم الوزن والمعنى يمكن وضع كلمة "انبت" بدلا من "ثبت"

59 ـ بِتَـرْكِ الاغْتِـرَارِ وَالأمَـانِي
وَرَفْـعِ سُـورٍ مُحْكَـمِ الْبُنْيَـانِ
60 ـ تَزَخْرَفَـتْ وَحَسُنَـتْ لِلـزُّادِ
وَنَـالَ مِنْهَـا غَايَـةَ الْمُـرَادِ
61 ـ وَإنْ يَكُـنْ أهْمَلَهَـا فَتَقْـرُبُ
ثِمَارُهَـا كُـلَّ يَـدٍ فَتَجْـذِبُ
62 ـ وَآلَ كَـدُّهُ إلَى الضَّيَـاعْ
إذْ مَـا لَـهُ فِيهَـا مِـنِ انْتِفَـاعْ
63 ـ وَهَـذِهِ طَرِيقَـةُ الْقُطَّـاعْ
مَـا جَـابَهَـا غَيْـرُ فَـتًى شُجَـاعْ
64 ـ مَا حَـلَّ مِنْهَا بِسَنَـام الطَّـورِ
إلاَّ امْـرُؤٌ مُؤَيَّـدٌ بِالنُّـورِ

(مـن 55 إلى 64) ـ يعـود الناظـم إلى استعـارة المعـاني مـن محيطـه الفـلاحي؛ فيقـول إذا صلـح الثمـار تحققـت الاستفـادة منـه؛ عـلى أن لا يجـنى قبـل الأوان. والمقصـود بالثمـار ـ هنـا ـ هي ثمـار الأعمـال الصالحـة؛ الـتي تُحفـظ وتُخفـى بالخمـول؛ إلى أن تصـل في الطيـب إلى حـدود المنتـهى. ويتحقـق الغـرض مـن ثمـار العمـل إذا اكتمـل طيبهـا، وتـم حفظهـا؛ برفـع سـور محكـم البنيـان.

[1] التزريـب: الحفـظ ببنـاء زريبـة حـول البستـان. والزريبـة في الأصـل هـي حضيـرة المـواشي أو عريـن الأسـد.

وثمار العمل كثمار الأشجار؛ تتحسن وتتلون بزخارف وألوان زاهية؛ فتغدو صالحة للزاد وجاهزة لتحقيق المراد. فإذا أهملت تناولتها الأيدي وعبثت بها الطوارئ؛ يضيع كد العاملين ويخيب أملهم في الانتفاع بها. لذا لا يقدر على صيانة الثمار وحفظها سوى العاملين الصالحين المؤيدين بنور الحق والطهارة.

65 ــ وَاعْلَمْ بِأَنَّ طُرُقَ التَّطْهِيرِ
كَثِيرَةٌ عِنْدَ ذَوِي التَّنْوِيرِ

66 ــ أَقْرَبُهَا نَفْعاً طَرِيقُ الذِّكْرِ
بِسُرْعَةٍ يُزِيلُ كُلَّ شَرِّ

67 ــ لَكِنْ بِشَرْطِ الخَوْفِ وَالْحُضُورِ[1]
مَعَ ادِّكَارِ[2] هَيْبَةِ المَذْكُورِ

68 ــ مَنْ تَركُ الغَفْلَةُ وَالأَمَانْ
فِي ذِكْرِهِ حَجَبَهُ الشَّيْطَانْ

69 ــ وَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ
بِقَذْفِهِ وَسَاوِساً فِي قَلْبِهِ

70 ــ وَأَحْدَقَتْ بِقَلْبِهِ غِشَاوَةْ
فَلَمْ يَذُقْ لِذِكْرِهِ حَلاَوَةْ

[1] الخوف: هو: ((من مواهب الله)) كما يقول ابن خلدون. وهو: ((توقع وقوع مكروه أو فوات محبوب)) كما يصفه الجرجاني. أنظر شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص: 99. أما الحضور: فيقول فيه ابن العربي: ((حضور القلب بالحق عند الغيبة عن الخلق)). نفسه، ص: 98.

[2] ادكر: ذكر. قال تعالى: ((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)). سورة القمر، الآية: 17.

71 ــ كَمْ بَـاذِلٍ قُـوَاهُ فِي الأذْكَـارِ
وَلَـمْ يَجِـدْ لِلذِّكْـرِ مِـنْ ثِمَـارِ
72 ــ وَذَاكَ مِنْ وَسَـاوِسِ الشَّيْطَـانِ
يَهِيـجُ بِالغَفْلَـةِ وَالأمَـانِ

(من 65 إلى 72) ــ يعالج الناظم في هذه الأبيات موضوع الأذكار؛ فيضع لها شروطاً منها: قوله بأن للتطير طرقاً وأساليب عديدة عند أهل التنوير والصلاح؛ وأهم تلك الطرق وأقربها نفعاً هي طريق الذكر؛ الذي يزيل بسرعة كل ما استتر وخفي عن البصيرة. وثمة شروط للذكر الصحيح؛ منها: الخوف من الله وإحلال هيبته في القلب، ثم الحضور؛ أي في صحوة وتجلي. لأن من استأمن للغفلة في ذكره؛ تصدى له الشيطان وحجبه عن نور الحق، وحال بينه وبين ربه؛ بواسطة ما يبث في قلبه من وساوس وأوهام. وبذلك تصيب قلب المبتلي بالوسواس غشاوة حاجبة؛ فتلغي عنه كل حلاوة وطلاوة في الذكر. وهذا الأمر واضح؛ إذ ثمة من بذل كل قواه في الأذكار دون أن يحصل منها على ثمار طيبة أو نتيجة صالحة. وكل ذلك بسبب وساوس الشيطان؛ الذي ينشط باستكانة الناس للغفلة.

73 ــ فَعَالِــجِ الخَواطِــرِ الرَّدِيَّــهْ

بِالدَّفْــعِ فَــهْيَ حُجُــبٌ قَوِيَّــهْ

74 ــ هَــلْ يَرْتَــقِي لِسُلَّــمِ الْمَعَــالِي

مَــنْ قَلْبُــهُ فِي عَالَــمِ الخَيَــالِ

75 ــ لَنْ يَستَقِيــمَ القَلْــبُ لِلتَّوْجيــهِ

مَــا دَامَ هَــذَا الهَذَيَــانُ فِيــهِ

76 ــ كَيْفَ يَصِحُّ فَتْــحُ بَابِ القُــدْسِ

مَــا دَامَ فِي القَــلْبِ غَيَــارُ النَّفْــسِ

77 ــ مُــدَّةَ مَا لِيْــلُ الهَــوَىَ يَغْشَــاهْ

لَــنْ يَصِــلَ القَلْــبُ إِلَى مَــوْلَاهْ

78 ــ حَــتَّى إِذَا نَهَــارُهُ تَجَــلَّى

بِفَتْــحِ بَــابِ المَلَكُــوتِ الأَعْــلَى

(مــن 73 إلى 78) ــ ينصــح الناظــم القــارئ بضــرورة معالجــة مــا يتعــرض لــه مــن خواطــر رديئــة وفاســدة؛ وذلــك بتركهــا ودفعهــا عنــه؛ لأنهــا عبــارة عــن حجــب شديــدة. ثــم يتســاءل: هــل يمكــن لمــن يمتلــك الخيــال قلبــه أن يرتــقي في سلــم المعــالي؟ ثــم يجيــب بالنــفي، ويقــول: لــن يستقيــم القلــب، ولا يقبــل التوجيــه مــادام الهذيــان يمتلكــه ويحتويــه. ثــم يتســاءل أيضــاً: كيــف يتســنى فتــح بــاب الطهــارة والقداســة مــا دام القلــب

مضطــرب بتغيــرات النفــس.؟ لأن القلــب إذا احتــواه ظـــلام الهــوى؛ لــن يقتــرب مــن اللــه.

79 ـــ مِنْ شُرُوطِ الذِّكْرِ أنْ لاَ يَسْقُــطَ
بَعْـضُ حُــرُوفِ الاسْـمِ أوْ يُفْــرَطَ

80 ـــ فِي الْبعْضِ مِنَ مَنَاسِكِ الشَّرِيعَــهْ
عَمْــداً فَتِلْــكَ بِدْعَـــةٌ شَنِيعَــهْ

81 ـــ وَالرَّقْصُ وَالصُّــرَاخُ وَالتَّصْفِيــقُ
عَمْــداً بِذِكْـــرِ اللَّــهِ لاَ يَلِيــقُ

82 ـــ وَإنَّمَا الْمطْلُــوبُ فِي الأذْكَــارِ
الذِّكْــرُ بِالْخُشُــــوعِ وَالْوَقَــارِ

83 ـــ وَغيْــرُ ذَا حَرَكَــة نَفْسِيَّـــهْ
إلاَّ مَـعَ الغَلبَـــــةِ القَوِيَّـــهْ

84 ـــ فَوَاجِــبٌ تَنْزِيــهُ ذِكْــرِ اللَّــهْ
عَــلَى اللَّبِيـــبِ الذَّاكِـــرِ الأوَّاهْ

85 ـــ عَنْ كُلِّ مَا تَفْعَلُهُ أهْــلُ البِــدَعْ
ويَقْتَــدِي بِفِعْــلِ أرْبَـــابِ الـــوَرَعْ

(مــن 79 إلى 85) ـــ في البيتيــن الأوليــن يشيــر الناظــم إلى الذيــن يسقطــون بعــض الحــروف مــن اســم اللــه أثنــاء أداء الذكــر بسرعــة ودون تــرو؛ مثــل إسقاطهـــم حـــرف الهــاء بقولهــم **"الْــلْ"** عوضــاً عــن كلمــة "اللــه". ويـــرى

بأن هذا الأمر يدخل في إطار البدعة الشنيعة. كما يرى في الأبيات التالية أن الرقص والصراخ والتصفيق أثناء الذكر لا يجوز ولا يليق؛ لأن الأذكار تتطلب من الذاكر الخشوع. وكل ما أخل بشرط الخشوع لا يعدو أن يكون سوى اضطراب نفسي يتغلب على الإنسان. وعليه فمن الواجب أن ننزه ذكر الله ونجله ونبتعد به عن كل الأفعال الصادرة عن أهل البدع، وبالمقابل نقتدي بما يفعله أصحاب الورع والتقوى.

86 ــ فَقَدْ رَأَيْنَا فِرْقَةً إذْ ذَكَرُوا
تَبَدَّعُوا وَرُبَّمَا قَدْ كَفَرُوا

87 ــ وَصَنَعُوا فِي الذِّكْرِ صُنْعاً مُنْكَرَا
طَبْعاً فَجَاهِدْهُمْ جِهَاداً أَكْبَرَا

88 ــ خَلَوْا مِنْ اسْمِ اللَّهِ حَرْفَ الهَاءِ
وَأَلْحَدُوا فِي أعْظَمِ الأسْمَاءِ

89 ــ لَقَدْ أَتَوْا وَاللَّهِ شَيْئاً إدًّا
تَخِرُّ مِنْهُ الشَّامِخَاتِ هَدًّا

90 ــ وَالأَلِفُ المَحْذُوفِ قَبْلَ الهَاءِ
قَدْ أَسْقَطُوا وَهُوَ ذُو خَفَاءِ

91 ــ وَغَيْرُهُمْ إسْقَاطُهُ فِي الخَطِّ
فَكُلُّ مَنْ يَتْرُكُهُ فَمُخْطِ

92 ـ قَدْ غَيَّرُوا اسْمَ اللَّهِ جَلَّ وَعَـلاَ

وَزَعَمُـوا نَيْـلَ المَرَاتِـبِ العُـلاَ

93 ـ تَغُرُّهُـمْ مَذَاقَـةٌ طَبْعِيَّـهْ

سَبَبُهَـا حَرَكَـةٌ نَفْسِيَّـهْ

94 ـ فَزَعَمُـوا أنَّ لَهُـمْ أسْـرَارَا

وَأنَّ فِي قُلُوبِهِـمْ أنْـوَارَا

95 ـ وَزَعَمُـوا أنَّ لَهُـمْ أحْـوَالاَ

وَأنَّهُـمْ قَـدْ بَلَغُـوا الكَمَـالاَ

96 ـ وَالقَوْمُ لاَ يَدْرُونَ مَا الأحْـوَالْ

وَكَوْنَهَـا لِمِثْلِهِـمْ مُحَـالْ

97 ـ حَاشَا بِسَاطَ القُدْسِ وَالكَمَـالْ

تَطَـؤُهُ حَوَافِـرُ الجُهَّـالْ

(من 86 إلى 97) ـ يشير الناظم في هذه الأبيات إلى بعض أهل الذكر من المبتدعة؛ فيدعوا إلى مجاهدتهم ومكافحتهم؛ إذ يعتقد في احتمال كفرهم؛ لأنهم اتبعوا المنكر من الأفعال؛ حين حذفوا حرف الهاء من اسم الله جل وعلى، ثم تخلوا عن الألف التي تأتي قبل الهاء أيضاً؛ لأن هذه الألف لا يجوز تركها في النطق أو في الخط كذلك؛ بحيث تصبح **"لـه"** بدلاً من **"اللـه"**. وقد زعم هؤلاء المبتدعة أن لهم أسراراً

وأن قلوبهم مشحونة بأنوار المعرفة؛ كما زعموا أيضاً أن لهم أحوالاً؛ أي بعض الصفات والمواهب المبثوثة فيهم من الله سبحانه وتعالى؛ وبها تمكنوا من الوصول إلى درجة الكمال. بينما الواقع يقول غير ذلك؛ لأن هؤلاء القوم لا يدرون ماهية الأحوال في المصطلح الصوفي؛ إذ أنها لمثلهم محال؛ وحاشا بساط القدس والكمال الطاهر أن يُدَنَّس بحوافر الجاهلين من العباد المشابهين للحيوانات العجم.

98 ــ قَدِ ادَّعَوْا مِنَ الكَمَالِ مُنْتَهَى
يَكِلُّ عَنْ تَحْصِيلِهِ أولُوا النُّهَى

99 ــ وَالجَاهِلُونَ كَالْحَمِيرِ المُوكِفَهْ
وَالْعَارِفُونَ سَادَةٌ مُشَرَّفَهْ

100 ــ وَهَلْ يُرَى بِسَاحِلِ الأَنْوَارِ
مَنْ لَجَّ فِي بَحْرِ الظَّلاَمِ سَارِ

(من 98 إلى 100) ــ يقول لأولئك المبتدعة الذين ينسبون لأنفسهم مرتبة الكمال؛ التي يعجز عن الوصول إليها أصحاب العقول الراجحة: أن العباد الجاهلون مثل الحمير بحملها وعملها. أما العارفون فهم سادة وأشراف. ثم يتساءل: هل يمكن للذي تمادى في السير داخل بحار الظلام أن يرى ضمن سواحل الأنوار رؤية جلية؟.

101 ــ وَقَالَ بَعْضُ سَادَةِ المُتَبَعَهْ

فِي رَجَزٍ يَهْجُوا بِهِ المُبْتَدِعَهْ

102 ــ وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ بالتَّغْيِيرِ

وَيَشْطَحُونَ الشَّطْحَ[1] كَالْحَمِيرِ

103 ــ وَيَنْبَحُونَ النَّبْحَ كَالْكِلاَبِ

مَذْهَبُهُمْ لَيْسَ عَلَى صَوَابِ

(من 101 إلى 103) ــ ذكر الناظم: أن بعض السادة العلماء المتبوعين قالوا رجزاً منظوماً هجوا فيه أهل البدع ممن أولعوا بالتغيير وانساقوا وراء الشطح في الأقوال والأفعال؛ برعونة كالحمير. كما تكالبوا بالنبح كالكلاب؛ معلنين عن مذهبهم المخالف الذي حاد عن الصواب.

104 ــ قُلْتُ وَشَاعَ أَمْرُ الإِشْتِبَاهِ[2]

فِي المُتَرَاسِلِينَ فِي اسْمِ اللَّهِ

105 ــ فَمَنْ يَكُنْ مُشْتَهِراً بِالذِّكْرِ

بِشَرْطِهِ عَنْ خَشْيَةٍ وَفِكْرِ

---

[1] يقول ابن خلدون في معنى الشطح عند المتصوفة: ((وإن صدر عن أحد منهم [أي المتصوفة] كلمة من ذلك [أي موضوع المكاشفة] على سبيل الندور سموه شطحاً؛ بمعنى أن حال الغيبة والسكر استولت عليه حتى تكلم بما ليس له الكلام به)). شفاء السالك لتهذيب المسالك، ص ص: 48 ــ 49. ويقول الجرجاني في الشطح أيضاً : ((كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى وهي نادرة أن توجد من المحققين)). نفسه، ص: 112.

[2] نقول: اشتبه الأمر عليهم: أي اختلط. واشتبه في المسألة: شك في صحتها.

106 ـ جَرَى لِسَانُـهُ عَلَى الأذْكَـارِ

وَأمْطَـرَتْ سَحَائِـبُ الأنْـوَارِ

107 ـ حَتَّى إذَا امْتَزَجَـتِ الأذْكَـارُ

بِالقَلْـبِ وَاسْتَنَـارَتِ الأفْكَـارُ

108 ـ تَأنَّـسَ القَلْبُ بِذِكْـرِ اللَّـهِ

وَصَـارَ طُـولَ الدَّهْـرِ لَيْـسَ سَـاهِ

109 ـ حَتَّى إذَا اسْتَنَارَتِ السَّرِيـرَهْ

وَانْبَـثَّ مَعْـنَى الذِّكْـرِ فِي البَصِيـرَهْ

110 ـ وَانْغَرَسَتْ فِي وَسَطِ الجِنَـانِ

شَجَـرَةٌ تَـرُوقُ كُـلَّ جَـانِ

111 ـ دَائِمَـةَ الظِّـلاَلِ وَالثِّمَـارِ

وَتَحْتَهَـا جَـدَاوِلُ الأنْهَـارِ

(من 104 إلى 111) ـ ففي هذه الأبيات يصف الناظم الذين يلتزمون بالذكر الصحيح فيقول: لمَّا شاع الاشتباه؛ باختلاط الأمر والشك فيما يجري في الذكر؛ من إرسال وإهمال لاسم الله. لذا فإن الذين التزموا بالذكر الصحيح عن خشية وتمعن؛ توصلوا إلى تحقيق سيولة في ألسنتهم؛ التي جرت بالذكر فاستنارت القلوب بالأفكار النيرة، وانهمرت السحب بالأنوار الكاشفة؛ فاستأنست القلوب بذكر الله، وصَحَتْ من غفوتها طويلاً. ومن هنا استنارت

السريرة ببث المعنى الصحيح للذكر في البصيرة. ثم يعود الناظم لمحيطه الفلاحي فيشبه العمل الصالح والذكر الصحيح بشجرة مثمرة؛ حيث يقول: أن الشجرة الدائمة الظلال والثمار؛ تعجب كل راغب في قطف ثمارها؛ تلك الشجرة التي انغرست في بستان به جداول وأنهار تجري تحت الشجرة.

112 ـ وَانْقَطَعَتْ عَلاَئِقُ الشَّيْطَانِ
وَظَهَرَتْ بَصِيرَةُ الإِنْسَانِ

113 ـ وَنُقِشَتْ فِي قَلْبِهِ عُلُومْ
وَأَيَّدَتْ فِي سِرِّهِ فُهُومْ

114 ـ وَلاَنَ قَلْبُهُ وَقَدْ أَصَابَا
فِي القَلْبِ نَحْوَ المَلَكُوتِ بَابَا

115 ـ فَأَيْنَ مَنْ أَلْقَى نِعَالَ النَّفْسِ
إِذَ حَلَّ فِي شَاطِئِ وَادِ القُدْسِ

116 ـ وَآنسَ النُّورَ بِذَاكَ الوَادِي
يَفُوزُ مِنْ شَجَرَةِ المُنَادِي

117 ـ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوَى
فَيَكْتَسِي مِنْ حُلَلِ النُّورِ قُوَى

118 ـ وَرُبَّمَا يُجْرِى بِهِ سَحَابَا
يَفِيضُ فِي أَرْجَائِهِ شَرَابَا

119 ـ فَيَمْتَلِئُ الصَّبُّ مِنْهُ شُرْبَا
فَيَسْتَزِيدُ طَرَباً وَحُبَّا

(من 112 إلى 119) ـ فإذا التزم الناس بالذكر الصحيح وقاموا بصالح الأعمال؛ انقطعت كل علاقة مع الشيطان؛ حيث تتجلى البصيرة السديدة للإنسان؛ فترسخ في قلبه العلوم الصالحة المفيدة؛ بما منحه الله من قدرة على استيعابها بفضل سر الفهم لديه؛ فيصيب قلبه الهدف في اتجاه ملكوت الله. ثم يتساءل الناظم موظفاً خبر موسى عليه السلام؛ حين رأى في الوادي المقدس نوراً؛ حيث كلمه ربه وتلقى منه الرسالة.[1] ثم يفترض أنه في الإمكان تلقي نور المعرفة واليقين بواسطة الذكر السليم؛ فيكتسي قلب الذاكر بالنور المبين، ويرتوي فيضاً من الهداية المنهمر من السحب المعطاءة؛ فيزيده ذلك طرباً وحباً.

120 ـ وَرُبَّمَا خَامَرَهُ التَّمَلِّي
فَتَعْتَرِيهِ صَعْقَةُ التَّجَلِّي

121 ـ إذْ ذَاكَ فَالْيَفْزَعْ إِلَى الصَّلاَةِ
فَإِنَّهَا تُفْضِي إِلَى النَّجَاةِ

122 ـ إِيَّاهُ أنْ يَغُرَّهُ الخَيَالْ
فَيَزْدَرِي بِقَلْبِهِ الخَتَّالْ

---

[1] جاء في القرآن الكريم: ((وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدَى. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوَى)). سورة طه، الآيات: من 9 إلى 12.

123 ـ فَـرُبَّ سَالِـكٍ رَأى سَرَابَـا
بِقَيْعَـــةٍ يَظُنُّـــهُ شَرَابَـــا

(مــن 120 إلى 123) ـ وقــد يخالــط الإنســان ـ خــلال الذكــر ـ امتــلاء وضجــر، وتداخلــه السآمــة؛ فمــا عليــه عندئــذ ســوى الإســراع لأداء الصــلاة؛ إذ بهــا ينجــو مــن المصائــب والآفــات. ومــن هنــا يتوجــب عليــه الحــذر مــن الاغتــرار بالخيــال؛ الأمــر الــذي يــؤدي بــه إلى ازدراء غيــره بواسطــة قلبــه المخــادع. ثــم ضــرب مثــلاً؛ بذلــك السالــك في الطريــق الــذي يــرى سرابــاً بــأرض واسعــة سهلــة فيضنــه مــاء للشــرب.

124 ـ يَا جَاهِـلاً بِمَنْصِبِ الكَمَـالِ
وَطَالِبــاً حَضِيــضَ الإنْسِفَــالِ
125 ـ أَلَسْتَ ذَا عَقْـلٍ وَذَا بَصِيـرَهْ
أَمْ لَـمْ تَكُـنْ مُنَــوَّرَ السَّرِيــرَهْ
126 ـ حُجِبْـتَ بِالْعَلاَئِـقِ النَّفْسِيَّـهْ
عَــنْ هَـذِهِ الْمَرَاتِــبِ الْقُدْسِيَّــهْ
127 ـ رَضِيتَ بِالْمَرَاتِـبِ الخَسِيسَـهْ
لِجَهْلِـكَ الْمَرَاتِــبَ النَّفِيسَــهْ

(مــن 124 إلى 127) ـ وجــه الناظــم نــداءه إلى الــذي يجهــل مرتبــة الكمــال؛ الــتي هي الحــال الكامــل، والطهــارة

التامة؛ بينما يجرى وراء المراتب الدنيا والمنازل السفلى. ثم يقول له متسائلاً: أليس لك عقل وبصيرة تستنير بهما سريرتك؟. لقد حجبت عنك المراتب الطاهرة المقدسة بسبب الأهواء النفسية. لذا فقد اكتفيت ـــ راضياً ـــ بالمراتب الدنيئة الخسيسة؛ نظراً لجهلك بالمراتب النفسية النزيهة.

128 ـــ دَوَائِرُ الحِسِّ[1] عَلَيْكَ مُطْبَقَهْ
وَحَضْرَةُ الكَمَالِ عَنْكَ مُغْلَقَهْ

129 ـــ يَا مُولَعاً بِالعَالَمِ الجِسْمَانِي
وَجَاهِلاً بِالْعَالَمِ الرُّوحَانِي

130 ـــ فَكَمْ خَدَمْتَ الجِسْمَ يَا بَطَّالُ
وَلَسْتَ مِنْ خِدْمَتِهِ تَنَالُ

131 ـــ هَلاَّ خَدَمْتَ الرُّوحَ يَا مَغْرُورْ
هَيْهَاتَ قَدْ حُجِبَ عَنْكَ النُّورْ

132 ـــ يَا جَاهِلاً بِعَالَمِ الأَرْوَاحِ
حُجِبَ عَنْكَ السِّرُّ[2] بِالأَشْبَاحِ

133 ـــ فَلَوْ عَلِمْتَ هَذِهِ التِّجَارَهْ
لَمْ تَعْتَبِرْ مِنْ دُونِهَا خَسَارَهْ

---

[1] **الحس عند الفلاسفة هو ((الإدراك بإحدى الحواس، أو الفعل الذي تؤديه إحدى الحواس، أو الوظيفة النفسية الفيزيولوجية التي تدرك أنواعاً مختلفة من الإحساس؛ تقول الحس اللمسي والحس البصري..إلخ.)). المعجم الفلسفي، ج: 1؛ ص: 467.**

[2] **يقول الجرجاني عن "السر": ((لطيفة مودعة في القلب كالروح في البدن وهو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة والقلب محل المعرفة)). شفاء السائل، ص: 101.**

(من 128 إلى 133) ـ ويكمل الناظم كلامه الموجه للجاهل المقصر في حق الله، وفي حق نفسه؛ فيقول له: إنك محصور ضمن دائرة ضيقة وهي دائرة الحس المرتبط بالوظيفة الجسمية. بينما تجد نفسك في عزلة عن حضرة الكمال؛ لأن دائرتها تغلق في وجهك. ثم يضيف منادياً إياه ومؤنباً: يا أيها المفتون المولع بالجسم وما يرتبط به؛ وبالمقابل تجهل عالم الروح وأسرارها؛ كم مرة وضعت نفسك في خدمة جسمك واخترت سبيل البطالة والعجز؟ هل تعلم أنك لن تنال شيئاً من خدمتك للجسم؟ أليس الأفضل لك يا مغرور؛ لو أنك قمت بخدمة الروح؛ ولكن هيهات هيهات؛ فقد حجب عنك نور المعرفة. ثم يسترسل قائلاً: يا أيها الجاهل بعالم الأرواح وأسرارها؛ فقد حجب عنك السر؛ تلك اللطيفة محل المشاهدة المودعة في القلب؛ بسبب ما تراه من أشباح وأوهام. فإن رغبت في الكسب فطرق الكسب والخسارة واضحة جلية.

134 ـ يَا جَاهِلاً بِقَلْبِهِ وَمَا حَوَى
مُشْتَغِلاً بِالشَّهَوَاتِ وَالْهَوَى

135 ـ لَوْ غُصْتَ فِي بَحْرِكَ يَا مَغْرُورَا
وَجَدْتَ فِيهِ لُؤْلُؤاً مَنْثُورَا

136 ــ وَلَوْ تَرَكْتَ العَالَمَ الجِسْمَانِي
لَذُقْتَ سِرَّ العَالَمِ الرُّوحَانِي

(من 134 إلى 136) ــ يستمر الناظم في ندائه قائلاً: يا أيها الجاهل بما يحتويه قلبه من الأسرار؛ ويا أيها المشتغل بمغريات الشهوات وبريق الهوى الخداع؛ لو أنك تأملت بعمق في محتوى قلبك، وغصت في بحر أسراره؛ لوجدت فيه جواهر ثمينة تفيدك في دار القرار. ولو أنك أيضاً ابتعدت عن مغريات العالم الجسماني لتمتعت بطعم سر العالم الروحاني.

137 ــ وَكُلُّ مَشْغُولٍ بِعَالَمِ الجَسَدْ
فَذَاكَ مَحْجُوبٌ عَنِ اللَّهِ الصَّمَدْ

138 ــ فَلْتَشْتَغِلْ بِالْعَالَمِ الرُّوحَانِي
وَاتْرُكْ سَبِيلَ العَالَمِ الجِسْمَانِي

139 ــ وَاخْرِقْ حِجَابَ النَّفْسِ بَعْدَ الجِسْمِ
تَرَى الكَمَالَ فِي بِسَاطِ العِلْمِ

140 ــ فَمَنْ سَعَى فِي خِدْمَةِ المَوْضُوعِ
فَذَاكَ مَحْجُوبٌ عَنِ الطُّلُوعِ

141 ــ إِذْ أَوَّلُ السُّلُوكِ تَرْكُ ذَالِكْ
وَبَعْدَهُ يَسْلُكُ فِي المَسَالِكْ

142 ــ نَعَمْ بقُــدْرَةِ القُــوَّةِ النَّفْسِيَّــهْ

لَــمْ تَتَّصِــلْ بالْحَضْــرَةِ القُدْسِيَّـــهْ

143 ــ فَابْذُلْ قُوَاكَ فِي صَلاَحِ النَّفْــسِ

مِــنْ كُــلِّ وَصْمَــةٍ بِهَــا وَلُبْــسِ

144 ــ حَتَّى إذَا صَحَــتْ سَمَاءُ السِّرِّ

بأسْرِهَــا عَــنْ طَبَقَــاتِ السِّتْــرِ

145 ــ فَعِنْــدَهُ شَمْسُ شُهُــودِ الحَــقِّ

مُشْرِقَــةً عَــلَى بُــرُوجِ الصِّـــدْقِ

(مــن 137 إلى 145) ــ يقطــع الناظــم ويجــزم بحجــب المفتونيــن بعالــم الجســد عــن مشاهــدة الأنــوار الإلهيــة. لــذا فهــو يدعوهــم إلى الاعتنــاء بالعالــم الروحــاني؛ وتــرك السبــل المؤديــة إلى العالــم الجسمــاني. ثــم يدعــو إلى خــرق حجــاب النفــس؛ بعــد أن يتــم خــرق حجــاب الجســم؛ وبذلــك يتحقــق الكمــال الــذي يتــوج رحــاب العلــم والمعرفــة. فالموضــوع الجسمــاني إن ســعى إليــه أحدهــم يُحْجَــب ولا يظهــر. لــذا فــأول مــا يجــب القيــام بــه هــو تــرك مغريــات النفــس، ثــم الشــروع في العمــل عــلى قطــع المسالــك المؤديــة للحضــرة القدسيــة؛ بواسطــة القــدرة النفسيــة المتحكمــة في الإرادة. وعليــه فالناظــم يدعــو إلى بــذل الجهــد وشحــذ القــوى مــن أجــل إصــلاح النفــس، وتقويمهــا وتطهيرهــا مــن كــل شائبــة أو وصمــة أو شبهــة.

فـإذا صحـت سمـاء السـر الـذي في القلـب، وتجلـت بأسرارهـا المنبثقـة مـن طبقـات السـتر. تنجـلي الشمـس المنيـرة بشهـود الحـق بـارزة مـن بـروج الصـدق.

146 ـ هَيْهَاتَ أنْ يَطَا[1] بِسَاطَ القُدْسِ
مُكَبَّـلٌ بِشَهَـوَاتِ النَّفْـسِ

147 ـ هَيْهَـاتَ أنْ يَطَا البِسَـاطَ الأحْمَـقُ
كَيْـفَ يَنَـالُ السِّـرَّ مَنْ لاَ يُصَـدِّقُ

148 ـ هَيْهَاتَ أنْ يَرْقَى المَقَامَ العَالِيَـا
مَـنْ كَـانَ لِلنَّفْـسِ مُطِيعـاً تَالِيَـا

149 ـ فَهَلْ يَطَـا مَسَاجِـدَ الإنَابَـهْ[2]
مَـنْ لَـمْ يَـزَلْ بِحَـدَثِ الجَنَابَـهْ

150 ـ كَيْفَ تُفِيدُ الشَّكْلَ مِرْآةُ الصَّدَا
أمْ كَيْـفَ تَعْشُـو مُقْلَـةٌ فِيهَـا القَـذَا

(مـن 146 إلى 150) ـ يستبعـد الناظـم ـ علـى مـن قُيِّـدَ بشهـوات النفـس ـ أن يصـل موصـل الكمـال، ويطـأ بسـاط الطهـارة والنزاهـة. ويستبعـد ـ أيضـاً ـ أن يطـأ ذلـك البسـاط مـن وصـف بالحمـق؛ وعليـه فكيـف يحـظى بامتـلاك السـر مـن لا يصـدق بالحقيقـة؟ ويستبعـد

[1] تُقْـرأ هكـذا ـ بـدون همـزة ـ للضـرورة الشعريـة.

[2] نقـول: نـاب إلى اللـه: بمعنى تـاب. ونـاب فـلان: لـزم الطاعـة للـه. ومساجـد الإنابـة هنـا تعـني: مساجـد الطاعـة والتوبـة.

ـ كذلك ـ أن يرتقي إلى المراتب العليا من سَلَّمَ أمره لمتطلبات النفس. ثم يتساءل: هل يجوز للمجنب أن يدخل مساجد الطاعة والتوبة ويطأها بقدميه النجستين؟. فكيف لمرآة يعلوها الصدأ أن تُظْهِرَ الشكل المعكوس فيها بوضوح؟ أو كيف لمقلة العين التي تعاني من القذى أن ترى في الظلام؟

151 ـ عُجِبْتُ مِنْ مُسَافِرٍ يَشْكُو الظَّمَا
وَحَوْلَهُ عَذْبُ فُرَاتٍ أيُّ مَا

152 ـ مَا حَلَّ وَفْدُ الرَّاصِدِينَ مَرْصَدَا
وَرَامَ حِزْبُ الوَارِدِينَ مَوْرِدَا

153 ـ إلاَّ بِأخْمَاصِ البُطُونِ وَالسَّهَرْ
وَالصَّمْتِ وَالعُزْلَةِ عَنْ كُلِّ البَشَرْ

154 ـ وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَتَقْصِيرِ الأَمَلْ
وَفِكْرَةِ القَلْبِ وَكُثْرَةِ العَمَلْ

155 ـ وَالخَوْفِ وَالذِّكْرِ بِكُلِّ حَالْ
وَالصَّبْرِ وَالقُوتِ مِنَ الحَلاَلْ

156 ـ وَفِعلِ أنْوَاعِ المُعَامَلاَتْ
وَفِعْلِ أرْكَانَ المُجَاهَدَاتْ

157 ـ مِنْ بَعْدِ تَحْصِيلِ فُرُوضِ العَيْنِ
عِلْماً وَأعْمَالاً مِنْ غَيْرِ مَيْنِ

(من 151 إلى 157) ـــ يضع الناظم في هذه الأبيات الشروط الواجب إتباعها من طرف السالك في طريق التصوف. فيبدأ بالتعجب من المسافر في تلك الطريق؛ وهو يشكو من الحاجة، ومن الضمأ؛ في الوقت الذي تتواجد حوله مياه متناهية العذوبة. ثم يجزم أنه لا يمكن تحقيق الهدف والوصول إلى المعين الدافق إلاَّ بتحقيق عدة شروط منها: جوع البطون، وسهر الليالي، والصمت بالصيام عن الكلام، والعزلة عن الناس، والزهد في الدنيا، وتقصير الأمل في أمور الدنيا، والتفكر في شئون القلب والروح، والإكثار من الأعمال الصالحة، والخوف من العاقبة، ولزوم الذكر في جميع الأحوال والظروف، والصبر على المكاره والشدائد، وتناول من الطعام ما يسد القوت فقط على أن يكون ذلك من الحلال. وفعل الخير والإكثار من المعاملات الهادفة والصالحة، والتقيد بأركان المجاهدات من: تقوى واستقامة وكشف؛ كل ذلك يقوم به السالك بعد أن يقوم بفروض العين على أحسن وجه علماً وعملاً دون تردد أو تلاكؤ.

158 ــ فَأَيْنَ حَالُ هَـؤُلاَءِ القَوْمِ
مِنْ سُوءِ حَالِ فُقَرَاءِ اليَوْمِ

159 ــ قَدْ ادَّعَوْا مَرَاتِباً جَلِيلَهْ
وَالشَّرْعُ قَدْ تَجَنَّبُوا سَبِيلَهْ

160 ــ قَدْ نَبَـذُوا شَرِيعَـةَ الرَّسُـولِ
فَالْقَـوْمُ قَـدْ حَـادُوا عَـنِ السَّبِيـلِ

161 ــ لَمْ يَدْخُلُـوا دَائِـرَةَ الطَّرِيقَـهْ
فَضْـلاً عَـنْ دَائِـرَةِ الحَقِيقَـهْ

162 ــ لَـمْ يَقْتَـدُوا بِسَيِّـدِ الأَنَـامِ
فَخَرَجُـوا عَـنْ مِلَّـةِ الإِسْـلاَمِ

163 ــ لَمْ يَدْخُلُـوا دَائِـرَةَ الشَّرِيعَـهْ
وَأُولِعُـوا بِبِـدَعٍ شَنِيعَـهْ

164 ــ لَمْ يَعْمَلُوا بِمُقْتَـضَى الكِتَـابِ
وَسُنَّـةَ الهَـادِي إِلَى الصَّـوَابِ

165 ــ قَدْ مَلَكَـتْ قُلُوبَهُـمْ أَوْهَـامُ
فَالْقَـوْمُ إِبْلِيـسٌ لَهُـمْ إِمَـامُ

166 ــ كَفَـاكَ فِي جَمِيعِهِـمْ خِيَانَـهْ
إِنِ اخْتَالُـوا الدُّنْيَـا بِالدِّيَانَـهْ

167 ــ وَانْتَهَكُـوا مَحَارِمَ الشَّرِيعَـهْ
وَسَلَكُـوا مَسَالِـكَ الخَدِيعَـهْ

168 ــ مَنْ كَانَ فِي نَيْلِ الكَمَالِ رَاجِياً
وَعَـنْ شَرِيعَـةِ الرَّسُـولِ نَائِيـاً

169 ــ فَإِنَّـهُ مُلَبَّـسٌ مَفْتُـونُ
وَعَقْلُـهُ مُخْتَبَـلٌ مَجْنُـونُ

170 ــ هَذَا مُحَـالٌ لاَ يَصِـحُّ أَبَـدَا
لأَنَّ سَيِّـدَ الـوَرَى بَـابُ الهُـدَى

(من 158 إلى 170) ـ يصف الناظم في هذه الأبيات أحوال المخالفين المبتدعة بقوله: أين هو حال من توفرت فيهم الشروط السابقة من المتصوفة الأتقياء؟ أين هم أمام حال أدعياء اليوم الذين يدعون لأنفسهم مراتب جليلة؟ بينما نراهم قد تجنبوا سبل الشرع بمخالفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهؤلاء لا يمكن اعتبارهم من أهل التصوف لأنهم تنكروا للحقيقة. ذلك لأنهم لم يقتدوا برسول الله r فخرجوا بسبب ذلك عن الدين الإسلامي. كما أنهم لم يدخلوا في نطاق الشريعة، وفضلوا الانسياق خلف البدع والأعمال الشنيعة. ثم أنهم لم يلتزموا بما ورد في كتاب الله، ولا بسنة نبيه محمد الهادي عليه السلام. لقد أصيبوا بأوهام تملكت قلوبهم؛ لأن إبليس اللعين أصبح لهم إمام وقدوة. ويكفيهم عصياناً أنهم سلكوا طريق الخيانة؛ باختيارهم للمغريات الدنيوية بدلاً من الالتزام بالدين وحدود الله. حيث أنهم انتهكوا المحرمات التي قالت بها الشريعة، وساروا في طريق الخداع والرذيلة. ثم يقرر بعد ذلك قائلاً: من كان يرجوا الوصول إلى درجة الكمال؛ بينما هو بعيد عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لا بد أنه مفتون، وعقله

غير سليم ومجنون. ثم يصرح بقوله: هذا الأمر محال ولا يمكن أن يحدث؛ لأنه لا يصح، ولن يتم أبداً؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو باب الهداية ومفتاحها.

171 ــ وَقَالَ بَعْضُ السَّادَةِ الصُّوفِيَّهْ
مَقَالَةً صَادِقَةٍ جَلِيَّهْ

172 ــ إِذَا رَأَيْتَ رَجُلاً يَطِيرُ
أَوْ فَوْقَ مَاءِ البَحْرِ قَدْ يَسِيرُ

173 ــ وَلَمْ يَقِفْ عِنْدَ حُدُودِ الشَّرْعِ
فَإِنَّهُ مُسْتَدْرِجٌ وَبِدْعِي

174 ــ وَاعْلَمْ بَأَنَّ الخَارِقَ الرَّبَّانِي
لَتَابِعُ السُّنَّةِ وَالقُرْآنِ

175 ــ وَالفَرْقُ بَيْنَ الإِفْكِ وَالصَّوَابِ
يُعْرَفُ بالسُّنَّةِ وَالكِتَابِ

176 ــ وَالشَّرْعُ مِيزَانُ الأُمُورِ كُلِّهَا
وَشَاهِدٌ لأَصْلِهَا وَفَرْعِهَا

177 ــ وَالشَّرْعُ نُورُ الحَقِّ مِنْهُ قَدْ بَدَا
وَانْفَجَرَتْ مِنْهُ يَنَابِيعُ الهُدَى

(من 171 إلى 177) ــ يشير الناظم إلى قول بعض السادة من المتصوفة الصادقين؛ جاء فيه: لا تصدق أهل البدع الذين لا يلتزمون بحدود الشرع؛ مهما

حاولوا خداعك باستدراجاتهم وألاعيبهم؛ حتى وإن رأيت أحدهم يطير في السماء أو يسير فوق موج البحر؛ فلا تصدقه؛ لأنه في الحقيقة مشعوذ دجال. ذلك لأن الخوارق الربانية لا تتعارض مع سنة رسول الله وتعاليم القرآن الكريم؛ بل هي تابعة لهما وصادرة عنهما. لذا فالكذب والصواب يتقرران بمقياس السنة والقرآن. فالشرع هو ميزان الأمور كافة؛ إذ يعتبر شاهداً على أصولها وفروعها. والشرع أيضاً يتجلى منه نور الحق، وتنفجر من خلاله ينابيع الهداية والتقى.

178 ــ وَقَالَ بَعْضُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ
السَّالِكِينَ بِصِرَاطِ اللَّهِ

179 ــ مَنِ ادَّعَى مَرَاتِبَ الجَمَالِ
وَلَمْ يَقُمْ بِأَدَبِ الجَلاَلِ

180 ــ فَارْفُضْهُ إِنَّمَا الفَتَى دَجَّالُ
لَيْسَ لَهُ التَّحْقِيقُ وَالكَمَالُ

181 ــ وَمَنْ تَحَلَّى بِحُلَى المَعَالِي
وَبِحُدُودِ اللَّهِ لَمْ يُبَالِ

182 ــ فَفِرَّ مِنْهُ إِنَّهُ شَيْطَانُ
مُخَادِعٌ مُلَبِّسٌ خَوَانُ

183 ــ يَا صَاحِ لاَ تَعْبَا بِهَؤُلاَءِ
ذَوِي الخَنَى وَالزُّورِ وَالأَهْوَاءِ

184 ـ بَاءُوا بِسُخْطٍ وَضَلَالٍ وَقِلَى
لَمْ يَبْلُغُوا مَرَاتِبَ المَجْدِ إلَى

185 ـ إنْ تَنْظُرِ البَهْمُوت بِالْعَرْشِ يُنَاطْ
أوْ يَلِجُ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطْ

(من 178 إلى 185) ـ يشير الناظم إلى قول بعض الأولياء الصالحين القائمين بحدود الله فيقول: لا بد لمن يدعي جمال الخلق أن يلتزم بالآداب الجليلة المقررة في شرع الله. لذا فالواجب هو أن ترفض من أخل بهذا الشرط؛ لأنه كاذب دجال؛ ليس له القدرة على الارتقاء إلى مراتب الكمال. كما أن الذي حلَّى نفسه بأوصاف الرقي والسمو؛ ولم يعطي بالاً لحدود الله؛ لا يستحق المخالطة ولا المصاحبة؛ لأنه يتحلى بأوصاف الشيطان المخادع الخوان؛ لذا فالمطلوب الابتعاد عنه. ثم يطلب الناظم من القارئ أن يهمل أمثال هؤلاء؛ أصحاب الفواحش والكذب والأهواء الساقطة. لأنهم ضلوا ونالوا سخط الله وغضبه؛ فتعذر عليهم الوصول إلى مراتب المجد؛ ولن يحدث ذلك حتى يلج الجمل في سمّ الخياط.

186 ـ هَذَا زَمَانٌ كَثُرَتْ فِيهِ البِدَعْ
وَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ أمْوَاجُ الخِدَعْ

187 ـــ وَخَسَفَتْ شَمْسُ الْهُدَى وَأَفَلَتْ

مِنْ بَعْــدِ مَــا قَــدَ بَزَغَــتْ وَكَمُلَــتْ

188 ـــ وَالدِّيــنُ قَدْ تَهَدَّمَتْ أَرْكَانُــهْ

وَالــزُّورُ طَبَّــقَ الْهَــوَى دُخَّانَـــهْ

189 ـــ وَظُلُمَاتُ الــزُّورِ وَالبُهْــتَــانِ

تَزَخْرَفَــتْ فِي جُمْلَـــةِ الأَوْطَـــانِ

190 ـــ لَمْ يَبْــقَ مِنْ دِينِ الْهُــدَى إِلاَّ اسْمُــهُ

وَلاَ مِــنْ الْقُـــرْآنِ إِلاَّ رَسْمُـــهُ

191 ـــ هَيْهَاتَ قَدْ غَاضَــتْ يَنَابِيــعُ الْهُــدَى

وَفَــاضَ بَحْــرُ الْجَهْــلِ وَالزَّيْــغُ بَــدَا

192 ـــ أَيْنَ رُعَاةُ الدِّينِ أَهْــلُ الْعِلْــمِ

قَــدْ سَلَفُــوا وَاللَّــهِ قَبْــلَ الْيَـــوْمِ

193 ـــ وَهَاجَتِ الطَّائِفَــةُ الدَّجَاجِلَــهْ

السَّالِكُـــونَ لِلطَّرِيـــقِ الْبَاطِلَـــهْ

194 ـــ وَكَثُرَتْ أَهْلُ الدَّعَاوَى الكَاذِبَهْ

وَصَــارَتِ الْبِدْعَــةُ فِيهِــمْ غَالِبَـــهْ

195 ـــ القَــوْمُ إِذْ زَاغُــوا أَزَاغَ اللَّــهُ

قُلُوبَهُـــمْ فَانْسَلَخُـــوا وَتَاهَـــوا

196 ـــ وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ عَنْ خَيْــرِ الْــوَرَى

لَنْ يَخْــرُجَ الدَّجَــالُ أَعْــنِي الأَكْبَــرَا

197 ـــ حَتَّى تَقُــومَ قَبْلَــهُ دَجَاجِلَــهْ

كُــلٌّ يَلُـــوذُ بِطَرِيـــقٍ بَاطِلَـــهْ

198 ـ مَنْ لَمْ يَلُذْ بِالْمَنْهَجِ الْمُحَمَّدِي
بَـاءَ بَسُخْـطِ اللَّـهِ طُـولَ الأمَـدِ

(من 186 إلى 198) ـ يصف الناظم الزمان الذي عاش فيه؛ وهو القرن العاشر الهجري فيقول: كثرت في زمانه أشكال البدع، واضطربت أيامه بالأهوال المنطوية على الخدع. كما أفلت فيه شمس الهدى بأنوارها الساطعة؛ بعد أن كانت في زمان سابق كاملة النور. كما أن الدين الصحيح في هذا الزمن عرف تزعزعاً في أركانه؛ بسبب ما انتشر من زور وبهتان في كامل الأوطان؛ بحيث لم يتبق من الدين الإسلامي الحنيف إلا اسمه ومن كتاب الله إلا رسمه. فبعداً لهم إذ نضب معين الهداية أمام بحار الجهل والانحراف التي فاضت وعمت. ثم يتساءل: أين هم رعاة الدين والمحافظون عليه من أهل العلم الصحيح؟ ثم يجيب نفسه فيقول: لقد مضوا قبل هذا الزمن؛ الأمر الذي سمح لطائفة من الدجالين المنحرفين بالنمو والظهور؛ فتعددت بينهم المزاعم الكاذبة، وانتشرت فيهم البدع المتنوعة؛ فزاغت قلوبهم وانسلخوا عن دينهم وتاهوا. ثم يقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في حديث: أن الدجال الأكبر لن يظهر حتى يسبقه دجاجلة آخرون أتفه

منه؛ يسلكون طريقاً باطلة. ثم يقول: من لم يتبع منهج محمد عليه السلام نال غضب الله وسخطه طول الأمد.

199 ـ هَيْهَاتَ أنْ يَطْمَعَ فِي نَيْلِ الوَفَا
مَنْ حَادَ عَنْ شَرْعِ النَّبِيِّ المُصْطَفى

200 ـ فَإِنَّهُ هُوَ السِّرَاجُ الأنْوَرُ
وَبَابُ حَضْرَةِ الإِلَهِ الأكْبَرُ

201 ـ فَكُلُّ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ سُنَّتِهِ
فَلَيْسَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أمَّتِهِ

202 ـ مَنْ حَادَ عَنْ سُنَّتِهِ فَقَدْ غَوَى
وَفِي غَيَابَاتِ الضَّلاَلِ قَدْ هَوَى

203 ـ المُصْطَفَى خَيْرُ وَسِيلَةٍ إِلَى
إِلَهِنَا رَبِّ السَّمَاوَاتِ الْعُلاَ

204 ـ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَبَّتْ صَبَا
وَمَا إِلَيْهِ قَلْبُ عَاشِقٍ صَبَا

(من 199 إلى 204) ـ يستبعد أن يحظى من حاد عن شرع النبي المصطفى وسنته بنيل رضاه. فالمصطفى هو السراج المنير وباب الحضرة الإلهية؛ فمن أعرض عن سنته فلن يغدو عند الله من أمته صلى الله عليه وسلم ؛ لأن من انحرف عن سنته وتجنبها يكون قد ضل وغوى وفي مهاوي

المهالـــك قـــد هـــوى. ثـــم يضيـــف قائـــلاً: إن أفضـــل وسيلـــة للتقـــرب مـــن اللـــه سبحانـــه وتعـــالى هـــو المصطـــفى؛ صـــلى عليـــه اللـــه بقـــدر مـــا هبـــت ريـــح الصبـــا، وبعـــــدد مـــــا خفـــق إليـــه قلـــب عاشـــق صـــب.

205 ـ يَا أَيُّهَــا المَغْلُــولُ فِي سِجْــنِ الهَــوَى
أَقْبِــلْ لِمَــا عَلَيْــهِ قَلْبُــكَ انْطَــوَى

206 ـ وَجِدَّ كُلَّ الجِدِّ فِي اصْطِفَائِــهِ
تَسْتَخْــرِجِ الكُنُــوزَ مِــنْ أَرْجَائِــهِ

207 ـ وَالْتَــزِمِ التَّفْوِيــضَ وَالإِنَابَــهْ
فَهَــذِهِ طَرِيقَــةُ الصَّحَابَــهْ

208 ـ تَأَنَّسَــتْ قُلُوبُهُــمْ بِاللَّــهِ
فَأَخْلَصُــوا أَوْقَاتَهُــمْ لِلَّــهِ

209 ـ وَاسْتَغْرَقُوا أَوْقَاتَهُــمْ بِالطَّاعَــهْ
عَــلَى بِسَــاطِ الصِّــدْقِ وَالصَّرَاحَــهْ

210 ـ النَّاسُ فِي جَوْفِ الظَّلَامِ هُجَّــعُ
وَالقَــوْمُ فِيــهِ سُجَّــدٌ وَرُكَّــعُ

211 ـ حَثُّوا مَطَايَا الحَزْمِ فِي جَــوْفِ الدُّجَــا
تَطْلَــعُ شَمْسُهُــمْ إِذَا اللَّيْــلُ سَجَــا

212 ـ فَفِي المُنَاجَــاةِ لَهُــمْ كُئُــوسُ
تُحْــيِى بِهَــا الأَرْوَاحُ وَالنُّفُــوسُ

213 ــ هُـمُ الهُـدَاةُ بِهُدَاهُـمْ اِقْتَـدِ
إِلَى مَرَاتِـبِ الوُصُـولِ تَهْتَـدِي
214 ــ وَاكْشِفْ حِجَابَ السِّرِّ بِالتَّفْرِيدِ
بِالْعالَـمِ الأَسْنَى مَـعَ التَّجْرِيـدِ
215 ــ تَرَى الغُيُـوبَ كُلَّهَـا جَلِيَّـهْ
وَتَرْتَـقِي لِلْحَضْـرَةِ العَلِيَّـهْ
216 ــ وَزَالَ عَنْ مِرْآتِهِ كَشْفُ الغِطَـا
مَـنْ لَـمْ يَـزَلْ فِي حِسِّـهِ مُثَبَّطَـا

(مـن 205 إلى 216) ــ ينـادي الناظـم ذلـك السجيـن في سجـن المـلاذ والمقيـد بأغـلال الأهـواء والضـلال؛ فيقـول لـه: عُـدْ إلى مايمليـه عليـك ضميـرك إذا صحـا؛ واجتهـد بجـد وإخـلاص في اصطفـاء قلبـك لـكي تستخـرج مـا ينـطوي عليـه مـن كنـوز؛ ثـم التـزم الطاعـة وتفويـض أمـرك إلى خالقـك؛ لأن هـذه هي سنـة الصحابـة وطريقتهـم في الحيـاة؛ حيـث استأنسـت قلوبهـم بذكـر اللـه؛ فأضحـت أوقاتهـم مخصصـة لـه سبحانـه وتعـالى فأخلصـوا إليـه وأطاعـوه والتزمـوا في عبادتـه الصـدق التـام. ثـم يصـف حالهـم فيقـول: بينمـا النـاس في وسـط الليـل المظلـم نيـام؛ يظـل ــ بالمقابـل ــ أولئـك القـوم المؤمنـون في ركـوع وسجـود للـه عـز وجـل. فهـم حازمـون في أعمالهـم طـوال الليـل المظلـم؛ الـذي تضيئـه شمسهـم

المنيرة. فمناجاتهم سراً نفحات تحيي الأرواح والنفوس؛ فهم الذين يهدون الضال للسبيل القويم؛ فالواجب هنا يقتضي أن تتقيد بهم لكي تصل إلى المراتب العليا. ثم ينصح السالك في طريق الاجتهاد طالباً منه السعي لكشف حجاب السر بالعزلة والانفراد والتجريد؛ وبذلك يمكن أن تنجلي الغيوب؛ وتحظى بالارتقاء إلى الحضرة العليا. أما الذي تبقى في حسه موبقات ما فلا تنجلي مرآته ولا ينكشف الغطاء عنها.

217ـ فَأيُّ مَنْ أدْمَنَ قَرْعَ البَابِ
مُنْقَطِعاً عَنْ جُمْلَةِ الأسْبَابِ

218ـ فَإنَّهُ يَرْتَقِبُ الفُتُوحَا
حَتَّى يَصِيرَ صَدْرُهُ مَشْرُوحَا

219ـ مَنْ قَطَعَ العَلاَئِقَ النَّفْسِيَّهْ
وَلَجَ بَابَ الحَضْرَةِ القُدْسِيَّهْ

220ـ فَاشْدُدْ إزَارَ الحَزْمِ وَالمُجَاهَدَهْ
عَسَاكَ تَرْقَ مِنْبَرَ المُشَاهَدَهْ

221ـ وَقِفْ عَلَى بَابِ الكَرِيمِ بَاكِياً
وَكُنْ هُنَاكَ خَائِفاً وَرَاجِياً

222ـ مُعْتَرِفاً بِالذَّنْبِ وَالجِنَايَهْ
عَسَاهُ أنْ يَمُنَّ بِالْهِدَايَهْ

223 ـ فَلَيْسَ لِلْبَابِ الكَرِيـمِ غَالِقـاً
إذَا تَوَجَّـهَ المُرِيـدُ صَادِقـاً
224 ـ وَالصِّـدْقُ وَالإخْـلاَصُ فِي الأُمُـورِ
شَـرْطٌ بِـهِ يَكُـونُ قَـدْحُ النُّـورِ

(من 217 إلى 224) ـ يكمل الناظم نصحه للسالك فيقول: إن الذي يواصل طَرْق باب الكشف دون توقف؛ وداوم على ذلك؛ منقطعاً عن الاهتمام بأسباب أخرى؛ فإنه يبقى مرتقباً فتح الباب؛ راضياً، مطمئن القلب والخاطر، منشرح الصدر، مبتهجاً. فكل من انقطع عن الحركات النفسية وعلائقها المغرية يمكن له الدخول من باب الحضرة القدسية. ولكي تتمكن من ذلك عليك بشد إزار الحزم وضبط حزام المجاهدة في مراتبها الثلاث: **التقوى، والاستقامة، والكشف**. فبواسطة ذلك كله يمكن أن تحظى بالمشاهدة والتمتع بالأنوار القدسية. عندئذ قف على باب الله سبحانه وتعالى خائفاً، باكياً، معترفاً بذنوبك؛ فقد يمن عليك بالهداية. لأن بابه سبحانه وتعالى لا يغلق؛ عندما يتوجه المريد إليه بصدق وتقوى واستقامة. فالصدق والإخلاص شرطان ضروريان؛ إذ بهما يتحقق قدح الزناد لإشعال النور.

225 ــ يَا عَاشِقاً فِي الدَّرَجَاتِ العَالِيَهْ

اعْلَمْ بأنَّ الصَّفَقَاتِ غَالِيَهْ

226 ــ مَا نَالَهَا ذُو الْعَجْزِ وَالتَّوَانِي

إلاَّ بكَدِّ النَّفْسِ وَالإذْعَانِ

227 ــ فَارْحَلْ إلَى المُهَيمِنِ القُدُّوسِ

وَابْنِ عَلَى تَزْكِيَةِ النُّفُوسِ

228 ــ أفْلَحَ وَاللَّهِ امْرُؤٌ زَكَّاهَا

يَوْماً كَمَا قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا

229 ــ وَاخرقْ طِبَاقَ السَّبْعَةِ الأطْوَارِ

لِكَيْ تَرَى دَقَائِقَ الأسْرَارِ

230 ــ تَرَى مِنَ السِّرِّ المَصُونِ عَجَبَا

وَتَرْتَقِي فِي الدَّرَجَاتِ رُتَبَا

231 ــ وتُبْصِرُ الشُّمُوسَ مُسْتَنِيرَهْ

جَارِيَةً فِي فَلَكِ البَصِيرَهْ

(من 225 إلى 231) ــ يقول الناظم بصيغة النداء: يا أيها العاشق، المحب، الراغب في الوصول إلى الدرجات العالية؛ اعلم بأن الوصول إليها يتطلب منك أن تقدم ثمناً غالياً. فتلك الدرجات المرغوب فيها لن ينالها المتهاونون والعاجزون؛ بل تتطلب كداً متواصلاً وجهداً نفسياً دائماً، وإذعاناً مطلقاً لشروط المجاهدة. فاتجه بخضوعك نحو المهيمن القدوس؛ وذلك

بترويـــض النفـــس وتنميتهـــا وتطهيرهـــا؛ لأن مـــــن روضهـــــا أفلـــح مـــن دساهـــا ومـــن أنقصهـــا خـــاب. ثـــــم يضيـــــف: ولـــكي تـــرى دقائـــق الأســـرار لا بـــدَّ مـــن اجتيـــاز طباقـــات السبعـــة أطـــوار؛ حيـــث تـــرى العجـــب العجـــاب مـــن الســـر المصـــون، وتسمـــوا في المرتبـــة بارتقائـــك الدرجـــات العاليـــة. وهنـــاك تـــرى ببصيرتـــك الشمـــوس المضيئـــة في فلكهـــا.

232 ــ القَلْــبُ كَالْمِــرْآةِ لِلتَّجَــلِّي
يَصْفُــوا بِمَــا صَفَــا لَــهُ التَّحَــلِّي

233 ــ القَلْــبُ عَرْشُ سِرِّهِ الرَّبَّــانِي
وَحَضْــرَةٌ لِلْقُــرْبِ وَالتَّــدَانِي

234 ــ القَلْــبُ هُوَ لَوْحُكَ المَحْفَــوظْ
يَــا أَيُّهَــا المُقَــرَّبُ المَلْحُــوظْ

235 ــ فَاقْرَأْ سُطُورَ لَوْحِكَ المَكْنُــونْ
يُرِيــكَ سِــرَّ أَمْــرِهِ المَصُــونْ

236 ــ القَلْبُ سِــرُّ اللَّهِ فِي الإِنْسَــانْ[1]
وَعَرْشُــهُ المُحِيــطُ بِالأَكْــوَانْ

237 ــ وَهْوَ مِنْ عَرْشِ السَّمَاءِ أَكْبَــرُ
وَذَاكَ مَعْــنَى فِي الحَدِيــثِ يُذْكَــرُ

238 ــ أَعْنِي حَدِيثَ الْوُسْعِ لِلتَّجَــلِّي
فَاعْــرِفْ ذِمَــامَ قَلْبِــكَ الأَجَــلِّي

[1] يقـول فيـه رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسلـم : ((إن في الجسـد بضعـة إذا صلحـت صلـح الجسـد وإذا فسـدت فسـد الجسـد ألا وهي القلـب)).

239 ـ القَلْبُ مِشْكَاةُ التَّجَلِّيَاتِ

مَهْمَا خَلاَ مِنْ جُمْلَةِ الآفَاتِ[1]

240 ـ القَلْبُ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ اللَّهِ

وَفِيهِ بَابُ مَلَكُوتِ اللَّهِ

241 ـ القَلْبُ مِنْ عَجَائِبِ الرَّحْمَنِ[2]

أَوْدَعَهُ فِي عَالَمِ الأَبْدَانِ

242 ـ فَالرُّوحُ[3] بَابُ الحَضْرَةِ القُدْسِيَّهْ

تَحْجُبُهُ العَلاَئِقُ النَّفْسِيَّهْ

243 ـ وَإِنَّمَا يُفْتَحُ بِالأَذْكَارِ

لِحَازِمٍ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

244 ـ إِذَا اعْتَرَاكَ سَقَمٌ فِي القَلْبِ

فَافْزَعْ إِلَى الذِّكْرِ وَلُذْ بِالرَّبِّ

245 ـ وَإِنْ تَكُنْ لَمْ تَنْتَفِعْ بِالذِّكْرِ

فَانْدبْ عَلَى نَفْسِكَ طُولَ الدَّهْرِ

246 ـ فَاخْلَعْ نِعَالَ الكَوْنِ جُمْلَةً وجِي

تَكُنْ عَلَى طُولِ المُنَاجَاةِ نجِي

---

[1] يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم)).

[2] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن)).

[3] يتداخل المعنى في الشرع حينما تستعمل كلمات: روح وقلب وعقل ونفس؛ بحيث ترتبط بمدلول واحد أحياناً. أنظر شفاء السائل، ص: **80**.

247 ــ كَيْفَ تُنَادِ لِلتَّنَاجِ فِي طــوَى

وَالقَلْــبُ تَحْتَ قَهْــرِ سُلْطَانِ الهَــوَى

248 ــ لَوْ ذَهَبَتْ عَلَى الحِجَا أَكْــدَارَهُ

لَجَـــاءَ بَعْـــدَ لَيْلِـــهِ نَهَـــارُهُ

249 ــ فَمَـــنْ رَأى بَوَاطِـــنَ الأوَانِي

وَفَهِـــمَ الأسْـــرَارَ وَالمَعَـــانِي

250 ــ مَنْ غَيَّرَ مَا كَسَبَ لَهُ يُعَـانِي

فَذَلِــكَ المَخْصُـــوصُ بِالتَّـــدَانِي

(مــن 232 إلى 250) ـــ يعالـــج الناظـــم في هـــذه الأبيـات موضـوع القلـب والـروح ومكانتهمـا لـدى الإنسـان وربـه. فـفي البيـت الأول يشبـه القلـب بالمـرآة مـن حيـث الوضـوح والصفـاء؛ كمـا يـرى أن القلـب بمثابـة العـرش في الجسـم الإنسـاني لمـا فيـه مـن أسـرار ربانيـة، ومـا لـه مـن قـدرة يمكنهـا تقريبـك مـن الحضـرة المقدسـة. كمـا يعـد القلـب بمثابـة اللـوح المحفـوظ؛ بمـا يحتويـه مـن معرفـة وبصيـرة وقـدرة عـلى فـك الأسـرار. والقلـب هـو سـر اللـه في الإنسـان لمـا فيـه مـن قـدرات تستوعـب أسـرار الوجـود. وقـد وردت أحاديـث عديـدة عـن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلـم تنـوه بالقلـب. ثـم يقـول: القلـب كنـز مـن كنـوز اللـه. كمـا تعتبـر الـروح بمثابـة البـاب للحضـرة

القدسية؛ ولكن العلائق النفسية تحجب ذلك الباب؛ ولكي يفتح؛ لا بد من إكثار الأذكار بالليل والنهار. فإذا أحسست بمرض في القلب؛ فما عليك إلا بالذكر والالتجاء للرب سبحانه وتعالى. وإذا لم تستفد بالذكر؛ فليس لك حظ في رحاب الله؛ فما عليك إلاّ ندب حظك السيئ طول حياتك. وبما أن القلب موضوع تحت سلطان الهوى؛ فلا طمع في مناجاة أو نداء. لأن العقل مقيد بما يعلوه من كدر؛ فلو تخلص منه لوضحت الرؤية ونشط العقل بطلوع النهار وانقشاع الليل.

251 ـ وَالغَيْبُ مَحْجُوبٌ عَنِ النُّفُوسِ
بِهَذَيَانِ العَالَمِ المَحْسُوسِ

252 ـ لَنْ يَسْتَفِيدَ المَرْءُ عِلْماً بالإِلَهْ
وَفِي الحِجَى[1] لَمْحَةٌ مِمَّنْ سِوَاهْ

253 ـ وإنْ تُرِدْ مَعْرِفَةً بِالرَّبِّ
فَارْغَبْ إلِيْهِ صَادِقاً بِالْقَلْبِ

254 ـ وَلاَ تَعُدَّ غَيْرَهُ مَوْجُودَا
فَتَغْتَدِي عَنْ بَابِهِ مَطْرُودَا

255 ـ وَكُنْ عَلَى بَصِيرَةٍ فِي الدِّينِ
بِالعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ وَاليَقِينِ

[1] الحجى: العقل والفطنة.

256 ــ وَكُنْ عَلَى حُـدُودِهِ مُحَافِظـاً

وَكُـنْ لِهَـذَا الهَذَيَـانِ رَافِضـاً

257 ــ إذْ ذَاكَ فَالْتَفْزَعْ إلَى التَّخَلِّي

وَبَعْـدَهْ فَافْـزَعْ إلَى التَّحَلِّي

258 ــ وَلاَزِمِ الذِّكْـرَ بِكُـلِّ حَـالِ

وَفِـرَّ مِـنْ طَـوَارِقِ الخَيَـالِ

259 ــ فَإنْ يَفُتْ شَيْءٌ مِنَ الأَنْفَـاسِ

فَـذَاكَ مِـنْ عَلاَمَـاتِ الإفْـلاَسِ

260 ــ وَلاَ تَـزَالُ وَاقِفـاً بِالبَـابِ

وَذَاكِـراً لِلْمَلِـكِ الوَهَّـابِ

261 ــ حَتَّى تَرَى الهِمَّةَ قَدْ تَجَمَّعَتْ

وَفِكْـرَةَ الجَنَـانِ[1] قَـدْ تَوَسَّعَتْ

262 ــ وَكُلُّ مَا يَغْشَاكَ فِي السَّبِيـلِ

مِـنْ وَارِدٍ فَانْقُلْـهُ لِلدَّلِيـلِ

(من 251 إلى 262) ــ يبدأ الناظم هذا المقطع بتقرير: أن أمور الغيب ستبقى محجوبة عن النفوس؛ ما دامت منشغلة بهذيان العالم المحسوس. لذا فلن يستفيد الإنسان بالعلم الذي يُعَرِّفُه بالإله ويقربه منه؛ ما دام قلبه منشغلاً بغيره. لأن معرفة الله تتطلب من الإنسان التقرب إليه بقلب صادق. فإذا أشركت به

[1] الجنان: القلب لاستتاره في الصدر. والجنان من كل شيء: جوفه.

وآمنت بوجود غيره؛ طردت عن أبواب رحمته. ثم يوجه الناظم نصحه للقارئ بقوله: عليك بالتبصر في شئون الدين؛ بواسطة العلم الصحيح، والتحقيق الجيد والتيقن مما حققت فيه. وعليك أن تحافظ على حدود الله، وأن ترفض كل ما يستدعي الهذيان أو السفسطة، وتبتعد عن تداعيات الخيال الزائفة. وعليك أيضاً أن تلتزم بذكر الله في الأحوال كلها. ولا تسمح لنفسك بالتراخي؛ حتى لا تصل بها إلى حدود الإفلاس. وداوم على الذكر، والوقوف على العتبات المقدسة؛ حتى تلتئم همتك وتتوسع آفاق قلبك.

263 ـ وَذِكْرُ أَهْلُ الفَضْلِ وَالبَصَائِرْ
يُوَازِنُ الثَّلاَثَةُ الدَّوَائِرْ

264 ـ دَائِرَةُ الإِسْلاَمِ وَالإِيْمَانِ
فَوْقَهُمَا دَائِرَةُ الإِحْسَانِ

265 ـ وَذَاكَ بِاللِّسَانِ وَالْجَنَانِ
وَالرُّوحِ وَهْوَ مَنْصِبُ الإِحْسَانِ

266 ـ فَالْقَلْبُ تُرْجُمَانُهُ اللِّسَانُ
وَالرُّوحُ تُرْجُمَانُهُ الجَنَانُ

267 ـ فَلاَ يَزَالُ بِاللِّسَانِ يُذْكَرُ
حَتَّى يَصِيرَ أَبَداً لاَ يَفْتُرُ

268 ـ حَتَّى إِذَا مَا اسْتَغْرَقَ اللِّسَانُ
فِيهِ إِلَيْهِ التَفَتَ الجَنَانُ

269 ـ حَتَّى يَصِيرَ القَلْبُ لَيْسَ يَفْتَـرُ
فَيَصْمُـتُ اللِّسَـانُ وَهْـوَ يَذْكُـرُ

270 ـ حَـتَّى إذَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ الذِّكْرُ
وَلَـمْ يَكُـنْ لَـهُ عَلَيْـهِ صَبْـرُ

271 ـ وَاتَّسَعَـتْ دَائِـرَةُ الأفْكَـارِ
وَأوْمَضَـتْ سَوَاطِـعُ الأنْـوَارِ

272 ـ تَوَجَّـهَ القَلْـبُ إلَى مَـوْلاَهْ
وَلَـمْ يَلُـذْ بَأحَـدٍ سِـوَاهْ

273 ـ وَلاَ يَـزَالُ ذَاكِـراً بِقَلْبِـهِ
وَجَامِعـاً هِمَّتَـهُ بِرَبِّـهِ

274 ـ حَـتَّى يَصِيرُ لَفْظُهُ مُسْتَنْسَخـاً
وَيَرْجِـعُ المَعْـنَى بِـهِ مُرْتَسِخـاً

275 ـ وَصَـارَ كَالغِـذَاءِ لِلْقُلُـوبِ
كَالْجِسْـمِ بِالطُّعُـومِ وَالْمَشْـرُوبِ

276 ـ فَتَسْتَفِيقُ الرُّوحُ مِنْ إغْمَائِهَـا
وَانْبَـثَّ نُـورُ الذِّكْـرِ فِي أرْجَائِهَـا

277 ـ وَآلَـتِ الحَقِيقَـةُ النَّفْسِيَّـهْ
رَجُوعُهَـا لِلْحَضْـرَةِ القُدْسِيَّـهْ

278 ـ وَلاَحَـتْ أنْـوَارُ المُغَيَّبَـاتِ
وَذَاكَ مَبْـدَأُ المُكَاشَفَـاتِ

279 ـ حِينَئِـذٍ تَنْقَـدِحُ الأنْـوَارُ
وَتَظْهَـرُ الغُيُـوبُ وَالأسْـرَارُ

(من 263 إلى 279) ـ وفي هذه الأبيات يعرف الناظم القراء بالدرجات التي يتبعها السالك في طريق الذكر؛ فيقول: إن الذكر المتبع من قبل أهل الفضل وأهل البصيرة يتوازن ويتوافق مع دوائر ثلاث: الدائرة الأولى هي دائرة الإسلام، والدائرة الثانية هي دائرة الإيمان، والدائرة الثالثة هي دائرة الإحسان. ويتم الذكر بواسطة ثلاثة قوى هي: اللسان، والقلب، والروح التي ترتبط بمنصب الإحسان. ويتم الذكر بتدرج؛ حيث يشرع اللسان بالذكر، ثم القلب، وأخيراً الروح؛ لأن ترجمان القلب هو اللسان، بينما يكون القلب ترجماناً للروح. وعليه يبدأ اللسان بالذكر حتى يتعود؛ ولا يتوقف إلى أن يرسخ الذكر في القلب، ويتعود عليه ويندمج به اندماجاً مطلقاً؛ عندها يتوقف اللسان عن الذكر؛ وينتقل العمل إلى القلب الذي يستولي عليه وتتسع دائرة الأفكار، وتسطع الأنوار فيه؛ فيلجأ القلب عندئذ إلى مولاه بالذكر حتى تصير الألفاظ مستنسخة وراسخة؛ فيغدو الذكر كالغذاء للقلب؛ ومثل المآكل المتنوعة والمشروبات المختلفة للجسم؛ لا يمكن الاستغناء عنه. عندها تستفيق الروح من خمودها وإغمائها؛ وذلك عندما تنبث أنوار الذكر فيها؛ فيحصل ـ عندئذ ـ ما يرجوه السالك عندما تعود الحقيقة النفسية إلى

الحضـــرة القدسيـــة. فتنجـــلي أنـــوار الغيـــــب؛ وهـــــذا هـــــو منطلـــق الكشـــف. عندهـــا تسطـــع الأنـــوار وتظهـــر الأســـرار والغيـــوب.

280 ــ وَهَاهُنَـا مَوَاقِـفٌ عَظِيمَـةٌ
وَفِتَــنٌ خُطُوبُهَـــا جَسِيمَـــةٌ

281 ــ تَـزِلُّ فِي خُلَلِهَـا[1] الأَقْـدَامُ
وَكَـمْ تَضِـلُّ عِنْدَهَـا الأَحْـلاَمُ

282 ــ فَإِنْ يَقِفْ بِهَا امْـرُؤٌ بِهَا سُلِبْ
وَعَنْ جَمِيـعِ الدَّرَجَـاتِ قَـدْ حُجِـبْ

283 ــ وَكَـمْ أَخَا جَهْلٍ بِذَاكَ طُـرِدَا
وَاللَّـهُ يَهْـدِي مَـنْ يَشَـاءُ لِلْهُـدَى

284 ــ فَمَـنْ يَقِـفْ بِفِتَـنِ البِدَايَـهْ
حُجِـبَ عَـنْ مَرَاتِـبِ النِّهَايَـهْ

285 ــ فَمَنْ يَكُنْ مَقْصُـودُهُ مُتَّحِـدَا
وَلَـمْ يَكُـنْ مُلْتَفِتـاً لِمَـا بَـدَا

286 ــ فَـذَاكَ بَالِـغٌ إِلَى مَقْصُـودِهِ
وَوَاقِـفٌ بَيْـنَ يَـدَيْ مَعْبُـودِهِ

287 ــ فَيَكْشِفُ الحِجَابَ عَنْ بَصِيرَتِهْ
وَيَقْـذِفُ الأَنْـوَارَ فِي سَرِيرَتِـهْ

288 ــ وَلاَ يَـزَالُ جُمْلَـةَ الأَوْقَـاتِ
يَجُـوبُ أَطْـوَارَ التَّجَلِيَـاتِ

---

[1] الخلـل مفـرد خـلال: منفـرج مـا بيـن كـل شيئيـن.

289 ـ حَتَّى يَحِلَّ بِسَنَامِ الطُّورِ

فينتهي لحظه في النور[1]

290 ـ وَيَنْتَهِي لِحَضْرَةِ الدُّنُوِّ

بِقَدْرِ حَظِّهِ مِنَ العُلُوِّ

291 ـ فَصَارَ إِذْ ذَاكَ يُنَاجِي رَبَّهُ

فَزَجَّ فِي بَحْرِ العُلُومِ قَلْبَهُ

292 ـ وَفَتَحَ البَابَ لَهُ فِي قَلْبِهِ

وَصَارَ مِنْهُ آخِذاً عَنْ رَبِّهِ

293 ـ فَرُدَّ نَحْوَ مَرْكَزِ البِدَايَهْ

إِذْ حَلَّ فِي دَرَجَةِ الوِلاَيَهْ

294 ـ وَصَارَ وَارِثاً عَلَى الحَقِيقَهْ

وَمُرْشِداً لِسَائِرِ الخَلِيقَهْ

(من 280 إلى 294) ـ يتكلم الناظم في هذه الأبيات عن المرحلة التي يصل فيها السالك إلى مرتبة الكشف؛ حيث يقول بأنها مرحلة خطيرة وعظيمة الشأن؛ ففيها قد تَزِلّ قدم السالك في مهاوي المهالك.[2] لأن هذه المرحلة لا يطيقها إلا أهل التقى

---

[1] هذا البيت عجزه غير موزون ولا مفهوم؛ ويبدو أن الناسخ نسي كلمة؛ وقد تكون "في"؛ فيصبح الشطر هكذا:

فينتهي في لحظة في النور

[2] أشار ابن خلدون إلى هذا الأمر بقوله: ((قد يكون صاحب المشاهدة متجاوزاً لمقامها، متمكناً فيه؛ فيكون أثبت لهذا التجلي وأقوى على احتماله؛ فإن المريد إذا استولى على مقام فهو ما دام يستولي عليه يتمكن فيما قبله. قال الأستاذ أبو القاسم [القشيري] في

والاستقامة الصادقة. فإن تعثر السالك في هذا الطريق ضاع وضيع أحلامه في كشف الحجاب. لأن ثمة كثير من الجهلة خابوا وطردوا وحجبوا. أما الذي صدق في سعيه ونبذ الأغراض المشبوهة وعمل في الذكر والمجاهدة بإخلاص؛ فإنه واصل إلى مقصده، ومحقق لهدفه في الكشف والوقوف بين يدي ربه. فيحظى بكشف الحجاب عن بصيرته، وبث الأنوار في سريرته. وهكذا يظل طوال أيامه يجوب أطوار التجليات، وينعم بالقرب والدنو بقدر حظه من السمو. وبذلك ينفتح باب الحضرة في قلبه؛ فيغدوا آخذاً عن ربه؛ فيمنح درجة الولاية، ويصبح مرشداً وعالماً بالحقيقة.

295 ـ فَهَذِهِ طَرِيقَةُ الرِّجَالِ
وَآلَ أَمْرُهَا إِلَى الزَّوَالِ

296 ـ وَكَثُرَ المُلَبِّسُونَ فِيهَا
وَصَارَ ذُو البِدْعَةِ يَدَّعِيهَا

297 ـ وَأَسَفَا عَلَى الطَّرِيقِ السَّابِلَةْ
أَفْسَدَهَا الطَّائِفَةُ الدَّجَاجِلَةْ

باب البوادة [البوادة أو الهواجم هي ما يفاجأ القلب للوهلة من الحزن أو السرور] ومنهم من يكون فوق ما يفجأه حالاً وقوة؛ أولئك هم سادة الوقت. ولما رجع من رجع منهم من هذا السفر فائزاً بالغنيمة، حاصلاً على الغاية؛ حذروا من غرر ها الطريق وخطره حتى في نفس المقصد الذي أقله النجاة. أعاذنا الله؛ فإن سلم من هذا كله فقد فاز فوزاً عظيماً)). شفاء السائل، ص: 32.

298 ـ قَـدْ أحْدَثُوا طَرِيقَـةً بِدْعِيَّـهْ
وَرَفَضُـوا طَرِيقَـةَ الشَّرْعِيَّـهْ
299 ـ يَا عَجَبـاً لِرَافِـضِ الشَّرِيعَـهْ
وَيَـدَّعِي دَرَجَـةً رَفِيعَـهْ
300 ـ وَكَيْفَ يَرْقَى سُلَّـمَ الحَقِيقَـهْ
مُخَالِـفٌ لِسَيِّـدِ الخَلِيقَـهْ
301 ـ وَاحَسْـرَةً عَـلَى الصِّـرَاطِ المُسْتَقِيـمْ
قَـدِ ادَّعَـاهُ كُـلُّ أفَّـاكٍ أثِيـمْ
302 ـ قَدْ أشْرَفُوا عَلَى كُهُوفِ الكُفْرِ
وَسَتَـرُوا بِدْعَتَهُـمْ بِالفَقْـرِ
303 ـ وَاتَّخَـذُوا مَشَائِخـاً جُهَّـالاَ
لَـمْ يَعْرِفُـوا الحَـرَامَ وَالحَـلاَلاَ
304 ـ لَمْ يَقِفُـوا عِنْدَ حُـدُودِ اللَّـهِ
وَسُنَّـةِ الهَـادِي رَسُـولِ اللَّـهِ
305 ـ فَنَفَّرُوهُـمْ مِنْ رُعَـاةِ الدِّيـنِ
أولِي التُّـقَى وَالعِلْـمِ وَاليَقِيـنِ
306 ـ فَأعْرَضُوا عَنْ سُبُـلِ الرَّحْمَـنِ
وَاتَّبَعُـوا مَسَالِـكَ الشَّيْطَـانِ
307 ـ وَهَدَّمُـوا قَوَاعِـدَ الإسْـلاَمِ
وَاعْتَبَـرُوا خَرَائِـفَ الأوْهَـامِ
308 ـ وَعَكَسُـوا حَقَائِـقَ الأمُـورِ
وَنَصَبُـوا حَبَائِـلَ الفُجُـورِ

309 ــ وَأولِعُـوا بشَهَـوَاتِ النَّفْـسِ

لِكُـلِّ بِـدْعِيٍّ لَهُـمْ تَـأسِ

310 ــ وَجَعَلُوا مِلْءَ البُطُونِ أصْلَهُـمْ

بَنَـوْا عَلَيْـهِ أمْرُهُـمْ وسبلهـم

311 ــ بُعْـداً لِقَوْمٍ ألْحَدُوا فِي الدِّيـنِ

وَاشْتَغَلُـوا بِطَاعَـةِ اللَّعِيـنِ

312 ــ وَأولِعُـوا بالإفْكِ وَالتَّلْبِيـسْ

تَأسِيـاً بِشَيْخِهِـمْ إبْلِيـسْ

313 ــ وَأسَفَـا عَلَى حُمَـاةِ الدِّيـنْ

أولِي الذّكَـا وَالعِلْـمِ وَالتَّمْكِيـنْ

314 ــ آهٍ عَلَى طَرِيقَـةٍ قَدْ ذَهَبَـتْ

وَهُدِّمَـتْ أصُولُهَـا وَقُلِبَـتْ

315 ــ وَهَاجَ إفْـكُ المُدَّعِيـنَ فِيهَـا

وَصَـارَ مَـنْ يَطْـلُبُهَـا سَفِيهَـا

316 ــ آهٍ عَـلَى طَرِيقَـةِ الكَمَـالْ

أفْسَدَهَـا طَائِفَـةُ الضَّـلاَلْ

317 ــ آهٍ عَلَى طَرِيـقِ أهْـلِ الَّـهِ

آهٍ عَـلَى طَرِيـقِ حِـزْبِ اللَّـهِ

318 ــ طَرِيقَـةٌ أفْسَدَهَا أهْلُ البِـدَعْ

فَتُرِكَـتْ مَهْجُـورَةً لاَ تُتَّبَـعْ

319 ــ طَرِيقَـةٌ أفْسَدَهَـا الفُجَّـارُ

فَكَثُـرُوا وَانْتَشَـرُوا وَثَـارُوا

320 ــ وَظَهَـرَتْ فِي جُمْلَةِ البِـلاَدِ

طَائِفَـــــةُ البَلْـــــــعِ وَالازْدِرَادِ

321 ــ قَدْ أحْسَنَ الوَالِدُ فِي العِبَـارَهْ

إذْ قَــالَ قَــوْلاً صَــادِقَ الإشَــارَهْ

322 ــ فَقَالَ فِي أولَئِـكَ الدَّجَاجلَـهْ

مَقَالَــــــةً صَادِقَــــــةً وَعَادِلَــــــهْ

323 ــ وَزَنْتُهُمْ بالشَّرْعِ فَهْـوَ نَـائِي

مِنْهُـمْ كَمِثْـــلِ الأرْضِ وَالسَّمَــــاءِ

324 ــ وَزَنْتُهُـمْ بِمِنْهَـاجِ الحَقِيقَـهْ

فَلَـمْ أجِـدْ لَهُـــمْ مِنْهَـا دَقِيقَـــهْ

325 ــ بَلْ هَتَكُوا مَحَـارِمَ الشَّـرْعِ القَوِيـمْ

فَنُكِّبُـوا عَـنِ الصِّـرَاطِ المُسْتَقِيـــمْ

326 ــ فَكَـانَ ينمهـم إلَى الدَّجَّــانِ

فَارْحَمْــهُ يَــا ذَا الفَضْــلِ وَالإحْسَــانِ

327 ــ يَا وَيْلَتِي هَذَا زَمَــانُ البِــدَعِ

مَــاتَ بِــهِ أهْـلُ التُّـقَى وَالْـوَرَعِ

328 ــ وَاحَسْرَتِي عَلَى الْكِرَامِ البَـرَرَهْ

قَــدَ أُخْلِفُــوا بِالْمُدَّعِيــنِ الفَجَــرَهْ

(مــن 295 إلى 328) ــ يعالــج الناظــم في هــذه القطعــة موضــوع الدجاليــن المدعيــن زوراً للتصــوف. فيستهــل القــول

بالتنويه بالطريقة الصحيحة التي قال فيها أنها طريقة الرجال الصالحين؛ ولكنها زيفت وحرفت؛ فآل أمرها إلى الزوال؛ بسبب الخلط والمشابهة على أيدي المدعين من أهل البدع. ثم يتأسف على الطريقة الصحيحة التي أفسدها الدجاجلة؛ الذين أحدثوا طريقة مبتدعة، ورفضوا الطريقة الشرعية. وبعدها يتعجب من الذي يدعي المرتبة الرفيعة في الدين؛ بينما هو متنكر ورافض للشريعة. ثم يتساءل: كيف يطمع المخالف لسيد الخليقة في الرقي وتسلق سلم الحقيقة؟ وبعدئذ يتحسر على الصراط المستقيم؛ الذي يدعي الأفاكون والآثمون باجتيازه؛ أولئك الأفاكون الذين ستروا بدعتهم بادعاء الفقر والزهد؛ وتداروا وراء مشائخ جهلة لا يفرقون بين الحلال والحرام، ولا يحترمون حدود الله، ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وأمثال هؤلاء الجهلة؛ تسببوا في نفور الناس من أهل العلم الصادق، ورعاة الدين الحنيف. وبذلك تراهم قد ابتعدوا عن السبل الواصلة بالله؛ في الوقت الذي تراهم قد سلكوا الطرق المؤدية إلى الشيطان. فوصل بهم الحال إلى تهديم أركان الإسلام؛ باعتقادهم في الخرافات والأوهام. ثم يقول عنهم أنهم عكسوا الحقائق، ونصبوا الفخاخ والمغريات لنشر الفجور. كما افتتنوا بشهوات النفس، وألحدوا في الدين، واشتغلوا

بطاعة الشيطان اللعين. ثم يتأسف على غياب العلماء المتمكنين؛ من أهل الذكاء والعلم؛ الذين أوقفوا أنفسهم على حماية الدين الحنيف. ثم يقول متأوهاً: آه على طريقة الصوفية المؤدية للكمال؛ تلك الطريقة التي أفسدها أهل الضلال والفجور؛ فتعرضت أصولها للتهديم بهياج المدعين، الكاذبين، المزورين. وهكذا ظهرت في أرجاء البلاد طائفة لا يهمها سوى البلع والازدراد. ثم يشير إلى ما قاله والده بخصوصهم فيقول: لقد صدق الوالد في وصف أولئك الدجاجلة حين قال: وزنتهم بالشرع فوجدت أنهم بعيدون عنه كبعد الأرض عن السماء. ووزنتهم بمنهاج الحقيقة فلم أجد لهم منها ذرة من الحقيقة؛ لأنهم هتكوا محارم الشرع القويم، وخرجوا عن الصراط المستقيم. ثم يقول: يا ويلتي هذا زمان البدع؛ الذي غاب فيه أهل التقى والورع؛ ثم يتحسر على الكرام البررة الذين استخلفوا واستبدلوا بالفجرة والمدعين للعلم.

329 ــ وَجَدَنِي العَذُولُ يَوْماً بَاكِيَا
وَبحَدِيثِ سَادَتِي مُنَادِيَا

330 ــ وَا أسفَا بَادُوا فَمَنْ لِي مُرْشِدَا
فَقَالَ جَاهِلاً بِأمْرِي مُنْشِدَا

331 ــ يَا أيُّهَا التَّائِهُ فِي البَيْدَاءِ
مَا لِي أرَاكَ دَائِمَ البُكَاءِ

332 ــ أَرَاكَ نَائِحـاً عَـلَى الآَثَـارِ
وَالطَّلَـلِ البَـالِي رُسُـومَ الــدَّارِ
333 ــ مَهْلاً عَلَى نَفْسِكَ يَا مِسْكِيـنُ
أخَــافُ أنْ يَأتِيَــكَ المَنُــونُ
334 ــ فَقُلْـتُ إنِّيَ يَـا أخِي أنُـوحُ
عَـلَى فِـرَاقِ سَـادَتِي أصِيــحُ
335 ــ قَـدْ رَحَـلُوا قَاطِبَةً وَذَهَبُـوا
طُـراً وَمَـا عَلِمْـتُ أيْـنَ ذَهَبُـوا
336 ــ وَلاَ أزَالُ هَكَـذَا مُسْتَمْسِكَـا
عَـسَى دَلِيـلُ القَـوْمِ يَسْمَـعُ البُكَـا
337 ــ وَإنْ أمُتْ أمُوتُ فِي هَوَاهُـمْ
إذْ لَيْـسَ لِي مِـنْ سَـادَةٍ سِوَاهُـمْ
338 ــ وَأسَفَا عَلَى الرِّجَالِ الكَامِلِيـنْ
قَـدْ ذَهَبُـوا بَيْـنَ الْعِبَـادِ خَامِلِيـنْ
339 ــ فَسُتِـرُوا بِظُلُمَـاتِ الْبِـدَعِ
فَلَـمْ يَبِيـنَ صَـادِقٍ مِـنْ مُـدَّعِ
340 ــ وَذَهَبُوا وَاللَّـهِ فِيمَـنْ ذَهَبَـا
وَسَكَنُــوا بِالْفَلَــوَاتِ وَالــرُّبَى

(مـن 329 إلى 340) ـــ يقـول الناظـم في هـذه الأبيـات: أن أحدهـم ممـن يجهـل أمـره؛ قـد لامـه عـلى بكائـه لغيـاب شيوخـه الموجهيـن المرشديـن؛ إذ قـال لـه:

ما لي أراك تائهاً في البيداء، ودائم البكاء، تنوح على الآثار والأطلال البالية؛ هلاّ أشفقت على نفسك — يا مسكين — من الأسقام والموت. فأجابه الناظم قائلاً: أنه يبكي على فراق شيوخه؛ الذين رحلوا بكاملهم دون أن يعلم مكان إقامتهم؛ ثم أضاف: فإذا مت فسأموت حباً فيهم. ثم يتأسف على الرجال الكاملين؛ الذين اختاروا سبيل الخمول؛ ولكن حجبتهم ظلمات البدع، وهكذا؛ اختلط الأمر؛ فلم يعد فرق بين الصادق والمدّع؛ وعلى هذا فقد اختار الشيوخ الصادقون الذهاب إلى الفلوات والرّوابي.

341 — وَمَنْ يُرِدْ مَعْرِفَةً بِالبِدَعِ
وَمَا يُبْنَى عَلَيْهِ أصْلُ المُدَّعِي

342 — فَفِي كِتَابِ شَيْخِنَا الزَّرُّوقِ
عَجَائِبٌ فَائِقَةُ الرُّتُوقِ

343 — ثُمَّ صَلاَةُ اللَّهِ كُلَّ حِينْ
عَلَى أجَلِّ مَنْ أتَى بِالدِّينْ

345 — مُحَمَّدٍ سُلْطَانِ أهْلِ الحَضْرَةِ
وَآلِهِ أجَلِّ كُلِّ زُمْرَةِ

346 — فِي أرْبَعٍ وَأرْبَعِينَ قَدْ نَجَزْ
مِنْ عَاشِرِ القُرُونِ قُلْ هَذَا الرَّجَزْ

(من 341 إلى 346) ـ وفي الختام ينصح الناظم كل من يرغب في الإطلاع، ومعرفة أهل البدع وأعمالهم؛ أن يقرأ كتاب **الزروق الفاسي**؛ لأن به عجائب ذات منعة وعز كبرين.

*****

خامساً ـ الرائية في مدح الرسول لى الله عليه وسلم:

تفضل الأستاذ **محمد يزيد العلوي** فمنحني نسخة من القصيدة الرائية للعلامة **عبد الرحمن الأخضري**؛ مأخوذة من أحد المخطوطات؛ كان قد جلبها من **غرداية** زميله الأستاذ **سعد السعود خشاب**. وهي في مدح الرسول صلى الله علية وسلم، وفي الوعظ. نظمها من البحر البسيط؛ وهي في 163 بيتاً. ويبدو أن مستوى النسخ كان ضعيفاً للغاية؛ ويتجلى ذلك من خلال الأخطاء الإملائية، والخط الرديء. ومع هذا فقد حاولت تحقيقها وشرح بعض مفرداتها؛ فأرجو من الله التوفيق، وألتمس من القارئ العذر إذا ما خانني الحظ.

وقبل الشروع في قراءة القصيدة؛ أعرف القارئ الكريم بأن الناسخ أخفق في نسخها بشكل صحيح؛ وعليه فقد اضطررت إلى وضع خط تحت الشطر أو البيت المضطرب؛ بفعل كلمات غير مفهومة أو خلل في الوزن. وقد حاولت إصلاح الأخطاء بما تيسر. ونظراً لانعدام نسخة أخرى يمكن بواسطتها المقارنة والتحقق؛ فقد اكتفيت بوضع تلك الخطوط لكي يتسنى فيما بعد التحقق منها؛ إذا ما توفرت نسخة أو أكثر من القصيدة.

الحمد لله طول الدهر والعمر

ثم الصلاة على المختار من مُضَرِ

يا ثاقب النور[1] ما أسناك من قمر

هل اطلعت على أرض بها وطري

ألفيت صب الهوى يوما بعلته

جهلاً بحب لما في الجهل من ضرر

يا سايح الطَّرف ما للطِّرف سابحة

تغدوا البطاح ولا تشكوا من الضجر[2]

قَلا الصبابة لي والعِينُ قد فصلت[3]

وما وجدت لهذا العين من أثر

ومن مفارقة المحبوب قد بلغت

نفسي التراقي[4] لولا سابق القدر

إني أبيت من الأشواق في كمد

وما سئمت من (التخميم)[5] والسهر

---

[1] يا ثاقب النور: أي يا ذا النور الثاقب.

[2] سَاحَ الماء جرى على وجه الأرض؛ فهو ماء سائح. الطَّرْفُ: العين؛ وطرف طرفاً عينه: أصابها بشيء فدمعت. الطِّرف بكسر الطاء: الخيل الكريمة العتيقة. سبح سبحاً: أبعد في السير. غَدا غُدُوًّا: ذهب غدوة: أي انطلق. البِطَاحُ مفردها بطحاء: مسيل واسع برمال وحصى.

[3] قَلا: لوعة وحرقة. والصبابة: الشوق والحنين. العِينُ (بكسر العين) ـ هنا ـ هي بقر الوحش. فصلت: نقول: فصل فلان عن البلدة: خرج منها.

[4] المقصود هنا بالتراقي: التعوذ عند المرض أو الإصابة بشيء مكروه. وقد خالفت هذه الكلمة القياس.

[5] كتبها الناسخ: "الأخمام" ويبدو أنها "التخميم"؛ وهي كلمة عامية معناها: التفكير. وهي تخالف المعنى الفصيح لكلمات: خمم وخمامة: أي القمامة.

فليس مثلي من السّهّار من أحد

كيف السآمة للعشاق من (سمر)[1]

قد هب ريح الصَّبَا والقلب منه حَدَى

وعاد حال الصِّبَا في المهد من صغر[2]

قف يا حَمام على ربع شغفت به

واحمل سلامي إلى المحبوب واختبر

جاش الحَمام خلال الدار محتفلاً

وخالف القلب في أشواقه النُّكَر

لما رأيت حمام الدار سطحه[3]

شوق التلاقي إلى الأوطان والوكر

تضرم القلب من أشواقه أسفاً

وعدت مثل تَريف[4] العقل من سَكَر

غنى حمام الهوى بالشوق مضطرباً

فأضرم القلب نار الوجد بالسحر

فالقلب مضطرم والروح نائحة

(والبَثُّ يؤلمني فالحزن كالإبر)[5]

والنفس مني لذيذ العيش فارقها

وأسلمت نومها العينان في السهر

---

[1] كتبها الناسخ "سهر". وربما تكون "سمر"؛ لأن ضرب البيت السابق "والسهر".

[2] الصَّبَا بنصب الصاد المشددة: الريح الشرقية. الصِّبَا بكسر الصاد المشددة: الصغر.

[3] سطحه: صرعه، وأضجعه.

[4] يقال: رجل مُتْرَفٌ: إذا أبطرته النعمة وسعة العيش. والمترف: المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها. وكلمة تريف مخالفة للقياس.

[5] هذا الشطر غير مفهوم ولا موزون. يمكن قراءته كما جاء بين قوسين.

فاشتــــد حالي فما دائي بمنكشــــف

ولا سمعـــت عن المحبوب من خبـــر

فأصبحـــت بعده الأزواج باكيـــة

لما أهـــاج نسيم الوجـــد بالسحـــر

والعيـــن مني قد انْهَلَّـــتْ مدامعهـــا

جوف الدجى[1] لتريق الدمع كالمطـــر

يا عـــاذل الصّب إن الحب قاهـــره

كيف الحبيب سرى في السمع والبصر

إن الصبابـــة لا تخـــفى غوائلهـــا

وأمرها من قديم الدهـــر والعُصُـــر

وكم محـــب قديم الشـــوق جرعـــه

كأس الحِمَام[2] فما للعمـــر ذا بطـــر

فالقلب مني بنار الشـــوق مشتعـــل

مازال قلب شديد الحـــزن منكســـر

واهتزت الروح بالأشواق واضطربت

وأثَّـــرَ الحـــب فيهـــا أيمـــا أثـــر

إن قلت أي حبيب قد شغفت بـــه

أقـــول هذا حبيب اللـــه في البشـــر

[1] جـوف الـدجى: بطـن الليـل وأعماقـه.

[2] الحِمَـام بكسـر الحـاء: المـوت.

محمـــد خيـــر من يمشي على قـــدم

خيـــر الورى سيد الأملاك والنـــدر[1]

هذا محمَّـــدٌ الْمَخصوص بالشـــرف

من جاء بالروح والتوسيع والبشـــر[2]

هذا المقـــرب هذا المستغـــاث بـــه

هذا شفيع الورى في الموقف النكـــر

هذا رســـول كريـــم ما له كفـــؤ

هـــذا المفضـــل هذا سيـــد البشـــر

أمـــا الجمـــال فلا تـــدرك نهايتـــه

(فالبدر يسمو إذا ينأى عن البصـــر)[3]

أزكى الخليقـــة[4] ذو جيد ومبتســـم

أصفا من الذهب الإبريـــز والـــدرر

وفي الجـــوار[5] تلالا[6] مـــن تبسمـــه

نور كبرق يرى من فيه ذي العطـــر

وإن سألت عن الأخلاق والشيـــم

فليس فوق كتاب اللـــه من خيـــر[7]

---

[1] النـــدر: مـــا شـــذ، ومـــا فصـــح وجـــاد مـــن الكـــلام. ونقـــول: نـــادرة الزمـــان: أي وحيـــد عصـــره.

[2] البشـــر هنـــا: الســـرور والبشاشـــة والخبـــر المفـــرح.

[3] هـــذا الشطـــر غيـــر مفهـــوم ومختـــل الـــوزن ويمكـــن قراءتـــه كمـــا جـــاء بيـــن قوسيـــن.

[4] نقـــول: زكـــاه اللـــه: أي طهـــره.

[5] الكلمـــة هنـــا هي "جـــدار" ولكنهـــا غيـــر مفهومـــة؛ ويمكـــن وضـــع كلمـــة "جـــوار" بـــدلا منهـــا.

[6] اضطـــر الشاعـــر إلى استبـــدال "تـــلألأ" بكلمـــة "تـــلالا" بـــدون همـــزة لـــكي يستقيـــم الـــوزن.

[7] لأن خلقـــه القـــرآن صـــلى اللـــه عليـــه وسلـــم؛ كمـــا قالـــت عائشـــة رضي اللـــه عنهـــا.

يزهو بوجه كريم البسط مبتهج

بالعفو ملتحف كالبدر منسفر[1]

متوج برداء العز مكتنف

بالحسن متصف أسنا من القمر

هو النبي الذي جلت محاسنه

وما لبهجته مَثَلٌ من الصور

أكرم بآية ما أبدت أنامله

من خير ماء لذيذ الطعم منهمر[2]

والانشقاق لهذا البدر منزلة[3]

على الكواكب ما أسناه من قمر

تأسف الجذع[4] إنكاراً لفرقته

وحن مثل حنين الطِّرْفِ والجزر[5]

وآية الغار لا تخفى عجائبها[6]

لما اقتفاه رجال الكفر في نفر

والعنكبوت بباب الغار قد نسجت[7]

وفي الحمامة آية لمعتبر[8]

---

[1] مُنْسفِر: منكشف ومشرق ومضيء.

[2] إشارة إلى معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حين وضع يده أو أصابعه في إناء قليل الماء؛ فتوضأ منه كل من كان معه.

[3] إشارة لمعجزة انشقاق القمر.

[4] إشارة إلى معجزة حنين الجذع لرسول الله.

[5] كلمة جزر هنا تبعث على الشك في ضرورة وضعها. ومع هذا يمكن شرحها بالشاة التي تساق إلى النحر. أما الطِّرف بكسر الطاء فهي: الخيل الكريمة العتيقة.

[6] إشارة إلى معجزة غار ثور الذي اختفى فيه رسول الله مع أبي بكر.

[7] إشارة للعنكبوت التي نسجت بيتها في مدخل غار ثور.

[8] إشارة للحمامة التي بنت عشها في مدخل الغار أيضاً.

لما رأى خيفــة الصديــق قال لــه

اللــه مَعْنَــا فلا تخشى من الضــرر[1]

وكــم تمــنى أبــو بكــر يرافقــه

قد نال واللــه ما يرجوه من وطــر

يا فوزه قد حوى في الخلــد منزلــة

مع الرسول بدار البســط والســرر

وكم أزال من الداء العليل (قــذى)[2]

ما كلَّ عنه فحول الطب والفكــر

رمى الحصى بعد تسبيــح براحتــه[3]

حتى أصاب من الكفــار ذا بصــر

فضاق ذرعا رجال الكفر وانهزمــوا

كل يــولي على الأعقــاب والدبــر

اللــه أيــده بالرعــب منتصــر[4]

فراع[5] منه جميــع البدو والحضــر

في كل معتــرك للحــرب يغلبهــم

بإذن رب عزيــز النصــر مقتــدر

يعلــو أمام عُلاَتِ[6] المجــد مركبــه

هُــمُ الكواكب والمختار كالقمــر

---

[1] الأفضــل كلمــة "تجــزع" بــدلاً مــن تخــشى.

[2] الكلمــة بــدت كأنهــا "قــد" ولكنهــا هنــا لا معنــى لهــا. لــذا يمكــن أن تكــون "قَــذَى".

[3] إشــارة إلى معجــزة تسبيــح الحــصى في يــد رســول اللــه صــلى اللــه عليــة وسلــم .

[4] أي أيــده بمــا كــان ينتــاب أعدائــه مــن رهبــة؛ فيرتدعــون.

[5] فــراع منــه: ففــزع منــه.

[6] عــلاة في المجــد: الأعلــون في المجــد.

أكرم (بجند)[1] سيوف المجد وشحهم

لِلَّـــهِ دَرُّ سيوف اللـــه مـــن نفـــر

من كل سام شديد البطش ممتشـــط

في الحـــرب مغتبـــط لِلَّـــهِ منتصـــر

كالليث يبغ الـــوغى بالقهر متصف

للأمـــر ممتثـــل للحـــرب معتبـــر

وبالجنـــود مـــن الأمـــلاك أيـــده

كذاك ريح الصَّبا في ساعة العَصَـــر

فيا قريضـــة ما أقرضت من مجـــن[2]

في خبير السوء ما جربت من خيـــر

إذا الشهادة في بدر فهـــل طلعـــت

فيك البـــدور من الأبطال والغـــرر

فيا خبير الوغى يا ذا الخطوب فهـــل

سمعت فيك خبيـــر السهم والوتـــر

ويا بن حرب أبا سفيان ما شهدت

عيناك من عقبات الحرب من خبـــر

ما زال يهوي إلى الهيجاء خلفهـــم

كالليث يهوي إلى الأنعام والحمـــر

---

[1] يبـدو أن الكلمـة هنـا هي "جنـد" وليـس "تجـد" كمـا كتبـت في الأصـل.

[2] بنـو قرضـة: فرقـة مـن يهـود المدينـة. مـا أقرضـت مـن مجـن: أي مـا جازيـت بـه أصحـاب الخيـر بالشـر والمجـون.

حتى أُنيلَ بنصر الله نصرته

فما أقام لدار الشكر من أثر

طوبى لطيبة قد طابت جوانبها

ما غرَّ أرض ثواها سيد البشر

فيا سراقة[1] ما للطِّرْف جاثمة

على القوائم في بطحاء كالحجر

فيا رُكَانَة[2] ما ألفيت فيك قوى

لما سمعت خطاب الصدق للحجر

خرت بإثر تمام السير ساجدة

للمصطفى أدباً سبحان ذي القدر

ويا حذيفة[3] أبصرت من عجب

ويا قتادة[4] ماذا نلت في (البصر)[5]

يا طيبة المجد ما أعلاك من بلد

يا بلدة المصطفى يا خيرة المدر

---

[1] هو سراقة بن مالك بن جُعْشم؛ الذي اقتفى أثر الرسول لما هاجر؛ فعجز عن إعادته إلى مكة؛ بسبب تعثر فرسه وغرق قوائمها في أرض صخرية؛ وذلك كلما هم بإطلاق سهم من سهامه.

[2] هو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف. قال لرسول الله – عندما التقى به في جبل من جبال مكة – إني أطلبك للمصارعة؛ فإن صرعتني آمنت بأنك صادق في نبوتك. فصارعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرعه.

[3] هو أبو عبد الله حذيفة بن اليمان العبسي؛ يعرف بين الصحابة "بصاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم"؛ وهو الذي أرسله عليه السلام في غزوة الخندق لرؤية حال الأحزاب؛ فرجع بخبر رحيلهم.

[4] ربما كان هو قتادة بن النعمان بن يزيد الظفري الأنصاري؛ كان قد فقد عينه في إحدى الغزوات؛ فتعلقت بعرق تدلا منها؛ فأعاد الرسول صلى الله عليه وسلم حدقته بيده الكريمه إلى موضعها ودعا له؛ فأبصر.

[5] كتبت "البطر" وربما كانت في لأصح هي: "البصر" لكي يتضح المعنى.

لله در أناس العز قد سكنوا

بها فليس لهم كفؤ من البشر

وكيف لا ورسول الله حل بها

يا فوزها بضريح مثمر عطر

مني سلام إلى قوم بها قطنوا

هم الأكابر والسادات للبشر

لقد عجبت لآيات بمولده

جاءت بخط على الآفاق منتشر

فالشهب ثاقبة والجن هاتفة

والنار خامدة لله من عبر

وعرش إبليس قد (انعى حزبه أسفا)[1]

وأشعر الجن والكهان بالخبر

(أهل)[2] الصوامع والأحبار قد شهدوا

على اليقين بما ألفوه في الزبر

وفي شفاعته العظمى شهادتها

للمصطفى بكمال غير مستتر

فما برحت إمام الرسل[3] مرتقبا

إلى مقام علا بالصلب[4] مشتهر

---

[1] صدر البيت هذا غير مفهوم ولا موزون؛ لذا يمكن قراءته كما جاء بين قوسين لكي ينسجم مع سياق البيت.

[2] كلمة غير مفهومة؛ لذا يمكن وضع كلمة "أهل" بدلاً منها.

[3] إشارة إلى إمامته الصلاة بالأنبياء والرسل خلال المعراج.

[4] الصُلْبُ: فقرات الظهر. والصُلْبُ: الحسب. والصُلْبُ: الشديد.

ثم انثنيت على متن البراق ولم

تستكمل الليل بين (القدس والمدر)[1]

أنت النبي الذي حقت نبوءته

في صلب آدم بل في اللوح والزبر

وبالغ[2] الله في التنويه مادحهم

سطر يُرَى تحت ساق العرش مستطر

ويذكر اسمك باسم الله مقترنا

فهذه غاية التعظيم والفخر

وليس فوق كتاب الله معجزة

تغن اللبيب عن البرهان والنظر

قد كل وصف فما تغني المدائح في

من خصه الله بالتفضيل في البشر

ماذا أعبر في مدح الرسول فقد

أعيا ثناه رجال العلم والفكر

لو أن جملة ما في الكون من نَسَم

أقلامها كل ما في الأرض من شجر

أو البحار مداد الكتب ما كتبوا

من الثناء سوى كالرشف من مطر

---

[1] الشطر ناقص كلمة؛ ربما كانت "القدس"؛ وثمة كلمة أخرى غير واضحة؛ لذا قد يكون استكمال الشطر كما جاء بين قوسين.

[2] ربما يكون الناسخ هو الذي وضع هذه الكلمة.

لكل مدحي له في الحشـــر ينفعـــني

إذا الجحيم تلاقي النـــاس بالشـــرر

عسى أنـــال نصيبـــا من شفاعتـــه

يـــوم القيامـــة في أهوالها الكبـــر

ومن يكـــن برســـول الله معتصمـــا

يفـــز بركن منيع الركن (والأطـــر)

حاشى الرسول يصيب المستغيث به

ريب المنون بحفظـــه اللـــه لم يضـــر

أعجب بما في خطاب الضب من عجـــب[1]

لبيك يا خيـــر خلق اللـــه في الخبـــر

والظبي والذئب والأنعام قد نطقـــت[2]

نطق الجماد ونطق العير والشجـــر

إن الكواكب في الأفـــلاك سائحـــة

كل يصلي على المختـــار من مضـــر

كذا الحجارة قد جـــاءت تحيتهـــا

للمصطفي وسلام السقف والجـــدر

وانظر ترى عجبا في حسن سيرتـــه

فليـــس يشبهها شيء مـــن السيـــر

---

[1] إشـــارة إلى معجـــزة شهـــادة الضـــب برسالـــة رســـول اللـــه صـــلى اللـــه عليـــه وسلـــم.

[2] إشـــارة إلى معجـــزات أخـــرى: كســـؤال الظبيـــة لرســـول اللـــه صـــلى الله عليـــه وسلـــم أن يطلقهـــا لـــكي ترضـــع صغارهـــا وتعـــود. وشهـــادة الذئـــب برسالـــة رســـول اللـــه صـــلى اللـــه عليـــه وسلـــم. وشكـــوى البعيـــر لرســـول اللـــه صـــلى اللـــه عليـــه وسلـــم مـــن قلـــة العلـــف وكثـــرة العمـــل. وشكـــوى الطيـــور لـــه بسبـــب أخـــذ بيضهـــا. وسجـــود غنـــم بعـــض الأنصـــار لـــه. وكثيـــر مـــن هـــذا.

يا سيد الخلق ويا خير الأنام ويا

ذا المعجزات وذا الآيات والعبر

قد اصطفاك إله العرش خالقنا

وخصك الله بالتعظيم والزبر

وبعلاك جميع الرسل قد شهدت

(ووافق) الحسن والتعظيم كل سري[1]

دعوت للخلق عام القحط إذ سألوا

منك الدعاء فزال القحط بالمطر

والله ما هبطت كفك إذ رفعت

حتى أراق فجاج السهل والوعر

(دام الحَبَا مغرقاً للأرض في زمن)[2]

لولا دعاؤك لم يبرح بمنهمر

(فأوقف) الغيث حول الناس (إذ غمهم)[3]

كي لا يكون له في الناس من ضرر

أسرى بك الله من بيت الحرام إلى

بيت مباركة بالقدس مشتهر

وبشَّرَتْكَ (وفود)[4] الأنبياء بها

لك البشارة يا ذا الفخر (والأثر)[5]

---

[1] سري: صاحب مروءة وسخاء. الكلمة الأولى غير واضحة؛ ويمكن قراءتها (ووافق).

[2] هذا الشطر غير مفهوم ولا موزون. لذا يمكن قراءته كما جاء بين قوسين. (كلمة الحبا) تعني: السحاب الكثيف المقترب من الأرض.

[3] هذا الشطر غير مفهوم ولا موزون؛ لذا يمكن قراءته كما جاء بين قوسين.

[4] بقعة من الحبر غطت هذه الكلمة؛ ويمكن أن تكون "وفود" أو "جموع".

[5] الكلمة في عروض البيت غير واضحة. يمكن أن تكون: "والسير" أو "والأثر".

(ومن) هناك وقيتَ السمع مخترقـــا[1]

مع الأفاضل روح القدس في زمــــر

....

[2]..............................

ومنـــذ ألفيت نفـــسي في سرادقـــه

ضفـــرت منه بجـــاه غيـــر منتظـــر

يا سيـــي يا رســـول الله ليس لنـــا

إلا حمـــاك لدى الأهوال والـــوزر

فيا حبيـــبي ويا ذخري ويا أمـــلي

يا شفيع الورى في الضيق والخطـــر

ويا رجائي ويا عـــزي ويا سنـــدي

ويا عمادي ومن أقضي به وطـــري

ما لي شفيع ولا من أستغيـــث بـــه

سواك يا سيد الأمـــلاك والبشـــر

هذا عُبَيْدُكُـــمُ[3] الجـــاني ينـــوح أحـــا

قلب كئيـــب من الزلات منكســـر

هـــذا عُبَيْدُكُـــمُ ملـــــقى ببابكـــــم

يرجوا شفاعتكم يا خيـــر منتصـــر

---

[1] الكلمـــة الأولى في الصـــدر عليهـــا بقعـــة مـــن الحبـــر؛ ويمكـــن أن تكـــون "ومـــن".

[2] هـــذا البيـــت غيـــر واضـــح ولا مفهـــوم. يمكـــن قراءتـــه هكـــذا:

لعـــلَّ أضفـــر مـــن عُقْـــبى مدائحـــه بموقـــف ومقـــام السعـــد للمدخـــر

[3] استعمـــل صيغـــة التصغيـــر لكلمـــة عبدكـــم.

مالي مقـــام ولا جـــاه ألـــوذ بـــه

يوما سواك حبيـــب الله في النـــدر

إذا مررت على الأهوال خذ بيـــدي

يا سيدي ليس لي صبـــر[1] على سقر

يا ذا الجلال ويا ذا الفضل والكـــرم

نـــج عبيـــدك يا رب من السعـــر[2]

وامنح عبيدك يا مـــولاي مغفـــرة

تمـــحي الذنوب ولا تبقي ولا تـــذر

قد مر عمرى في الهوى وفي طـــرب

وفي اتباع الهوى يا ضيعـــة العمـــر

واسوءتا كيف ألقى الله، ذا الزلـــل[3]

إني المقـــر ما في الكـــون من وزر

فليـــس ينجو بذاك اليوم من أحـــد

إلا رجـــال التقى، وَيْـــحٌ لمقتصـــر

مـــني القطيعـــة والرحمن ذو كـــرم

وما امتثلـــت و لم أصـــغ لمزدجـــر

كيف النجاة وما قدمت من عمـــل

أنجـــو به يـــوم لا عـــذر لمعتـــذر

[1] الأفضـــل هنـــا كلمـــة "جُهْـدٌ"؛ لأن عبـــارة "ليـــس لي صبـــر" قـــد تعـــطي معـــنى معاكـــس.

[2] سُعُـــرٌ؛ مفردهـــا السعيـــر: لهـــب النـــار. والسُعُـــرُ: الجنـــون.

[3] كـــذا... واللـــه أعلـــم

يا صامد القلب يا مغرور بالأمــل

يا ذاهــب الوقت في لهو وفي خطــر

مالي أراك على الــزلات منعكفــا

كأنمــا لإلــه العــرش لــم تحشــر

بعد الخروج من الدنيــا ترى ندمــا

ولــو دخلــت إلى دار النعيــم جــر[1]

تقــول بعد خروجك يــا أسفــا

وأطوَلّ حزني على ما فات من عمــر

لم أكتسب عملا في البعث ينفعــني

ولا جمعــت شئــون الــزاد للسفــر

مات الرجال وما أبقى الزمان سوى

قــوم قلوبهــمُ أقــسى مــن الحجــر

عُــمْيُ البصائر إن مروا بموعظــة

مــروا كسائمــة الأنعــام والحمــر

فاحذرهُمُ أبداً واحــذر مجالسهــم

هُــمُ الشياطين كن منهــم على حــذر

وفِــرَّ من قرنــاء الســوء مجتهــداً

واصحب رجال التقى تصفو من القذر

وفِــرَّ من علمــاء الســوء إنهــم

في البعث أول من يُلــقى على سقــر

[1] الجــري: الوكيــل والضامــن.

يا ويح من لم يكن بالعلم ذا عمـــل

يا طول حسرته إن كان ذا خطـــر

والجاهلـــون من العبـــاد أكثرهـــم

على الضلال فكن منهم على حـــذر

فالقـــوم قد ختلـــوا الدنيا بآخـــرة

ألقـــوا بأنفسهم بالجهل في الغـــرر

لكنهم ستـــروا بالفقـــر بدعتهـــم

هم الزنادقـــة الضُّـــلاَّل في البشـــر

باعوا الفريضة بالمنـــدوب يا عجبا

ما لِلْفَرَاشِ[1] رمى بالنفس في السعـــر

لا تطمئن إلى الدنيـــا وزخرفهـــا

فـــإن غايتهـــا كاللمـــح بالبصـــر

وكن منيبـــا إلى الرحمـــن متقيـــا

طـــوبى لمرأى منيب القلب مذكـــر

فاعلم بأن سراح القلـــب فكرتـــه

والقلب تغمـــره الأنـــوار بالفكـــر

واعلـــم بأن صفـــاء القلـــب أربعـــة

بالورع والصمت والإفراد والسهر[2]

---

[1] إشـــارة إلى الفراشـــات الـــتي لا تكـــف عـــن الـــدوران حـــول ضـــوء القنديـــل حـــتى تسقـــط في لهيبـــه.

[2] هـــذه الصفـــات اتبعهـــا المتصوفـــة؛ ويقصـــد منهـــا: 1 ـ الورع وهـــو مجاهـــدة التقـــوى عندهـــم. 2 ـ ثـــم الصمـــت وهـــم الصيـــام عـــن الكـــلام وتعويضـــه بالذكـــر. 3 ـ ثـــم الإفـــراد: وهـــو الإنفـــراد والعزلـــة. 4 ـ ثـــم السهـــر: وهـــو قضـــاء الليـــل بالذكـــر والتأمـــل.

عليك بالذكر فاستمسك بـــه أبـــداً

فالذكر مشغلة للقلـــب في الخيـــر

الغافلـــون هُـــمُ المـــوتى قلوبهـــم

والذاكرون هُمُ الأحياء في البشـــر

فـــالزم الذكر باســـم الله مجتهـــداً

إن شئـــت صدرك بالأنوار يسفـــر

إن الرجـــال بـــه العـــلا وصلـــوا

وعلموا قدر سِـــرّ القلب والفكـــر

وناظـــروا ملكوت اللوح واطلعـــوا

على عجائب صنع اللـــه والقـــدر

شمس الشهود لهم تبدو إذا غربـــت

شمس النهار فباعوا النـــوم بالسهـــر

طـــوبى لتابعهم يغشـــو مراتبهـــم

ويبصـــر الدر في أصدافـــه القشـــر

فافعل بما فعلوا تظفـــر بما ظفـــروا

وجاهد النفس في الأعمال وابتـــدر

ولا تكن لهـــواء[1] النفـــس متبعـــا

فيطمس القلب ما يغشاه من كـــدر

وراقـــب اللـــه إن اللـــه مطلـــع

عليك في جملة الأنفـــاس والفكـــر

---

[1] يقصـــد بهـــذه الكلمـــة "هـــوى" وليـــس "هـــواء"؛ وقـــد اضطـــر لذلـــك.

والحافظين الكرام الكاتبين جَلاَ[1]

ما ليس يغني فكن منه على حذر

وفِرَّ من سبل الشيطان معتصما

بالله في كل ما تقفوه[2] من أثر

وعالج النفس إن النفس مائلة

للفخر فاعتصمن بالله واصطبر

وقف بربك إن الله ذو كرم

وامْلأْ قداحك بالقرآن والذكر

يا سابح اليوم ما للسبح تقطعه[3]

لولا ارتقيت على الألواح[4] والأسر

ما جاب صعب فجاج القدس غير فَتىً

(مشمر طوقه الجد بالأزر)[5]

وكل موعظة ليست بنافعة

إلا لِمَرْئٍ[6] سليم الصدر مؤتمر

يا غافلون عن الرحمن فانتبهوا

(متنافسون) في الدنيا على خطر[7]

---

[1] جلا يجلو جلاء الأمر: كشفه وأظهره.

[2] تقفى الشيء: اختاره.

[3] سبَّحَ: في الكلام أكثر منه. وسبَّحَ: قال سبحان الله. ومعنى الشطر هو: يا أيها المسبح طول اليوم؛ مالك تقطع تسبيحك..؟

[4] لوح الجسد جمع ألواح: عظمه.

[5] هذا الشطر غير مفهوم ولا موزون؛ لذا يمكن قراءته كما جاء بين قوسين.

[6] هي امرئ؛ ويبدو أنه اضطر لكسر القياس.

[7] هذا الشطر غير موزون بسبب كلمة "المتنافسون"؛ لذا يمكن قراءتها "مُتْنافسون"؛ بسكون التاء.

لا حول لي طمحت نفسي بما عملت

بمـــا أمـــرت وما قلـــبي بمذكـــر

زلـــة وما عملت نفسي بموعظـــة

فيا خســـارة ما ضيعت من عمـــر

لكـــن لي طمعـــا في الله يرحمـــني

وفي شفاعـــة خير الخلق من مضـــر

عليه أزكي صـــلاة الله يصحبهـــا

أزكى التحيـــة بالآصـــال والبكـــر

ثم الرضى عن سَدَاتِ[1] المجد سادتنـــا

وصحب الرسول ومن يقف على أثر

ما هبت الريح من أرض الحجاز وما

آوى الحجيج مقـــام الركن والحجر

وهـــذه أيضـــاً بعـــض المقطوعـــات والأبيـــــات المتفرقـــــة الـــتي نظمهـــا العلامـــة **عبـــد الرحمـــن الأخضـــــري**؛ نثبتهـــــا هنـــا لعلهـــا تكـــون مفيـــدة.

يـــا طالبـــا ربـــــه بصـــدق

بـــــادر وإن جلـــت الخطـــوب

واقصـــد كريمـــا بـــلا تـــــوان

فسائـــل اللــــــه لا يخيـــب

[1] أسقـــط ألـــف المـــد بعـــد السيـــن للضـــرورة.

غيــره:

ولا تأسفن على الدنيــا وزينتهــا

وأرح فؤادك من هـــم ومن حـــزن

وانظر إلى من حوى الدنيا بأجمعهــا

هل راح منها بغير القطن والكفـــن

غيــره:

ألـــم تـــر أن اللـــه قـــال لمريـــم

إليك فهزي الجذع تساقط الرطـــب

ولو شاء أحنى الجذع من غير هـــز

ولكـــن كـــل شيء لـــه سبـــب

غيــره:

عجبـــا للمسيـــح بين النصـــارى

حيـــن قالـــوا أن الإلـــه أبـــوه

ثـــم قالـــوا ابـــن الإلـــه إلـــه

ثـــم قامـــوا بجهلهـــم عبـــدوه

*****

سادساً– القصيدة اللامية في التصوف والإرشاد الديني:

اللــه المقتـــــدر الأزل   سبحانــه جلّ عن المثــل

سبحانــه هــو الصمــد   الفــرد الجبــار الأزل

للــه الحمــد على نعــم   منها الإرشاد إلى السبــل

فَهَــدَى برسول اللــه إلى   أزكى ما كان من الملــل

صلوات الله عليــه مــدى   مرِّ الإصباح مع الأُصــل

زكــاه اللـــه وفضّلــه   وحباه مقام القاب عــلي

في ليل أســرى اللــه بــه   للعرش كما في الذكر تُلي

فرقى مرقى ورأى عجبــا   وأنيــل مقامــا لم ينــل

وتباشــرت الأمــلاك بــه   والروح مشيعهــا فقــل

بين الأمــلاك يطاف بــه   يسراً لك يا خير الرّســل

عــرج المختــار لمرتبــة   جبريــل إليها لم يصــل

إذ ذاك أتــم اللــه لــه   ما خوّلــه من منتحــل

فحبــاه مقاما فــاق بــه   أرباب العزم من الرّســل

يا خيبــة من لــم يقتفــه   ولسنتــه لــم يمتثــل

وجميع الخلــق تلــوذ بــه   يوم الأهوال من الوجــل

تاللــه لأن شفاعتـــــه   لمقدمــة والرسل تــلي

بل أول من ينشــق لــه   قبــر ويحــلّى بالحُلــل

ورســول اللــه مفاخــره   ومحاسنــه لم تشتمــل

وحنين الجذع له عجــب   والمــاء بكفــه منهمــل

فتوضــأ منــه ثلاثمائــة   ورووا وكذلك مشتمل

ألف مع نصف الألــف رووا وانشق له بــدر فقــل
والألف بصاع قد شبعــوا والصاع جميعا لم يــزل
وكذا الأشجار له نطقــت كالضبّ وذئب والحمــل
وفضائل أحمد لو كتبــت في وِقْرِ الألف من الإبــل
كلّ الكتاب وما وصلــوا لفضائله طــول الــدول
يا خير الخلــق عُبَيْدكــم يخشى ما قارف من زلل
في جاهــك إنَّ له طعمــا في نيل الجنــة ذو أمــل
فلعــل بفضل شفاعتكــم يوقى ما خاف من الثقل
يَا ربي لطفتــك يا صمــد إني في لطفك ذو أمــل
فاغفــر للعبــد جنايتــه أنت الغفار لذي الزلــل
يا نفسي تــوبي ولا تهــني في تقوى الله وفي العمــل
فعسى ينجيــني من المحــن وعذاب النــار المشتعــل
لا تأتي النفــس إلى عمــل إلا بالعجــز وبالكســل
وإذا مــا تــأتي لمعصيــة تأتي بالحرص وبالجــدل
فتجــارتها لمهالكهــــا فاحذرهــا أيّمــا تَمِــلِ
وزكاء النفــس مُخالفهــا وموافقهــا فعلى خلــل
ومتابعهــــا لا بــدّ لــه يشقى لو فاق على زجل
وخبيث النفــس وطائعهــا تلقيه على ضنك الوحل
لا تقتفهــا فيما قصــدت وبطاعة ربك فاشتغــل
والحي يصــون جوارحــه عما تأتيــه من الزلــل
والمَيْتُ القَلْبِ مَنَ أُهْمَلَهَــا حتى تلقيــه على وحــل
والفكر سراج القلــب ولا كنّا عن ذلك في شُغُــل

وحجاب الغفلة مكتنــف بالقلب فأي الفكر يــلي

وقلوب الخلق بها وقعــت ظُلُمَاتٌ مِنْ سُوءِ العَمَلِ

شمــر عن ساق الجــد ولا تمهل فالحسرة في المهــل

وهــلاك المــرء وعلتــه وخسارتــ طول الأمــل

فعليك بتقوى اللــه أخــي واحْذَرْ مِن زَيْغَةِ الْمِلَــلِ

في هذي الدار لنــا أمــل والموت يجي قبل الأمــل

من عاش اليوم يموت غــدا والحكم ينفــذ بالأجــل

ما فــوق الموت لنا عبــر لكــنَّ الغفلــة لم تــزل

لو يدري المــرء عواقبــه من هول الموت وما سَيَلِي

ما ذاق لذيذ العيــش ولا نوماً وانكبَّ إلى العمــل

لكــن المــرء بصيرتَــــه من حجاب الغفلة في ظلل

وصنيــع المــرء مجالســه في القبر فجاهد وامتثــل

واعبد مــولاك بلا وهــن جاهــد في الذكر وفي العمــل

من قــدم شيئــاً يلحقــه من بعد الموت على عجل

من خاف مقــام الله نجــا والويل لعبــد لم يجــل

ومراقبة الرحمــن هــدى تنجي الإنسان من الزلل

وإذا مــا جئــت لمعصيــة فاحذر مولاك على عجل

وَاعْلَــمْ أنَّ الْجَبَّــارَ دَرَى ورأى ما تصنع من عمل

فاللــه رقيــبٌ مُطَّلِــع وعليك شهود لم تحــل

فاحــذر مولاك ونقمتــه واخشع من ربك ذا خجل

إيــاك وأن تغتــر أخي بالحلم أو ببساط المهــل

ثم اذكر هول القبر ومــا تلقى في الحشر من الغلل

واشفق عن نفسك ليس لها　　　من عذاب جهنم من قبل[1]

إن شئت هوى كن ذا جلد　　　للنـــار وإلاَّ فاعتـــدل

ما أظلم ذا الإنسان ومـــا　　　أطغـــاه وما أعصاه قـــل

يعـــصى مـــولاه وخوّلـــه　　　خيراً جمّـــاً لّمـــا يـــزل

واحذر كيد الشيطان أخي　　　إن الشيطان لذو حيـــل

والنفـــس تقود لشهوتهـــا　　　ليكون لها الشيطـــان ولي

ومثـــال النفس وشهوتهـــا　　　كذبـــاب أمَّ إلى عســـل

وهـــواء النفـــس مخالفهـــا　　　يعلو في الجنة عن زحـــل

من يملك أمر النفـــس نجـــا　　　ومتابعها في النار صـــلي

وَشَـــوَاهُ لَـــظَى نَزَّاعَتُـــهُ　　　أكلتـــه أُكْـــل القتـــل

ودع الدنيـــا وزخارفهـــا　　　وحبائلهـــا ذات الحيـــل

فازْهَـــدْ فيها واقصر أمـــلا　　　فمحبتهـــا رأس الزلـــل

من آثرهـــا عـــن آخـــرة　　　مـــأواه جهنم لم يحـــل

سوط[2] في الجنـــة يفضلهـــا　　　بحذافرهـــا إن تكتمـــل

ما منها للإنســـان ســـوى　　　كفن في قبـــر منســـدل

فاتْـــرُكْ حبّ الدنيا وكُـــنِ　　　عنها بالطاعـــة في شغـــل

والفترة[3] في الأعمال هوى　　　تبقى أسِفـــاً لّمـــا يَـــزُلِ

والعاقل يقفـــو سنة مـــن　　　فاق الأعلام من الرّســـل

والناس اليـــوم على هُـــوَّةٍ　　　في دينهِـــمُ وعلى خلـــل

---

[1] نســـخ هـــذا البيـــت بخلـــل في الـــوزن؛ ويستقيـــم بالشكـــل التـــاليَ
مـــن نـــار جهنـــم مـــن قبـــل

[2] هكـــذا.

[3] أي الفتـــور.

فعليك بنفســـك فَارْتقهــا   وتبتــل للمولى تصــل
وَلُــجِ الخلــوات لتألفهــا   ومِنَ أهْل الغفلة فانعــزل
وجليسك إن يكسبك هوى   فجلوسك مَعْهُ مِنَ الزَّلَل
وجليس المــرء مشاركــه   وجليس السوء من العلل
وغــواة الإنس أشرهــم   قرناء الســوء فلا تَمِــلِ
وخيــار النــاس أجلهــم   علما وجهادا في العمــل
وأشــر النــاس أدلهــم   لطريق الشر من السبــل
أصحب من شئت فأنت له   تَبَــعٌ ولما يهــواه تــل
وعقــوق الوالد يوقــع في   إسخاط الباري فامتثــل
ووصايــا الله بطاعتهــم   في الذكر مكررة النقــل
فاحتل عن نفسك مجتهــدا   وعنِ الضَّلال فلا تسـل
وعليــك بجوعٍ مَّعَ سهــر   والصّمت وإلاّ فانعــزل
ودع الجهــال وخلّتهــم   تزداد هدى والقلب علي
الجهل عمى والعلم هــدى   يهدي الإنسان إلى السبل
ما نــال مقام المجــد فــتى   إلا بالعلــم وبالعمــل
فعليك بأهــل العلــم إذا   عملوا بالعلم هدى تنــل
واحذر علماء السوء فقــد   خُصُّوا بالإفك وبالخطــل
حفظوا الأقوال وما عملــوا   بالعلم فساء القــوم قــل
مــا حــرفتهــم إلا لعبــا   ولحــوم الناس بلا قلــل
أربــاب قلــوب قاسيــة   للطاعــة أصلا لم تمــل
لا نطــق لذكر الله لهــم   إلا باللهــو وبالهــزل
لا يكسبون العلــم ســوى   لريــاء الناس وللجــدل

طمس الأقـــوال تملقهـــم لولاة السوء ذوي الخلل
يصلـــون النـــار كما وردا من قبلِ أولي الأوثان قل
فاتـــرك أفعالهـــم أبـــدا وخذ الأقوال ولا تمـــل
حاش علمـــاء الخيـــر أولي حظ في العلم وفي العمل
فعليك أخي بِمَجَالِسِهِـــمْ واظفر بمحبتهـــم تصـــل
وادخل في المنقطعيـــن إلى مولاهم واقصر في الأمل
واتل القرآن بفكر حـــجى آنـــاء الليل بـــلا كلـــل
والـــزم عمـــلا بمواعظـــه وزواجره المنهاج تـــلي
ما فوق كتاب الله هـــدى لأولي الألباب ذوي الوجل
وكتـــاب اللـــه تلاوتـــه تهديك إلى أهدى السبل
إن شئـــت رياضا مونقـــة وحدائق في الفردوس قل
والحـــور العين وفاكهـــة فاتل القـــرآن بكل تـــل
فعليك بسيـــرة سيدنـــا طه المختار من الرســـل
إن شئـــت الجنة فاجتهـــد في تقوى الله بـــلا ملـــل
اعمل ما شئت فأنت بـــه مجـــزى في يوم النكـــل
وشبـــاب المـــرء غنيمتـــه سعد الشبان أولى العمـــل
تبـــاً لفـــتى قـــد ضيعـــه وحديث الخمس له امْتَثِلِ
واعبـــد لا أمنا ولا قنطـــا تجزى بالجنـــة والحلـــل
من صام الحر وقـــام بـــه يرقى مرقى في الخلـــد علي
وكواعـــب فيـــه مخـــدرة ودهاق الكوب من العسل
إن شئت جحيمـــا محرقـــة وحميما منه البطـــن مُلِي
ومقامـــع ليـــس لها مثـــل وسلاســـل والأغلال تلي

وعـــذاب ليس له طـــرف ... فاعص مولاك ولا تســـل
فعليك بتقـــوى الله تنـــل ... في الخلـــد قبابا لم تحـــل
ورضى وخيامـــا مشرقـــة ... بالحور مغنجـــة المقـــل
وحـــلى وثيابـــا رائِقـــة ... كالسندس يا لك من حلل
والحي يليـــن بموعظـــة ... والميت بألـــف لم ينـــل
فحذار الناس وما صنعـــوا ... فالناس اليوم على خلـــل
ويل للنـــاس من الحكـــم ... في يوم الحسرة والنكـــل
إذ تنفضـــح الأسرار بـــه ... وترى عورات ذوي الزلل
وتحدث الأرض بما وقعـــا ... للخلق عليها من العمـــل
وتجي الأشهاد بما شهـــدت ... وتفر الناس إلى الرســـل
ويجازى المـــرء بما عمـــلا ... لا ظلم اليوم على رجـــل
وبكـــاء الناس إذا كثـــروا ... والطفل يشيب من الوجل
ويفيض الدمع من النـــدم ... ويفيـــح المرء من العلـــل
بل يفتقـــر الإنســـان إلى ... مثقال الـــذر من العمـــل
يتمنى الخلـــق رجوعهـــم ... وتمنـــوا شيئـــا لم ينـــل
وجهنم تـــرمي بالشـــرر ... كالقصر على شكل الجمل
والنـــاس يكلمهـــم عنـــق ... من النار يعلو كالجبـــل
ويجوز الخلق على الـــركب ... فزعا من هول ذي ثقـــل
وتهيـــج النار بصيحتهـــا ... وتغيظهـــا عند الشعـــل
وتفـــور تكاد تَمَيَّـــز مـــن ... غيـــظ أولى الأجرام تلي
وإذا زفرت للخلق بـــدت ... تصطـــك بإذن الله قـــل
ولها زعـــاقات مدهشـــة ... ولها أمـــواج كالظلـــل

لولا حلم المولى مكــرت بجميع الخلق بــلا مهــل
وجهنــم ســودا مظلمــة أبدا لا تفتُر من شعــل
فــإذا جاء المختــار لهــا خمدت إذ ذاك من الخجل
نجانــا اللــه وعاملنــا باللطــف ووفق للعمــل
من حق عليه القول شُــفي والأمر مُقاضى في الأزل
أعظم بــورود الخلــق إلى حوض المختار من الغلل
ذو لون أصــفى من لبــن ومذاق أحلى من عســل
من مسك أطيب رائحــة كالنجم كؤوســا فامتثــل
ومسيــر الشهر مسافتــه كزوايا أربــع معتــدل
لا يظمــأ شاربــه أبــدا وهنــاك رسول الله يلي
ويــذاد التــارك سنتــه الراغب عنها ذو الحيــل
يا حسرة أهــل الزيــغ إذا يتبــرأ منهم حيــن يلي
ويقــول رسول الله لهــم سحقا سحقا لذوي الميل
واذكر هول الميــزان ومــا في أخذ الصحف من الوجل
تــأتي صحــف متطايــرة من تحت العرش إلى الرجــل
هذي صحف لك تقرؤهــا فيها ما قلت من العمــل
وصــراط أرق من شعــر أمضى من سيف منصقل
من فوق جهنم منتصــب ولــه عقبــات فامتثــل
وجميــع الخلــق تعبــره بقضــاء الله فــلا تخــل
وينــجي اللــه برحمتــه من شاء ويوبق ذا الزلــل
وزلازل يوم البعث أتــت جمــا لكتاب اللــه تلي
وكتــاب اللــه وسنتــه فرقان الحق من الخلــل

ولسان المرء محاربه إذ كم قد أوبق من رجل
ويفوه المرء بموبقة تنهد بها شم الجبل
يهوى في النار بها حِقبا تمضيه بسخط الله قل
يهجوها الناطق هيِّنة وتفوق الشامخ في الثقل
من أحسن طاعته طلبا للشهرة خاب ولم ينل
من أم رياء الناس غوى قلب وبسخط الله بُلي
لا يبقي الله له عملا بل يفضحه يوم الوجل
والعجب هلاك المرء وقد يردي الإنسان بلا مهل
وعليك بحفظ السمع تفز بنجاة القلب من العلل
فالسمع إذا ما أهمل في سمع برصاص النار ملي
وفساد الدين وآفاته طمع يغشاه ولم ينل
وذووا الأطماع لهم شبه بذباب الجيفة في المثل
وزكاة القلب سلامته من حجاب الغفلة والزلل
إن الأكدار إذا ركدت في قلب المرء فذاك يُلي
وكنوز القلب يصادفها من شاء الله بلا حيل
من ماط صدئ المرآة رأى أشكال الكون لذي مقل
من جاب رحاب النفس وقد ألقى النعلين على عجل
إذ حل بواد القدس وقِدْ ما آنس منه النور خل
حاذي حضرات القدس وقد أمسى إذ ذاك في حلل
فلنعم فتى يرتاض فضا ء عرصات القلب إلى النهل
ما حلّ بساط القدس فتى يصبو للراحة والكسل
ما طاق السير أخو عرج ما طاق الحرب أخو فشل

هل يستمعون الصم دعـــا هل يهدي العمي إلى السبل

من عاق النفس عوائدهـــا يعلو شاوا في القدس عـــلي

وزكاة النفـــس طهارتهـــا مما تهـــواه من الخطـــل

وعلاج النفـــس رياضتهـــا بمجاهـــدة فلتعتــــدل

ومراقبة المـــولى وحضـــو ر القلب مقاليـــد الغلـــل

مـــن دان لأمـــر الله نجـــا والويـــل لمن لم يمتثـــل

من صح له الإخـــلاص رقي درجات القدس وبالرجل

حكم ظهرت لما انفجـــرت في القلب ينابيع النِّحـــل

وفقيـــد دليـــل يرشـــده تهديـــه صـــلاة للسبـــل

عجبا لفتى يشكـــو ظمـــأ ويخـــوض بماء منهمـــل

وشهـــود الحـــق وبهجتـــه لأخي قلب حي وجـــل

فإذا دلكـــت شمس وخبت ظهرت وربت قبل الذلل

من غاص بذكر القلب بدا كاليم رأى الياقوت جلي

من شد عرى حزم وسرى يقضي وطرا مهما يصـــل

أسلك أثـــرا تربح سفـــرا واعتق عبدا تنجـــو تنـــل

أجري نهرا واسقي شجـــرا تجني ثمـــرا تحت الظلـــل

من سام حمى الجبـــار عمى والنفس رمى في منسفـــل

وبناشئـــة الأسحـــار أخي لتنال تفـــز بالحـــور جلي

من بات يقوم بمخمصـــة أضحى بحجاء منصقـــل

وتبيت الحور تطوف بـــه فيما يروى عن خير ولي

وريـــاض الجنـــة مسكنـــة يجـــزى بنعيم مكتمـــل

وعمـــاد الدين ومركـــزه في الصدق وفي الإخلاص جـــل

أخلـــص للـــه مراقبـــة واصدق في القول وفي العمل
هيهات أولوا الإخلاص عفـــوا وبقى في الوقت ذووا الخلل
صـــم بكـــم عمي حُــمُر كخشاش الأرض وكالجعـــل
لا تنفـــع فيهـــم وعظـــة مما في القلب من الخطـــل
جعلوا دين المـــولى هـــزؤا فالقـــوم لهم إبليـــس ولي
شهوات النفس عبادتهـــم والكل لملء البطـــن ملي
يسعون إلى الشهوات كما يسعى الحيوان إلى الأكل
ملك الشيطـــان قلوبهـــم فهووا في مهواة الزلـــل
هذا زمن قد غـــاض بـــه ينبوع الحـــق ولم يَســـل
ونجوم الدين لقـــد أَفَلُــوا من بعد ضيـــاء مكتمـــل
وظلام الباطـــل منتشـــر عـــم الآفـــاق ولم يـــزل
ومعاص الله قد انتشـــرت وبدت في الناس بلا خجل
هاج الفساق وقد كثـــروا في الناس وقلَّ أولوا العمل
قد غـــر الناس وأوبقهـــم أنظـــار اللـــه إلى أجـــل
وهجوم الساعـــة مقتـــرب والناس توسع في الأمـــل
وديوك الدلجة قد صرخـــوا ودنى الإصبـــاح لمرتجـــل
رحل الأقـــوام فيا أسفـــا وأطول بكائي في الطلـــل
وثبات المركب قد ظعنـــوا وبقيت أكابد في نكـــل
قد مات عني الأبطال ومـــا تركوا في الثلة من بطـــل
وبدت في الناس دجاجلـــة أبنـــاء البدعـــة والخيـــل
لحطام الناس لقـــد نصبـــوا شبكات الطاعة والعمل
والناس اليوم قد انتهكـــوا حرمات الدين فلا تطـــل

والحُرُّ برمز العيـــن كـــفى	والعبد بضرب السوط يلي
والدهر يفيد المـــرء هـــدى	بتعاقب الأعصر والـــدول
وشموس العبـــرة مشرقـــة	للعاقل مهـــمى يمتثـــل
قد وهنت بذاك وما عملت	نفسي بمقالي من عمـــل
للخير تخص الغيـــر ومـــا	عملت بالخيـــر فيا وجلي
مثلي كطبـــيب حـــل بـــه	سقـــم ويعالج ذا العلـــل
يا رب عبيـــدك معتـــرف	بالذنب وأوزار الثقـــل
ورجائي فيـــك يؤانســـني	مولاي ومن ذا غيرك لي
فاغفر لعُبَيْدِكَ ما اكتسبت	يده مـــن سيء العمـــل
لحبيبـــك أحمـــد سيدنـــا	أزكى الشفعاء لذي الزلل
صلوات اللـــه عليـــه تفي	وسلاما ذا أرج حفـــل
وعلى الأبطـــال صحابتـــه	وأسود الحرب أولوا النحل
وأبي بكـــر وأبي حفـــص	وأبي عمرو والليث علي
هـــذه كلمـــات مُشْرِقَـــة	مشكاة الناس ذوي العمل
نجزت بربيع الآخـــر مـــن	جمع حجج وقت المثـــل

*****

سابعـاً ــ الجوهـــر المكنـــون في الثلاثـــة فنـــون:

الجوهـــر المكنـــون في الثلاثـــة فنـــون (البيـــان والمعـــاني والبديـــع)؛ أرجـــوزة نظمهـــا **الأخضـــري**؛ ويصـــل عـــدد أبياتهـــا إلى 291 بيتـــاً. وهي عبـــارة عـــن منظومـــة لخـــص

فيها كتاب **"التلخيص في علوم البلاغة"**؛ **لجلال الدين محمد ابن عبد الرحمن القزويني.**[1] وهذا ما صرح به **الأخضري** نفسه حين قال:

فَجِئْتُهُ بِرَجَزٍ مُفِيدِ
مُهَذَّبٍ مُنَقَّحٍ سَدِيدِ
مُلْتَقِطاً مِنْ دُرَرِ **"التَّلْخِيصِ"**
جَوَاهِراً بَدِيعَةَ التَّلْخِيصِ
سَلَكْتُ مَا أَبْدَى مِنَ التَّرْتِيبِ
وَمَا أَلَوْتَ الْجُهْدَ فِي التَّهْذِيبِ

إذن فقد صرح **الأخضري** بأنه قد اتبع الترتيب نفسه؛ الذي وضعه **القزويني**؛ غير أنه اجتهد بالتهذيب ــ كما قال ــ ولم يكتف بالاقتباس والشرح. وبالمقارنة المتأنية بين كتاب **القزويني** ومنظومة **الأخضري** يتبين أنه ــ بالفعل ــ اتبع معظم الترتيب الموضوع في كتاب **"التلخيص"**؛ وقد قام بنظم المحتويات الملخصة بمهارة فائقة؛ حتى أنه عالج بعض القضايا بطريقة واضحة وبعناوين أكثر دلالة؛ مثل: تخصيصه عنواناً للإسناد العقلي؛ الذي كان مدمجاً

---

[1] وهو أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر؛ ولد بالموصل سنة 666 هـ/1268م وتوفي بدمشق سنة 739 هـ/ 1338م. فقيه شافعي وأديب؛ تولى القضاء في عدة أماكن. من مؤلفاته أيضاً "الإيضاح" وهو شرح للتلخيص"، و"السور المرجانيمن شعر الأرجاني".

عند **القزويني** في محتوى الإسنداد الخبري ككل. كما حرص على إعادة تبويب موضوع **"أحوال المسند إليه"**؛ بغرض تقريب الفكرة وتوضيحها لتلاميذه؛ فقام بإنشاء فصل بعنوان: **"الخروج عن مقتضى الظاهر"**؛ بينما عولج هذا الموضوع في كتاب **"التلخيص"** مدمجاً وبشكل غامض. ومجمل القول؛ فالأمثلة على ذلك عديدة ولا يتسع المجال للخوض فيها.

المهم أن هذه المنظومة وجدت عناية كبيرة من قبل العلماء وطلاب العلم؛ فنقلت واستظهرت وشرحت؛ كما طبعت في مصر. وقد تولى **الأخضري** بنفسه شرح **"الجوهر المكنون"**؛ فأنجز له شرحاً كبيراً فاق التلخيص للقزويني؛ وهو بالمكتبة الوطنية الجزائرية؛ ولكنه غير منقح؛ ويبدو أن الزمن لم يمهل **الأخضري** للقيام بذلك. وعليه فقد اهتم بهذا الشرح عدد من العلماء في المغرب والمشرق؛ مثل: **أحمد بن مبارك العطار القسنطيني** الذي كتب **"نزهة العيون" وعبد الكريم الفكون القسنطيني** الذي حاول تبييض المخطوط الخام **"للجوهر المكنون"**؛ **ومحمد بن محمد علي ابن موسى الثغري الجزائري** الذي كتب: **"موضح السر المكنون على الجوهر المكنون"**؛ ويوجد ــ كما يقول **الشيخ عبد الرحمن**

الجيلالي ـ هذا الشرح مع شرح **الأخضري** بإحدى زوايا مدينة معسكر؛ في حي بابا علي.[1] وكان **الثغري** معجباً للغاية بمنظومة **الأخضري** وبشرحها عليه؛ إلاّ أنه أشار ـ كما ذكر ابن الفكون ـ إلى حالة الشرح الذي لم يكمل **الأخضري** تنقيحه. وقد تولى ـ أيضاً ـ بعض علماء المشرق شرح **"الجوهر المكنون"**؛ منهم: **أحمد الدمنهوري**. وجملة القول فإن منظومة **"الجوهر المكنون" للأخضري** ستعرض كاملة في قسم الملاحق؛ فنتمنى أن تعود بالفائدة على القارئ الكريم.

سَمَّيْتُهُ (بِالْجَوْهَرِ الْمَكْنُونِ)
فِي صَدَفِ الثَّلاَثَةِ الفُنُونِ
وَاللَّهَ أرْجُو أنْ يكُونَ نَافِعَا
لِكُلِّ مَنْ يَقْرَؤُهُ وَرَافِعَا
وَأنْ يكُونَ فَاتِحاً لِلْبَابِ
لِجُمْلَةِ الإخْوَانِ وَالأصْحَابِ

المقدمة

فَصَاحَةُ المُفْرَدِ أنْ يَخْلُصَ مِنْ
تَنَافُرِ غَرَابَةٍ خُلْفٍ زُكِنْ

[1] أنظر تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص ص: 80 ـ 81. وتاريخ الجزائر الثقافي، ج: 2، ص ص: 173 ـ 175.

وَفِي الكَلَامِ مِنْ تَنَافُرِ الكَلِمْ

وَضَعْفِ تَأْلِيفٍ وَتَعْقِيدٍ سَلِمْ

وَذِي الكَلَامِ صِفَةٌ بِهَا يُطِيقْ

تَأْدِيَةَ المَقْصُودِ بِاللَّفْظِ الأَنِيقْ

وَجَعَلُوا بَلَاغَةَ الكَلَامِ

طِبَاقَهُ لِمُقْتَضَى المَقَامِ

وَحَافِظٌ تَأْدِيَةَ المَعَانِي

عَنْ خَطَإٍ يُعْرَفُ بِالمَعَانِي

وَمَا مِنَ التَّعْقِيدِ فِي المَعْنَى يَقِي

لَهُ البَيَانُ عِنْدَهُمْ قَدِ انْتُقِي

وَمَا بِهِ وُجُوهُ تَحْسِينِ الكَلَامْ

تُعْرَفُ يُدْعَى بِالْبَدِيِ وَالسَّلَامْ

الفن الأول: علم المعاني

عِلْمٌ بِهِ لِمُقْتَضَى الحَالِ يُرَى

لَفْظاً مُطَابِقاً وَفِيهِ ذُكِرَا

إِسْنَادُ مُسْنَدٌ إِلَيْهِ مُسْنَدُ

وَمُتَعَلِّقَاتُ فِعْلٍ تُورَدُ

قَصْرٌ وَإِنْشَاءٌ وَفَصْلٌ وَصْلٌ أَوْ

إِيجَازٌ اطْنَابٌ مُسَاوَاةٌ رَأَوْا

البـــاب الأول: الإسنـــاد الخبـــري

الحُكْمُ بِالسَّـــلْبِ أَوِ الإِيجَـــابِ
إِسْنَادُهُـــمْ وَقَصْــدُ ذِي الخِطَــابِ
إِفَــادَةُ السَّامِــعِ نَفْـسَ الحُكْـمِ
أَوْ كَـوْنَ مُخْبِــرٍ بِــهِ ذَا عِلْـمِ
فَــأَوَّلٌ فَائِـــدَةٌ وَالثَّـــانِي
لاَزِمُهَـــا عِنْـــدَ ذَوِي الأَذْهَـــانِ
وَرُبَّمَا أُجْــرِيَ مُجْــرَى الجَاهِــلِ
مُخَاطَــبٌ إِنْ كَانَ غَيْــرَ عَامِــلِ
كَقَوْلِنَـــا لِعَالِــمٍ ذِي غَفْلَــةٍ
الذِّكْــرُ مُفْتَــاحٌ لِبَابِ الحَضْــرَةِ
فَيَنْبَــغِي اقْتِصَــارُ ذِي الإِخْبَــارِ
عَــلَى المُفِيــدِ خَشْيَــةَ الإِكْثَــارِ
فَيُخْبِــرُ الخَــالِي بِــلاَ تَوْكِيــدِ
مَا لَمْ يَكُنْ فِي الحُكْــمِ ذَا تَرْدِيــدِ
فَحَسَــنٌ وَمُنْكِـــرُ الإِخْبَــارِ
حَتْــمٌ لَــهُ بِحَسَــبِ الإِنْكَــارِ
كَقَوْلِــهِ إِنَّـــا إِلَيْكُــمْ مُرْسَلُــونْ
فَــزَادَ بَعْدُ مَا اقْتَضَــاهُ المُنْكِــرُونْ

لِلَفْــظِ الاِبْتِــداءَ ثُــمَّ الطَّلَــبِ

ثُمَّتَ الإِنْكَــارِ الثَّلاَثَــةَ انْسُــبِ

وَاسْتُحْسِنَ التَّأْكِيدُ إنْ لَوَّحْتَ لَــهْ

بِخَبَــرٍ كَسَائِــلٍ فِي المَنْزِلَــــهْ

وَأَلْحَقُــوا أَمَــارَةَ الإِنْكَــارِ بِــهْ

كَعَكْسِــهِ لِنُكْتَــةٍ لَــمْ تَشْتَبِــهْ

بِقَسَــمٍ قَــدْ إنَّ لاَمُ الاِبْتِـــدَا

وَنُــونِيَ التَّوْكِيــدِ وَاسْمٍ أُكِّــدَا

وَالنَّــفْيُ كَالإِثْبَاتِ فِي ذَا البَــابِ

يَجْــرِي عَلَى الثَّلاَثَــةِ الأَلْقَــابِ

بِــأَنْ كَــأَنَّ لاَمٍ أَوْ بَــاءِ يَمِيــنْ

كَمَا جَلِيسُ الفَاسِقِيــنَ بِالأَمِيــنْ

فصــل في الإسنــاد

وَلِحَقِيقَــــةٍ مَجَــــازٍ وَرَدَا

لِلْعَقْــلِ مَنْسُوبَيْــنِ أَمَّــا المُبْتَــدَا

إِسْنَــادُ فِعْــلٍ أَوْ مُضَاهِيــهِ إِلَى

صَاحِبِــهِ كَفَــازَ مَــنْ تَبَتَّــلاَ

أَقْسَامُــهُ مِــنْ حَيْــثُ الاِعْتِقَــادُ

وَوَاقِــعٌ أَرْبَعَــةٌ تُفَــادُ

وَالثَّـانِ أنْ يُسْنَـدَ لِلْمَلاَبِـسِ
لَيْـسَ لَهُ يُبْنَى كَثَـوْبٍ لاَبِـسِ
أقْسَامُـهُ بِحَسَـبِ النَّوْعَيْـنِ فِي
جُزْأَيْـهِ أرْبَـعٌ بِـلاَ تَكَلُّـفِ
وَوَجَبَـتْ قَرِينَـةٌ لَفْظِيَّـهْ
أوْ مَعْنَوِيَّـةٌ وَّإنْ عَادِيَّـهْ

البـاب الثـاني: في المسنـد إليـه

يُحْـذَفُ لِلْعِلْـمِ وَلاِخْتِبَـارِ
مُسْتَمِـعٍ وَصِحَّـةِ الإنْكَـارِ
سَتْـرٍ وَضِيـقِ فُرْصَـةٍ إجْـلاَلِ
وَعَكْسِـهِ وَنَظْـمِ اسْتِعْمَـالِ
كَحَبَّـذَا طَرِيقَـةُ الصُّوفِيَّـهْ
تَهْـدِي إلَى الْمَرْتَبَـةِ العَلِيَّـهْ
وَاذْكُـرْهُ لِلأصْـلِ وَالاِحْتِيَـاطِ
غَبَـاوَةٍ إيضَـاحِ انْبِسَـاطِ
تَلَـذُّذٍ تَبَـرُّكٍ إعْظَـامِ
إهَانَـةٍ تَشَـوُّقٍ نِظَـامِ
تَعَبُّـدٍ تَعَجُّـبٍ تَهْوِيـلِ
تَقْرِيـرٍ أوْ إشْهَـادٍ أوْ تَسْجِيـلِ

وَكَوْنُــــهُ مُعَرَّفــاً بِمُضْمِــــرِ

بِحَسَبِ المَقَــامِ فِي النَّحْــوِ دُرِي

وَالأَصْــلُ فِي المُخَاطَبِ التَّعْيِيــنُ

وَالتَّــرْكُ لِلشُّمُــولِ مُسْتَبِيـــنُ

وَكَوْنُــــهُ بِعَلَــمٍ لِيَحْصُــــلاَ

بِذِهْــنِ سَامِــعٍ بِشَخْــصٍ أَوَّلاَ

تَبَــــرُّكٍ تَلَــذُّذٍ عِنَايَـــةِ

إِجْــلاَلٍ أَوْ إِهَانَـــةٍ كِنَايَـــةِ

وَكَوْنُـــــهُ بِالْوَصْــلِ لِلتَّفْخِيــمِ

تَقْرِيــرٍ أَوْ هُجْنَــةٍ أَوْ تَوْهِيـــمِ

إِيمَــاءٍ أَوْ تَوَجُّــهُ السَّامِــعِ لَــهْ

أَوْ فَقْدِ عِلْمِ سَامِــعٍ غَيْرِ الصِّلَــهْ

وَبِإِشَــــارَةٍ لِكَشْــفِ الحَـــالِ

مِنْ قُــرْبٍ أَوْ بُعْدٍ أَوِ اسْتِجْهَــالِ

أَوْ غَايَــةِ التَّمْيِيــزِ وَالتَّعْظِيــــمِ

وَالحَــطِّ وَالتَّنْبِيــهِ وَالتَّفْخِيــــمِ

وَكَوْنُــهُ بِاللاَّمِ فِي النَّحْــوِ عُلِــمْ

لَكِــنَّ الاسْتِغْــرَاقَ فِيهِ يَنْقَسِــمْ

إِلَى حَقِيــقِيٍّ وَعُــــرْفِيٍّ وَفِي

فَــرْدٍ مِنَ الجَمْعِ أَعَــمَّ فَاقْتُــفِي

وَبِإِضَافَــةٍ لِحَصْــرٍ وَاخْتِصَــارْ

تَشْرِيــفِ أَوَّلٍ وَثَــانٍ وَاحْتِقَــارْ

تَكَافُـؤٌ سَآمَـــةٌ إِخْفَـــاءُ
وَحَــثٌ أَوْ مَجَــازٌ اسْتِهْـــزَاءُ
وَنَكَّــرُوا إِفْــرَاداً أَوْ تَكْثِيــرَا
تَنْوِيعــاً أَوْ تَعْظِيمــاً أَوْ تَحْقِيــرَا
كَجَهْـــلٍ أَوْ تَجَاهُـــلٍ تَهْوِيـــلِ
تَهْوِيـــنٍ أَوْ تَلْبِيـــسٍ أَوْ تَقْلِيـــلِ
وَوَصْفُهُ لِكَشْـــفٍ أَوْ تَخْصِيـــصِ
ذَمٌّ ثَنَـــا تَوْكِيـــدٍ أَوْ تَنْصِيـــــصِ
وَأَكَّدُوا تَقْرِيراً أَوْ قَصْدَ الخُلُــوصْ
مِنْ ظَنِّ سَهْوٍ أَوْ مَجَازٍ أَوْ خُصُوصْ
وَعَطَفُـــوا عَلَيْـــهِ بِالبَيَـــانِ
بِاسْـــمٍ بِـــهِ يَخْتَـــصُّ لِلْبَيَـــانِ
وَأَبْدَلُــوا تَقْرِيــراً أَوْ تَحْصِيــلاَ
وَعَطَفُـــوا بِنَسَـــقٍ تَفْصِيـــــلاَ
لأَحَـــدِ الجُزْأَيْــــنِ أَوْ رَدٌّ إِلَى
حَقٌّ وَصَرْفِ الحُكْـــمِ لِلَّذِي تَــلاَ
وَالشَّـــكُّ وَالتَّشْكِيـــكِ وَالإِبْهَـــامِ
وَغَيْـــرِ ذَلِـــكَ مِـــنَ الأَحْكَـــامِ
وَفَصْلُـــهُ يُفِيـــدُ قَصْـــرَ المُسْنَـــدِ
عَلَيْهِ كَالصُّـــوفِيِّ وَهْوَ المُهْتَـــدِي
وَقَدَّمُـــوا لِلأَصْـــلِ أَوْ تَشْرِيـــفِ
لِخَبَـــرٍ تَلَـــذُّذٍ تَشْرِيـــــفِ

وَحَــطٌ اهْتِمَــامٍ أوْ تَعْظِيــــمِ

تَفَــاؤُلِ تَخْصِيــصٍ أوْ تَعْمِيــمِ

إنْ صَاحَبَ المُسْنَدُ حَرْفَ السَّلْــبِ

إذْ ذَاكَ يَقْتَــضِي عُمُومَ السَّلْــبِ

فصـــل: في الخـــروج عـــن مقتـــضى الظاهـــر

وَخَرَجُوا عَنْ مُقْتَــضَى الظَّوَاهِــرِ

كَوَضْــعِ مُضْمَــرٍ مَكَانَ الظَّاهِــرِ

لِنُكْتَــــةٍ كَبَعْــثٍ أوْ كَمَــــالِ

تَمْيِيــزٍ أوْ سُخْرِيَــةٍ إجْهَـــالِ

أوْ عَكْسٍ أوْ دَعْوَى الظُّهُورِ وَالمَدَدْ

لِنُكْتَةِ التَّمْكِينِ كَــ"اللَّهُ الصَّمَــدْ"

وَقَصْــدُ الاِسْتِعْطَافِ وَالإرْهَــابِ

نَحْوُ "الأمِيــرُ وَاقِــفٌ بِالبَــابِ"

وَمِنْ خِلاَفْ المُقْتَضَى صَرْفُ المُرَادْ

ذِي نُطْقٍ أوْ سُــؤَلٍ لِغَيْــرِ مَا أرَادْ

لِكَوْنِــــهِ أوْلَى بِــهِ وَأجْـــدَرَا

كَقِصَّــةِ الحَجَّــاجِ وَالقَبَعْثَــرَى

وَالاِلْتِفَــاتِ وَهْوَ الاِنْتِقَــالُ مِــنْ

بَعْضِ الأسَالِيبِ إلَى بَعْضٍ قَمِــنْ

وَالوَجْـــهُ الإسْتِجْلاَبُ بالْخِطَـــاب

وَنُكْتَـــةٍ تَخْتَـــص بَعْضُ البَـــابِ

وَصِيغَـــةَ المَـــاضِي لآتٍ أوْرَدُوا

وَقَلَبُـــوا لِنُكْتَـــةٍ وَأنْشَـــدُوا

وَمَهْمَـــهٍ مُغْبَـــرَّةٍ أرْجَـــاؤُهُ

كَـــأنَّ لَـــوْنَ أرْضِـــهِ سَمَـــاؤُهُ

البـــاب الثالـــث: المسنـــد

يُحْـــذَفُ مُسْنَـــدٌ لِمَـــا تَقَدَّمَـــا

وَالْتَزَمُـــوا قَرِينَـــةَ لِيُعْلَمَـــا

وَذِكْـــرُهُ لِمَا مَـــضَى أوْ لِيُـــرَى

فِعْـــلاً أوِ اسْمـــاً فَيُفِيـــدُ الُمخْبَـــرَا

وَأفْـــرَدُوهُ لانْعِـــدَامِ التَّقْوِيَـــهْ

وَسَبَب كَـــ"الزُّهْدُ رَأسُ التَّزْكِيَـــهْ"

وَكَوْنُـــهُ فِعْـــلاً فَلِلتَّقْيِيـــدِ

بالوَقْـــتِ مَـــعْ إفَـــادَةِ التَّحْدِيـــدِ

وَكَونُهُ اسْماً لِلثُّبُـــوتِ وَالـــدَّوَامْ

وَقَيَّـــدُوا كَالْفِعْـــلِ رَعْياً لِلتَّمَـــامْ

وَتَرَكُـــوا تَقْيِيـــدَهُ لِنُكْتَـــةٍ

كَسُتْـــرَةٍ أوِ انْتِهَـــازِ فُرْصَـــةٍ

وَخَصَّصُوا بالوَصْـــفِ وَالإضَافَـــهْ
وَتَرَكُـــوا لِمُقْتَـــضٍ خِلاَفَـــهْ
وَكَوْنُـــهُ مُعَلَّقـــاً بالشَّـــرْطِ
فَلِمَعَـــانِي أدَوَاتِ الشَّـــرْطِ
وَنَكَّـــرُوا إتْبَاعـــاً أوْ تَفْخِيمـــاً
حَطًّـــا وَفَقْـــدَ عَهْـــدٍ أوْ تَعْمِيمـــاً
وَعَرَّفُـــوا إفَـــادَةً لِلْعِلْـــمِ
بِنِسْبَـــةٍ أوْ لاَزِمٍ لِلْحُكْـــمِ
وَقَصَّـــرُوا تَحْقِيقـــاً أوْ مُبَالَغَـــهْ
بِعُـــرْفِ جِنْسِـــهِ كَــ"هِنْـــدُ الْمُبَالِغَـــهْ"
وَجُمْلَـــةٌ لِسَبَـــبٍ أوْ تَقْوِيَـــهْ
كَــ"الذِّكْـــرُ يَهْدِي لِطَرِيقِ التَّصْفِيَـــهْ"
وَاسْمِيَّـــةُ الجُمْلَـــةِ وَالفِعْلِيَـــهْ
وَشَرْطُهَـــا لِلنُّكْتَـــةِ الجَلِيَّـــهْ
وَأخَّـــرُوا أصَالَـــةً وَقَدَّمُـــوا
لِقَصْـــرِ مَـــا بِـــهِ عَلَيْـــهِ يُحْكَـــمُ
تَنْبِيـــهٍ أوْ تَفَـــاؤُلٍ تَشَـــوُّفِ
كَفَـــازَ بِالْحَضْـــرَةِ ذُو تَصَـــرُّفِ

البـــاب الرابـــع: في متعلقـــات الفعـــل

وَالفِعْـــلُ مَعْ مَفْعُولِهِ كَالْفِعْلِ مَـــعْ

فَاعِلِـــهِ فِيمَـــا لَهُ مَعْـــهُ اجْتَمَـــعْ

وَالغَـــرَضُ الإِشْعَـــارُ بِالتَّلَبُّـــسِ

بِوَاحِـــدٍ مِـــنْ صَاحِبَيْـــهِ فَأْتَـــسِ

وَغَيْـــرُ قَاصِـــرٍ كَقَاصِـــرٍ يُعَـــدُّ

مَهْمَا يَـــكُ المَقْصُودُ نِسْبَـــةً فَقَـــدْ

وَيُحْـــذَفُ المَفْعُـــولُ لِلتَّعْمِيـــمِ

وَهُجْنَـــةٍ فَاصِلَـــةٍ تَفْهِيـــمِ

مِـــنْ بَعْـــدِ إِبْهَـــامٍ وَالاخْتِصَـــارِ

كَـــ"بَلَـــغَ المُولَـــعَ بِالأَذْكَـــارِ"

وَجَـــاءَ لِلتَّخْصِيـــصِ قَبْلَ الفِعْـــلِ

تَهَمُّـــمٍ تَبَـــرُّكٍ وَفَصْـــلِ

وَاحْكُـــمْ لِمَعْمُولاَتِـــهِ بِمَا ذُكِـــرْ

وَالسِّرُّ فِي التَّرْتِيبِ فِيهَـــا مُشْتَهِـــرْ

البـــاب الخامـــس: القصـــر

تَخْصِيـــصُ أَمْـــرٍ مُطْلَقـــاً بِأَمْـــرِ

هُـــوَ الَّـــذِي يَدْعُونَـــهُ بِالْقَصْـــرِ

يَكُونُ فِي المَوْصُوفِ وَالأَوْصَــافِ

وَهْــوَ حَقِيــقِيٌّ كَمَــا إضَــافِي

لِقَلْــبِ أَوْ تَعْيِيــنِ أَوْ إفْــرَادِ

كَأَنَّمَــا تَــرْقَى بِالاِسْتِعْــدَادِ

وَأدَوَاتُ القَصْــرِ إلاَّ إنَّمَــا

عَطْــفٌ وَتَقْدِيــمٌ كَمَــا تَقَدَّمَــا

البــاب الســادس: في الإنشــاء

مَا لَمْ يَكُــنْ مُحْتَمِــلاً لِلصِّــدْقِ

وَالكَذِبِ الإنْشَا كَــ"كُنْ بِالْحَــقِّ"

وَالطَّلَبُ اسْتِدْعَاءُ مَا لَمْ يَحْصُــلِ

أَقسَامُــهُ كَثِيــرَةٌ سَتَنْجَــلِي

أَمْــرٌ وَنَــهْيٌ وَدُعَــاءٌ وَنِــدَا

تَمَــنٍّ اسْتِفْهَامٌ اعْطِيــتَ الهُــدَى

وَاسْتَعْمَلُوا كَلَيْتَ لَوْ وَهَلْ لَعَــلّ

وَحَرْفَ حَضٍّ وَلِلاِسْتِفْهَــامِ هَــلْ

أيٌّ مَتَى أَيَّــانَ أَيْــنَ مَــنْ وَمَــا

وَكَيْــفَ أَنَّى كَمْ وَهَمْــزٌ عُلِمَــا

وَالهَمْــزُ لِلتَّصْدِيــقِ وَالتَّصَــوُّرِ

وَبِالَّــذِي يَلِيــهِ مَعْنَــاهُ حَــرِي

وَهَلْ لِتَصْدِيــقِ بعَكْــسِ مَا غَبَـرْ
وَلَفْــظُ الاِسْتِفْهَــامِ رُبَّمَــا عَبَـرْ

لأمْــرِ اسْتِبْطَـــاءِ أوْ تَقْرِيــرِ
تَعَجُّـــبٍ تَهَكُّـــمٍ تحْقِيـــرِ

تَنْبِيــهٍ اسْتِبْعَــادٍ أوْ تَرْهِيــبِ
إنْكَــارِ ذِي تَوْبِيــخٍ أوْ تَكْذِيــبِ

قَدْ يَــجِي أمْـراً وَنَهْيـاً وَنِــدَا
فِي غَيْــرِ مَعْنَــاهُ لأمْــرٍ قُصِــدَا

وَصِيغَــةُ الإخْبَارِ تَــأتِي لِلطَّلَــبْ
لِفَــالٍ أوْ حِرْصٍ وَحَمْــلٍ وَأدَبْ

الباب السابع: الفصل والوصل

الفَصْــلُ تَرْكُ عَطْفِ جُمْلَةٍ أتَــتْ
مِنْ بَعْدِ أُخْرَى عَكْسَ وَصْلٍ قَدْ ثَبَتْ

فَافْصِــلْ لَدَى التَوْكِيدِ وَالإبْــدَالِ
لِنُكْتَـــةٍ وَنِيَّـــةِ السُّـــؤَالِ

وَعَدَمِ التَّشْرِيكِ فِي حُكْمٍ جَـرَى
أوِ اخْتِــلاَفٍ طَلَبـاً أوْ خَبَــرَا

وَفَقْــدِ جَامِــعٍ وَمَــعْ إيهَــامِ
عَطْفٍ سِوَى المَقْصُودِ فِي الكَــلاَمِ

وَصِلْ لَدَى التَّشْرِيكِ فِي الإعْـرَابِ

وَقَصْدِ رَفْعِ اللَّبْـسِ فِي الجَـوَابِ

وَفِي اتِّفَـاقٍ مَـعَ الاتِّصَـالِ

فِي عَقْـلٍ أوْ فِي وَهْمٍ أوْ خَيَـالِ

وَالوَصْلُ مَعْ تَنَاسُبٍ فِي اسْمٍ وَفِي

فِعْلٍ وَفَقْدِ مَانِـعٍ قَـدِ اصْطُـفِي

الباب الثامن: الإيجاز والإطناب والمساواة

تَأدِيَـةُ المَعْـنَى بِلَفْـظٍ قَـدْرِهِ

هِيَ المُسَـاوَاةُ كَسِـرْ بِذِكْـرِهِ

وَبِأقَـلَّ مِنْـهُ إيجَـازٌ عُلِـمْ

وَهْوَ إلَى قَصْرٍ وَحَـذْفٍ يَنْقَسِـمْ

كَـ"عَنْ مَجَالِسِ الفُسُوقِ بُعْـدَا

وَلاَ تُصَاحِـبْ فَاسِقـاً فَتَـرْدَى"

وَعَكْسُـهُ يُعْـرَفُ بِالإطْنَـابِ

كَـ"الْزَمْ ــ رَعَاكَ اللّهُ ــ قَرْعَ البَابِ"

يَـجِيءُ بِالإيضَـاحِ بَعْدَ اللَّبْـسِ

لِشَـوْقٍ أوْ تَمَكُّـنٍ فِي النَّفْـسِ

وَجَـاءَ بِالإيغَـالِ وَالتَّذْيِيـلِ

تَكْرِيـرٍ اعْتِـرَاضٍ أوْ تَكْمِيـلِ

يُــدْعَى بِالاِحْتِــرَاسِ وَالتَّتْمِيــمِ
وَقَفْوِ ذِي التَّخْصِيصِ ذَا التَّعْمِيــمِ
وَوَصْمَــةِ الإِخْــلاَلِ وَالتَّطْوِيــلِ
وَالحَشْــوُ مَــرْدُودٌ بِلاَ تَفْصِيــلِ

الفــن الثــاني: علــم البيــان

فَــنُّ البَيَــانِ عِلْمٌ مَا بِهِ عُــرِفْ
تَأْدِيَــةُ المَعْــنَى بِطُرْقٍ مُخْتَلِــفْ
وُضُوحُهَــا وَاحْصُــرْهُ فِي ثَلاَثَــةِ
تَشْبِيــهٍ أوْ مَجَــازٍ أوْ كِنَايَــةِ

فصــل في الدلالــة الوضعيــة

وَالقَصْــدُ بِالدَّلاَلَــةِ الوَضْعِيَّــهْ
عَلَى الأَصَحِّ الفَهْــمُ لاَ الحِسِّيَّــهْ
أقْسَامُهَــا ثَلاَثَــةٌ مُطَابَقَــهْ
تَضَمُّــنٌ الْتِــزَامٌ امَّــا السَّابِقَــهْ
فَهْيَ الحَقِيقَــهْ لَيْسَ فِي فَنِّ البَيَــانِ
بَحْــثٌ لَهَا وَعَكْسُــهُ العَقْلِيَّتَــانِ

البــاب الأول: التشبيـــه

تَشْبِيهُنَـــا دَلاَلَـــةٌ عَلَى اشْتِـــرَاكْ
أمْرَيْـــنِ فِي مَعْـــنًى بِآلَـــةٍ أتَـــاكْ
أرْكَانُـــــهُ أرْبَعَـــــةٌ وَجْـــهٌ أدَاهْ
وَطَرَفَـــاهُ فَاتَّبِـــعْ سُبْـــلَ النَّجَـــاهْ
فَصْـــلٌ وَحِسِّيَّـــانِ مِنْهُ الطَّرَفَـــانْ
أيَضـــاً وَعَقْلِيَّـــانِ أوْ مُخْتَلِفَـــانْ
الوَجْـــهُ مَـــا يَشْتَرِكَـــانِ فِيـــهِ
وَدَاخِـــلاً وَخَارِجَـــا تُلْفِيـــــهِ
وَخَـــارِجٌ وَصْفٌ حَقِيـــقِيٌّ جَـــلاَ
بِحِـــسٍ أوْ عَقْـــلٍ وَنِسْـــبِيٌّ تَـــلاَ
وَوَاحِـــــداً يَكُـــونُ أوْ مُؤَلَّفَـــــا
أوْ مُتَعَـــــدِّداً وَكُـــــلٌّ عُرِفَـــــا
بِحِـــسٍّ أوْ عَقْلٍ وَتَشْبِيـــهٍ نُـــمِي
فِي الضِّـــدِّ وَالتَّلْمِيـــحِ لِلتَّهَكُّـــمِ

فصـــل: في أداة التشبيـــه وغايتـــه وأقسامـــه

أدَاتُـــــهُ كَـــافٌ كَـــأنَّ مِثْـــلُ
وَكُلُّ مَا ضَاهَـــاهُ ثُـــمَّ الأصْـــلُ

إِيـــلاَءُ مَا كَالْكَافِ مَا شُبِّـــهَ بِـــهْ
بِعَكْسِ مَا سِـــوَاهُ فَاعْلَـــمْ وَانْتَبِـــهْ
وَغَايَـــةُ التَشْبِيـــهِ كَشْفُ الحَـــالِ
مِقْـــدَارٍ أَوْ مَكَـــــانٍ أَوْ إِيصَـــالِ
تَزْيِـــــنٍ أَوْ تَشْوِيـــهٍ اهْتِمَـــــامِ
تَنْوِيـــهٍ اسْتِظْـــرَافٍ أَوْ إِيهَـــــامِ
رُجْحَانُـــهُ فِي الوَجْـــهِ بِالمَقْلُـــوبِ
كَـ"اللَّيْثُ مِثْلُ الفَاسِقِ المَصْحُوبِ"
وَبِاعْتِبَـــارِ الطَّرَفَيْـــنِ يَنْقَسِـــمْ
أَرْبَعَـــةً تَرْكِيبـــاً افْـــرَاداً عُلِـــمْ
وَبِاعْتِبَـــارِ عَـــدَدٍ مَلْفُـــوفٍ أَوْ
مَفْـــرُوق أَوْ تَسْوِيَـــةٍ جَمْـــعٍ رَأَوْا
وَبِاعْتِبَـــارِ الوَجْـــــهِ تَمْثِيـــلٌ إِذَا
مِـــنْ مُتَعَـــــدِّدٍ تَـــــرَاهُ أَخِـــذَا
وَبِاعْتِبَـــارِ الوَجْـــهِ أَيْضاً مُجْمَـــلُ
خَـــفِيٌّ أَوْ جَـــلِيٌّ أَوْ مُفَصَّـــــــلُ
وَمِنْـــهُ بِاعْتِبَـــارِهِ أَيْضـــاً قَرِيـــبْ
وَهْوَ جَلِيُّ الوَجْهِ عَكْسُهُ الغَرِيـــبْ
لِكَثْـــرَةِ التَّفْصِيـــلِ أَوْ لِنَـــــدْرَةِ
فِي الذِّهْنِ كَـ"التَّرْتِيبِ فِي كَنُهَيْتِي"
وَبِاعْتِبَـــــارِ آلَـــةٍ مُؤَكَـــدُ
بِحَذْفِهَـــا وَمُرْسَـــلٌ إِذْ تُوجَـــدُ

وَمِنْــهُ مَقْبُــولٌ بغَايَــةٍ يَــفِي
وَعَكْسُــهُ المَــرْدُودُ وَالتَّعَسُّــفِ
وَأَبْلَــغُ التَّشْبِيــهِ مَا مِنْهُ حُــذِفْ
وَجْــهٌ وَآلَــةٌ يَلِيــهِ مَا عُــرِفْ

الباب الثاني: الحقيقة والمجاز

حَقِيقَــةٌ مُسْتَعْمَــلٌ فِيمَا وُضِــعْ
لَهُ بعُــرْفِ ذِي الخِطَــابِ فَاتَّبِــعْ
ثُمَّ المَجَــازُ قَــدْ يَــجِيءُ مُفْــرَدَا
وَقَــدْ يَــجِي مُرَكَّبــاً فَالْمُبْتَــدَا
كَلِمَــةٌ غَايَــرَتِ المَوْضُوعَ مَــعْ
قَرِينَــةٍ لِعُلْقَــــةٍ نِلْــتَ الــوَرَعْ
كَاخْلَعْ نِعَــالَ الكَوْنِ كَيْ تَــرَاهُ
وَغُــضَّ طَرْفَ القَلْبِ عَنْ سِــوَاهُ
كِلاَهُمَــا شَــرْعِيٌّ أَوْ عُــــرْفِيُّ
نَحْــوُ ارْتَقَى لِلْحَضْرَةِ الصُّــوفِيُّ
أَوْ لُغَــوِيٌّ وَالمَجَــازُ مُرْسَــــلُ
أَوِ اسْتِعَــــارَةٌ فَأَمَّــــا الأَوَّلُ
فَمَــا سِــوَى تَشَابُــهٍ عَلاَقَتُــــهْ
جُــزْءٌ وَكُــلٌ أَوْ مَحَــلٌ آلَتُــهْ

ظَرْفٌ وَمَظْرُوفٌ مُسَبَّبٌ سَبَبْ
وَصْفٌ لِمَاضٍ أوْ مَآلٍ مُرْتَقِبْ

فصل في الاستعارات

وَالِاسْتِعَارَةُ مَجَازٌ عُلْقَتُهْ
تَشَابُهٌ كَـ"أسَدٍ شَجَاعَتُهْ"
وَهْيَ مَجَازٌ لُغَةً عَلَى الأصَحْ
وَمُنِعَتْ فِي عَلَمٍ لِمَا اتَّضَحْ
وَفَرْداً أوْ مَعْدُوداً أوْ مُؤَلَّفَا
مِنْهُ قَرِينَةٌ لَهَا قَدْ أُلِفَا
وَمَعْ تَنَافِي طَرَفَيْهَا تَنْتَمِي
إلَى العِنَادِ لاَ الوِفَاقِ فَاعْلَمِ
ثُمَّ العِنَادِيَّةُ تَلْمِيحِيَّهْ
تُلْفَى كَمَا تُلْفَى تَهَكُّمِيَّهْ
وَبِاعْتِبَارِ جَامِعٍ قَرِيبَهْ
كَقَمَرٍ يَقْرَأُ أوْ غَرِيبَهْ
وَبِاعْتِبَارِ جَامِعٍ وَطَرَفَيْنِ
حِسًّا وَعَقْلاً سِتَّةٌ بِغَيْرِ مَيْنِ
وَاللَّفْظُ إنْ جِنْساً فَقُلْ أصْلِيَّهْ
وَتَبَعِيَّةٌ لَدَى الوَصْفِيَّهْ

وَالفِعْلُ وَالحَرْفُ كَحَالِ الصُّــوفِي

يَنْطِــقُ أَنَّــهُ المُنِيــــبُ المُــوفِي

وَأُطْلِقَــتْ وَهْيَ الَّتِي لَمْ تَقْتَــرِنْ

بِوَصْــفٍ أَوْ تَفْرِيعِ أَمْرٍ فَاسْتَبِــنْ

وَجُـــرِّدَتْ بِلاَئِــــقٍ بِالفَصْــلِ

وَرُشِّحَــتْ بِلاَئِــــقٍ بِالأَصْــلِ

نَحْوُ ارْتَــقَى إِلَى سَمَاءِ القُــدْسِ

فَفَــاقَ مَنْ خَلْــفَ أَرْضِ الحِــسِّ

أَبْلَغُهَـــا التَّرْشِيــحُ لاِبْتِنَائِـــــهِ

عَــلَى تَنَــاسِي الشِّبْــهِ وَانْتِفَائِــهِ

فصـــل في التحقيقيـــة والعقليـــة

وَذَاتُ مَعْــنًى ثَابِــتٍ بِحِــسٍ أَوْ

عَقْــــلٍ فَتَحْقِيقِيَّــةٌ كَــذَا رَأَوْا

كَأَشْرَقَــتْ بَصَائِــرُ الصُّوفِيَّـــهْ

بِشَمْسِ نُــورِ الحَضْــرَةِ القُدْسِيَّــهْ

فصـــل في المكنيـــة

وَحَيْـــثُ تَشْبِيهٌ بِنَفْـــسٍ أُضْمِـــرَا

وَمَـــا سِـــوَى مُشَبَّـــهٍ لَمْ يُذْكَـــرَا

وَدَلَّ لازَمٌ لِمَـــا شُبِّـــهَ بِـــهْ

فَذَلِـــكَ التَّشْبِيـــهُ عِنْـــدَ المُنْتَبِـــهْ

يُعْـــــرَفُ باسْتِعَـــارَةِ الكِنَايَـــــةِ

وَذِكْـــــرُ لاَزِمٍ بِتَخْيِيلِيَّـــــةِ

كَأَنْشَبَـــتْ مَنِيَّـــــةٌ أَظْفَارَهَـــــا

وَأَشْرَقَـــتْ حَضْرَتُهَـــا أَنْوَارَهَـــا

فصـــل في تحسيـــن الاستعـــارة

مُحْسِـــــنُ اِسْتِعَـــارَةٍ تَدْرِيـــــهِ

يُـــدْعَى بِوَجْهِ الحُسْـــنِ لِلتَّشْبِيـــهِ

وَالبُعْـــدُ عَنْ رَائِحَـــةِ التَّشْبِيـــهِ فِي

لَفْـــظٍ وَلَيْسَ الوَجْهُ أَلْغَـــازاً قُـــفِي

فصـــل في تركيـــب المجــاز

مُرَكَّـــبُ المَجَـــازِ مَـــا تَحَصَّـــلاَ
فِي نِسْبَـــةٍ أوْ مِثْلِ تَمْثِيـــلٍ جَـــلاَ
وَإنْ أبَى اسْتِعَـــارَةً مُرَكَّـــبُ
فَمَثَـــلاً يُـــدْعَى وَلاَ يُنَكَّـــبُ

فصـــل في تغييـــر الإعــراب

وَمِنْـــهُ مَـــا إعْرَابُـــهُ تَغَيَّـــرَا
بِحَـــذْفِ لَفْـــظٍ أوْ زِيَادَةٍ تُـــرَى

البـــاب الثلـــث: الكنايـــة

لَفْـــظٌ بِـــهِ لاَزِمُ مَعْنَـــاهُ قُصِـــدْ
مَـــعْ جَـــوَازِ قَصْـــدِهِ مَعْهُ يَـــرِدْ
إلَى اخْتِصَاصِ الوَصْفِ بِالْمَوْصُوفِ
كَـــ"الخَيْرُ فِي العُزْلَةِ يَا ذَا الصُّوفِي"
وَنَفْسُ مَوْصُوفٍ وَوَصْفٍ وَالْغَرَضْ
إيضَاحٌ اِخْتِصَارٌ أوْ صَوْنٌ عَـــرَضْ

أوِ انْتِفَـــاءِ اللَّفْـــظِ لِاسْتِهْجَـــانِ
وَنَحْـــوِهِ كَـ"اللَّمْـــسِ وَالإِتْيَـــانِ"

فصـــل في مراتـــب المجـــاز الكـــنى

ثُمَّ المَجَـــازُ وَالكُـــنَى أبْلَـــغُ مِـــنْ
تَصْرِيـــحٍ أوْ حَقِيقَـــةٍ كَذَا زُكِـــنْ
فِي الفَـــنِّ تَقْدِيـــمُ اسْتِعَـــارَةٍ عَلَى
تَشْبِيـــهٍ ايْضـــاً بِاتِّفَـــاقِ العُقَـــلاَ

الفـــن الثالـــث: علـــم البديـــع

عِلْمٌ بِهِ وُجُوهُ تَحْسِيـــنِ الكَـــلاَمْ
يُعْـــرَفُ بَعْدَ رَعْيِ سَابِـــقِ المَـــرَامْ
ثُـــمَّ وُجُـــوهُ حُسْنِـــهِ ضَرْبَـــانِ
بِحَسَـــبِ الألْفَـــاظِ وَالمَعَـــانِي

الضـــرب الأول: المعنـــوي

وَعُـــدَّ مِـــنْ ألْقَابِـــهِ المُطَابَقَـــهْ
تَشَابُـــهُ الأطْـــرَافِ وَالمُوَافَقَـــهْ

وَالعَكْسُ وَالتَّسْهِيمُ وَالْمُشَاكَلَهْ
تَزَاوجٌ رُجُوعٌ أوْ مُقَابَلَهْ
تَوْرِيَةٌ تُدْعَى بِإِيهَامٍ لِمَا
أُرِيدَ مَعْنَاهُ البَعِيدُ مِنْهُمَا
وَرُشِّحَتْ بِمَا يُلائِمُ القَرِيبْ
وَجُرِّدَتْ بِفَقْدِهِ فَكُنْ مُنِيبْ
جَمْعٌ وَتَفْرِيقٌ وَتَقْسِيمٌ وَمَعْ
كِلَيْهِمَا أوْ وَاحِدٍ جَمْعٌ يَقَعْ
وَاللَّفُّ وَالنَّشْرُ وَالاِسْتِخْدَامُ
أيْضاً وَتَجْرِيدٌ لَهُ أقْسَامُ
ثُمَّ المُبَالَغَةُ وَصْفٌ يُدَّعَى
بُلُوغُهُ قَدْراً يُرَى مُمْتَنِعَا
أوْ تَابِعاً وَهْوَ عَلَى أنْحَاءِ
تَبْلِيغٌ إغْرَاقٌ غُلُوٌّ جَائِي
مَقْبُولاً أوْ مَرْدُوداً التَّفْرِيعُ
وَحُسْنُ تَعْلِيلٍ لَهُ تَنْوِيعُ
وَقَدْ أتَوْا فِي المَذْهَبِ الكَلامِي
بِحُجَجٍ كَمَهْيَعِ الكَلامِ
وَأكَّدُوا مَدْحاً بِشِبْهِ الذَّمِّ
كَالْعَكْسِ والإدْمَاجُ مِنْ ذَا العِلْمِ
وَجَاءَ الاِسْتِتْبَاعُ وَالتَّوْجِيهُ مَا
يَحْتَمِلُ الوَجْهَيْنِ عِنْدَ العُلَمَا

وَمِنْهُ قَصْدُ الجَـدِّ بِالْهَـزْلِ كَمَـا

يُثْنِى عَلَى الفَخُورِ ضِدَّ مَا اعْتَمَـا

وَسُـوقُ مَعْلُوم مَسَاقَ مَا جُهِـلْ

لِنُكْتَـةٍ تَجَاهُـلٌ عَنْهُـمْ نُقِـلْ

وَالقَـوْلُ بِالْمُوجِـبِ قُلْ ضَرْبَـانِ

كِلاَهُمَـا فِي الفَـنِّ مَعْلُومَـانِ

وَالاِطِّـرَادُ العَطْـفُ بِالآبَـاءِ

لِلشَّخْـصِ مُطْلَقـاً عَلَى الْـوَلاَءِ

الضـرب الثـاني: اللفـظي

مِنْـهُ الجِنَـاسُ وَهْـوَ ذُو تَمَـامِ

مَـعَ اتِّحَـادِ الحَـرْفِ وَالنِّظَـامِ

وَمُتَمَاثِـلاً دُعِي إِنِ ائْتَلَـفْ

نَوْعٌ وَمُسْتَوْفًى إِذَا النَّوْعُ اخْتَلَـفْ

لَنْ يَعْـرِفَ الوَاحِـدُ إِلاَّ وَاحِـدَا

فَاخْرُجْ عَنِ الكَوْنِ تَكُنْ مُشَاهِـدَا

وَمِنْـهُ ذُو التَّرْكِيـبِ ذُو تَشَابُـهِ

خَطًّـا وَمُفْـرُوقٌ بِـلاَ تَشَابُـهِ

وَإِنْ بِهَيْئَـةِ الحُـرُوفِ اخْتَلَفَـا

فَهْـوَ الَّـذِي يَدْعُونَـهُ الُمحَرَّفَـا

وَنَاقِـــصٌ مَعَ اخْتِلاَفٍ فِي العَـــدَدْ

وَشَـــرْطُ خُلْفِ النَّوْعِ وَاحِدٌ فَقَـــدْ

وَمَـــعْ تَقَـــارُب مُضَارِعـــاً أُلِـــفْ

وَمَعْ تَبَاعُـــدٍ بِلاَحِـــقٍ وُصِـــفْ

وَهْوَ جِنَاسُ القَلْبِ حَيْثُ يَخْتَلِـــفْ

تَرْتِيبُهَـــا لِلْكُلِّ وَالبَعْـــضَ أضِـــفْ

مُجَنَّحـــاً يُـــدْعَى إذَا تَقَاسَمَـــا

بَيْتـــاً فَكَانَـــا فَاتِحـــاً وَخَاتِمَـــا

وَمَـــعْ تَـــوَالِي الطَّرَفَيْـــنِ عُرِفَـــا

مُزْدَوَجـــاً كُـــلٌّ جِنَـــاسٍ أُلِفَـــا

تَنَاسُـــبُ اللَّفْظَيْـــنِ باشْتِقَـــاقِ

وَشِبْهِـــهِ فَـــذَاكَ ذُو الْتِحَـــاقِ

وَيَـــرِدُ التَّجْنِيـــسُ بِالإشَـــارَةِ

مِنْ غَيْـــرِ أنْ يُذْكَـــرَ فِي العِبَـــارَةِ

وَمِنْـــهُ رَدُّ عَجُـــزِ اللَّفْـــظِ عَـــلَى

صَدْرٍ فَـــفِي نَثْـــرٍ بفَقْـــرَةٍ جَـــلاَ

مُكْتَنِفـــاً وَالنَّظْـــمُ الأوَّلْ أوَّلاَ

آخِـــرَ مِصْـــرَاعٍ فَمَا قَبْـــلُ تَـــلاَ

مُكَـــرَّراً مُجَانِســـاً وَمَا الْتَحَـــقْ

يَأْتِي كَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أحَـــقْ

فصـــل في السجــع

وَالسَّجْعُ فِي فَوَاصِـــلٍ فِي النَّثْـــرِ
مُشْبِهَـــــةٍ قَافِيَـــةً فِي الشِّعْـــــرِ
ضُرُوبُـــــهُ ثَلاَثَـــةٌ فِي الفَـــنِّ
مُطَـــرَّفٌ مَعَ اخْتِـــلاَفِ الْـــوَزْنِ
مُرَصَّـــعٌ إنْ كَانَ مَـــا فِي الثَّانِيَـــهْ
أوْ جُلُّـــهُ عَـــلَى وِفَـــاقِ المَاضِيَـــهْ
وَمَـــا سِـــوَاهُ المُتَـــوَازِي فَـــادْرِي
كَـ"سُـــرُرٍ مَرْفُوعَةٍ فِي الذِّكْـــرِ"
أبْلَـــغُ ذَاكَ مُسْتَـــوٍ فَمَـــا يُـــرَى
فِيهِ الْقَرِينَتَيْـــنِ الأخْـــرَى أكْثَـــرَا
وَالعَكْسُ إنْ يَكْثُرْ فَلَيْسَ يَحْسُـــنُ
وَمُطْلَقـــاً أعْجَازُهَـــا تُسَكَّـــــنُ
وَجَعْـــلُ سَجْعٍ كُلَّ شَطْرٍ غَيْرَ مَـــا
فِي الآخَرِ التَّشْطِيـــرُ عِنْدَ الْعُلَمَـــا

فصـــل في الموازنـــة

ثُـــمَّ المُوَازَنَـــةُ وَهْيَ التَّسْوِيَـــهْ
لِفَاصِلٍ فِي الْوَزْنِ لاَ فِي التَّقْفِيَـــهْ

وَهْيَ المُمَاثَلَـــةُ حَيْـــثُ يَتَّفِـــقْ

فِي الوَزْنِ لَفْظٌ فَقْرَتَيْـــهِ فَاسْتَفِـــقْ

وَالقَلْـــبُ وَالتَّشْرِيعُ والْتِـــزَامُ مَـــا

قَبْلَ الـــرَّوِيِّ ذِكْـــرُهُ لَنْ يَلْزَمَـــا

السرقـــــات

وَأخْـــذُ شَاعِـــرٍ كَلاَمـــاَ سَبَقَـــهْ

هُـــوَ الَّـــذِي يَدْعُونَـــهُ بِالسَّرِقَـــهْ

وَكُـــلُّ مَـــا قُـــرِّرَ فِي الأَلْبَـــاب

أوْ عَـــادَةٍ فَلَيْسَ مِـــنْ ذَا البَـــابِ

وَالسَّرِقَـــــاتُ عِنْدَهُـــمْ قِسْمَـــانِ

خَفِيَّـــــةٌ جَلِيَّـــــةٌ وَالثَّـــــانِي

تَضَمُّـــنُ المَعْنَى جَمِيعـــاً مُسْجَـــلاَ

إرَادَةُ انْتِحَـــالِ مَـــا قَـــدْ نُقِـــلاَ

بِحَالِـــــهِ وَأَلْحَقُـــوا المُرَادِفَـــــا

بِـــهِ وَيُـــدْعَى مَـــا أتَى مُخَالِفَـــا

لِنَظْمِـــــهِ إغَـــــارَةً وَحُمِـــــدَا

حَيْـــثُ مِنَ السَّابِقِ كَانَ أجْـــوَدَا

وَأخْـــذُهُ المَعْـــنَى مُجَـــرَّدَا دُعِي

سَلْخـــاً وَإلْمَامـــاً وَتَقْسِيماً فَـــعِي

السرقــة الخفيــة

وَمَا سِــوَى الظَّاهِــرِ إنْ تَغَيَّــرَا
مَعْـــنًى بِوَجْهٍ مَا وَمَحْمُوداً يُــرَى
لِنَقْــلٍ أوْ خَلْــطٍ شُمُولِ الثَّــانِي
وَقَلْــبٍ أوْ تَشَابُــــهِ المَعَــــانِي
أحْوَالُـــــهُ بِحَسَــبِ الخَفَـــاءِ
تَفَاضَلَــتْ فِي الحُسْــنِ وَالثَّنَــاءِ

الاقتبــــاس

وَالاِقْتِبَــاسُ أنْ يُضَمَّــنَ الكَــلاَمُ
قُرْآنــاً أوْ حَدِيثَ سَيِّــدِ الأَنَــامِ
وَالاِقْتِبَــاسُ عِنْدَهُــمْ ضَرْبَــانِ
مُحَـــوَّلٌ وَثَابِــتُ المَعَـــانِي
وَجَائِـــزٌ لِــوَزْنٍ أوْ سِــوَاهُ
تَغْيِيــرُ نَــدْرِ اللَّفْــظِ لاَ مَعْنَــاهُ

التضمين والحل والعقد

وَالأخْذُ مِنْ شِعْرٍ بِحَذْفِ مَا خَفِي
تَضْمِينُهُمْ وَمَا عَلَى الأصْلِ يَفِي
لِنُكْتَةٍ جَلِيَّةٍ وَاغْتُفِرَا
يَسيرُ تَغْيِيرٍ وَمَا مِنْهُ يُرَى
بَيْتاً فَأعْلَى بِاسْتِعَانَةٍ عُرِفْ
وَشَطْراً أو ادْنَى بِإيدَاعٍ أُلِفْ
وَالعَقْدُ نَظْمُ النَّثْرِ لاَ بالإقْتِبَاسْ
وَالحَلُّ نَثْرُ النَّظْمِ فَاعْرِفِ القِيَاسْ
وَاشْتَرَطُوا الشُّهْرَةَ فِي الكَلاَمِ
وَالمَنْعُ أصْلُ مَذْهَبِ الإمَامِ

التلميح

إشَارَةٌ لِقِصَّةٍ شِعْرٍ مَثَلْ
مِنْ غَيْرِ ذِكْرِهِ فَتَلْمِيحٌ كَمَلْ

تذنيـــب بالألقـــاب مـــن الفـــن

مِنْ ذَلِـكَ التَّوْشِيـحُ وَالتَّرْدِيـدُ
تَرْتِيــبٌ اخْتِـرَاعٌ أَوْ تَعْدِيـدُ
كَالتَّائِبُـونَ العَابِدُونَ الحَامِـدُونْ
السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ لسَّاجِـدُونْ
تَطْرِيـزٌ أَوْ تَدْبِيـجٌ اسْتِشْهَـادُ
إِيضَـاحٌ ائْتِـلاَفٌ اسْتِطْـرَادُ
إِحَالَـــةٌ تَلْوِيـحٌ أَوْ تَخْيِيـــلُ
وَفُرْصَـــةٌ تَسْمِيـطٌ أَوْ تَعْلِيـلُ
تَحْلِيَـــةٌ أَوْ نَقْـلٌ أَوْ تَخَتُّـــمُ
تَجْرِيـدٌ اسْتِقْـلاَلٌ أَوْ تَهَكُّـــمُ
تَعْرِيـضٌ أَوْ إِلْغَـــازٌ اِرْتِقَـــاءُ
تَنْزِيـــلٌ أَوْ تَأْنِيـسٌ أَوْ إِيمَـاءُ
حُسْنُ البَيَانِ وَصْفٌ أَوْ مُرَاجَعَـهْ
حُسْـنُ تَخَلُّـصٍ بِـلاَ مُنَازَعَـهْ

فصـــل: فيمـــا لا يعـــد كذبـــا

وَلَيْـسَ فِي الإِيهَـامِ وَالتَّهَكُّـمِ
وَلاَ التَّغَـالِي بِسِــوَى المُحَـرَّمِ

مِنْ كَذِبٍ وَفِي المِـزَاحِ قَدْ لُـزِبْ
بِحَيْثُ لاَ مِنْهُ يُعَـدُّ مِنَ الكَـذِبْ

خاتمــــة

وَيَنْبَـــغِي لِصَاحِـبِ الكَـــلاَمِ
تَأنُّـــقٌ فِي البَـــدْءِ وَالخِتَـــامِ
بِمَطْلَـعٍ حَسَنٍ وَحُسْـنِ الفَـالِ
وَسَبْـكٍ أَوْ بَرَاعَـةِ اسْتِهْـــلاَلِ
وَالحُسْنُ فِي تَخَلُّصٍ أَوِ اقْتِضَـابْ
وَفِي الَّذِي يَدْعُونَهُ فَصْلَ الخِطَـابْ
وَمِنْ سِمَاتِ الحُسْـنِ فِي الخِتَـامِ
إِرْدَافُـــهُ بِمُشْعِـــرِ التَّمَــــامِ
هَــذَا تَمَـامُ الجُمْلَـةِ المَقْصُـودَهْ
مِنْ صِفَـةِ البَلاَغِـةِ المَحْمُـودَهْ
ثُمَّ صَـلاَةُ اللَّـهِ طُـولَ الأمَـدِ
عَلَى النَّـبِيِّ المُصْطَـفَى (مُحَمَّـدِ)
وَآلِـــهِ وَصَحْبِـهِ الأخْيَـــارِ
مَـا غَـرَّدَ المُشْتَـاقُ بِالأسْحَـارِ
وَخَـرَّ سَاجِـداً إِلَى الأذْقَـــانِ
يَبْـغِي وَسِيلَـةً إِلَى الرَّحْمَـــنِ

تَـــمَّ بِشَهْـــرِ الحِجَّـــةِ المَيمُـــــونِ
تَتْمِيـــمُ نِصْفِ عَاشِـــرِ القُـــرُونِ

*****

ثامناً: ــ السلم المرونق:

"السلم المرونق" منظومة من بحر الرجز؛ أنجزها **الأخضري** في 144 بيتاً؛ وقد لخص فيها **"علم المنطق والحكمة"** ببراعة كبيرة؛ بغرض إفادة تلاميذه، وتعليمهم أهم القضايا التي عالجها علم المنطق. وبذلك تتضح مكانة **الأخضري** العلمية والمنهجية. كما قام **الأخضري** ــ بنفسه ــ بإعداد شرح لمنظومة **"السلم المرونق"**. وقد طبع المتن وشرحه معاً في مصر. كما طبعت المنظومة ــ لوحدها ــ عدة مرات في مصر.

وقد تولى ــ أيضاً ــ شرح منظومة **"السلم المرونق"** عدد من علماء المغرب والمشرق كـ: مصر والسودان والهند؛[1] حيث طبعت وتناولها الناس بالحفظ والدرس. ففي المشرق شرحت من قبل: **إبراهيم الباجوري**،[2] **ومحمد الأنبابي**،[3] **ومحمد التفاني**. أما في الجزائر؛ فأهم شرح لمنظومة **"السلم المرونق"** كان

[1] أنظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 2، ص ص: 159 ــ 160.

[2] وهو إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري؛ فقيه شافعي ولد سنة 1198 هـ/1784م؛ في قرية باجور التابعة للمنوفية بمصر؛ وتولى مشيخة الأزهر؛ ثم توفي سنة 1277هـ/1860م. من مؤلفاته أيضاً: "حاشية على مختصر السنوسي" في المنطق، و"التحفة الخيرية" وهي حاشية على الشنشورية في الفرائض، و "تحفة المريد على جوهرة التوحيد"، وغيره.

[3] هو شمس الدين محمد بن محمد بن حسين الأنبابي؛ فقيه شافعي؛ ولد في القاهرة سنة 1240 هـ/1824م، وتوفي بها سنة 1313هـ/1896م؛ تقلد مشيخة الأزهر مرتين؛ من مؤلفاته أيضاً: "حاشية على رسالة الصبان" في البيان، و"تقرير على حاشية السجاعي على شرح القطر لابن هشام" في النحو، وغيره.

من قبل **سعيد بن إبراهيم قدورة**[1]؛ هذا بالإضافة إلى المستشرق الفرنسي **لوسياني**[2]؛ الذي أعد ـ أيضاً ـ تحقيقاً وشرحاً **"للسلم المرونق"**.

وهكذا؛ ففي الوقت الذي يقف علماء آخرون ضد تدريس المنطق والكتابة فيه ـ لاعتقادهم أنه من العلوم العقلية؛ التي تتعارض مع المعتقد الديني ـ نرى **الأخضري** يقف في صف العلماء المتنورين؛ الذين يؤيدون تدريس المنطق؛ لما فيه من فوائد. وقد أشار **الأخضري** بنفسه لهذا الأمر حين قال:

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ أخْرَجَا
نَتَائِجَ الفِكْرِ لأرْبَابِ الحِجَا
وَحَطَّ عَنْهُمْ مِنْ سَمَاءِ العَقْلِ
كُلَّ حِجَابٍ مِنْ سَحَابِ الجَهْلِ
حَتَّى بَدَتْ لَهُمْ شُمُوسُ المَعْرِفَهْ
رَأَوْا مُخَدَّرَاتِهَا مُنْكَشِفَهْ

إلى أن يقول:

(وَبَعْدُ): فَالْمَنْطِقُ لِلْجَنَانِ
نِسْبَتُهُ كَالنَّحْوِ لِلِّسَانِ

---

[1] هو فقيه مالكي ومفتي الجزائر؛ ولد بالجزائر وتوفي بها سنة 1066 هـ/1656م. من مؤلفاته أيضاً: "شرح الصغرى للسنوسي"، و"شرح على جوهرة التوحيد للقاني".

[2] Luciani,J,D. (1851 – 1932). ؛ وهو من علماء القانون؛ ولكنه اهتم بتحقيق ونشر عدد من المخطوطات العربية؛ في الجزائر وباريس.

فَيَعْصِمُ الأفْكَارَ عَنْ غَيِّ الخَطَا

وَعَنْ دَقِيقِ الْفَهْمِ يَكْشِفُ الغِطَا

فَهَاكَ مِنْ أصُولِهِ قَوَاعِدَا

تَجْمَعُ مِنْ فُنُونِهِ فَوَائِدَا

سَمَّيْتُهُ: "بالسُّلَّمِ الْمُرَوْنَقِ"[1]

يُرْقَى بِهِ سَمَاءُ عِلْمِ "الْمَنْطِقِ"

وَاللَّهَ أرْجُو أنْ يَكُونَ خَالِصَا

لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ لَيْسَ قَالِصَا[2]

وَأنْ يَكُونَ نَافِعاً لِلْمُبْتَدِي

بِهِ إلَى الْمُطَوَّلاَتِ يَهْتَدِي

وَالخُلْفُ فِي جَوَازِ الاشْتِغَالِ

بِهِ عَلَى ثَلاَثَةِ أقْوَالِ

فَابْنُ الصَّلاَحِ وَالنَّوَاوِي حَرَّمَا

وَقَالَ قَوْمٌ يَنْبَغِي أنْ يُعْلَمَا

وَالقَوْلَةُ المَشْهُورَةُ الصَّحِيحَهْ

جَوَازُهُ لِكَامِلِ القَرِيحَهْ

مُمَارِسِ السُّنَّةِ وَالكِتَابِ

لِيَهْتَدِي بِهِ إلَى الصَّوَابِ

---

[1] كتب في النسخة التي بين يدي: "السلم المنورق" ويبدو أن ذلك حدث بسبب التصحيف.

[2] أي ليس منقبضاً ولا منكمشاً

فصل: في أنواع العلم الحادث

إدْرَاكُ مُفْرَدٍ تَصَوُّراً عُلِمْ
وَدَرْكُ نِسْبَةٍ بِتَصْدِيقٍ وُسِمْ
وَقَدِّمِ الأوَّلَ عِنْدَ الوَضْعِ
لأَنَّهُ مُقَدَّمٌ بِالطَّبْعِ
وَالنَّظَرِي مَا احْتَاجَ لِلتَّأمُّلِ
وَعَكْسُهُ هُوَ الضَّرُورِيُّ الْجَلِي
وَمَا بِهِ إلَى تَصَوُّرٍ وُصِلْ
يُدْعَى بِقَوْلٍ شَارِحٍ فَلْتَبْتَهِلْ
وَمَا لِتَصْدِيقٍ بِهِ تُوُصِّلاَ
بِحُجَّةٍ يُعْرَفُ عِنْدَ العُقَلاَ

فصل: في أنواع الدلالة الوضعية

دِلاَلَةُ اللَّفْظِ عَلَى مَا وَافَقَهْ
يَدْعُونَهَا دِلاَلَةَ الْمُطَابَقَهْ
وَجُزْئِهِ تَضَمُّناً وَمَا لَزِمْ
فَهْوَ الْتِزَامٌ إنْ بِعَقْلٍ الْتُزِمْ

فصـــل: في مباحـــث الألفـــاظ

مُسْتَعْمَـــلُ الأَلْفَاظِ حَيثُ يُوجَـــدُ

إمَّـــا مُرَكَّـــبٌ وَإمَّـــا مُفْـــرَدُ

فَـــأوَّلٌ مَـــا دَلَّ جُـــزْؤُهُ عَـــلَى

جُـــزْءِ مَعْنَـــاهُ بِعَكْـــسِ مَا تَـــلاَ

وَهْوَ عَلَى قِسْمَيْـــنِ أعْنِي المُفْـــرَدَا

كُـــلِّيٌّ أَوْ جُـــزْئِيٌّ حَيْثُ وُجِـــدَا

فَمُفْهِـــمُ اشْتِـــرَاكِ الكُـــلِّيُّ

كَأسَـــدٍ وعَكْسُـــهُ الجُـــزْئِيُّ

وَأوَّلاً لِلـــذَّاتِ إنْ فِيهَـــا انْـــدَرَجْ

فَانْسُبْـــهُ أوْ لِعَـــارِضٍ إذَا خَـــرَجْ

وَالكُلِّيَاتُ خَمْسَـــةٌ دُونَ انْتِقَـــاصْ

جِنْسٌ وَفَصْلٌ عَرَضٌ نَوْعٌ وَخَـــاصْ

وَأوَّلٌ ثَلاثَـــةٌ بِـــلاَ شَطَـــطْ

جِنْـــسٌ قَرِيبٌ أوْ بَعِيدٌ أوْ وَسَـــطْ

فصـــل في نسبـــة الألفـــاظ للمعـــاني

وَنِسْبَـــةُ الأَلْفَـــاظِ لِلْمَعَـــانِي

خَمْسَـــةُ أقْسَـــامٍ بِـــلاَ نُقْصَـــانِ

تَوَاطُــؤٌ تَشَاكُــكٌ تَخَالُـــفُ
وَالِاشْتِــرَاكُ عَكْسُــهُ التَّــرَادُفُ
وَاللَّفْــظُ إِمَّــا طَلَــبٌ أَوْ خَبَــرُ
وَأَوَّلٌ ثَلاَثَـــةٌ سَتُذْكَـــرُ
أَمْــرٌ مَعَ اسْتِعْلاَ وَعَكْسُــهُ دُعَــا
وَفِي التَّسَــاوِي فَالْتِمَــاسٌ وَقَعَــا

فصــل: في بيــان الكــل والكليــة والجــزء والجزئيــة

الكُــلُّ حُكْمُنَــا عَلَى المَجْمُــوعِ
كَكُــلُّ ذَاكَ لَيْـــسَ ذَا وُقُــوعِ
وَحَيْثُمَــا لِكُــلِّ فَــرْدٍ حُكِمَــا
فَإِنَّــهُ كُلِّيَّـــةٌ قَــدْ عُلِمَــا
وَالحُكْــمُ لِلْبَعْــضِ هُوَ الْجُزْئِيَّــهْ
وَالْجُــزْءُ مَعْرِفَتُـــهُ جَلِيَّــهْ

فصـــل: في المعرفـــات

مُعَــرِّفٌ عَــلَى ثَلاَثَــةٍ قُسِــمْ
حَــدٌّ وَرَسْــمِيٌّ وَلَفْــظِيٌّ عُلِــمْ

فَالْحَــدُّ بِالْجِنْــسِ وَفَصْلٍ وَقَعَــا

والرســم بالجنــس وخاصة معــا

وَنَاقِــصُ الحَــدِّ بِفَصْلٍ أَوْ مَعَــا

جِنْـسٍ بَعِيــدٍ لاَ قَرِيــبٍ وَقَعَــا

وَنَاقِــصُ الرَّسْمِ بِخَاصَّــةٍ فَقَــطْ

أَوْ مَعَ جِنْــسٍ أَبْعَــدٍ قَدِ ارْتَبَــطْ

وَمَــا بِلَفْــظِيٍّ لَدَيْهِــمْ شُهِــرَا

تَبْدِيــلُ لَفْــظٍ بِرَدِيــفٍ أَشْهَــرَا

وَشَــرْطُ كُلٍّ أَنْ يُــرَى مُطَّــرِدَا

مُنْعَكِســاً وَظَاهِــراً لاَ أَبْعَــدَا

وَلاَ مُسَاوِيــاً وَلاَ تَجَــوُّزَا

بِــلاَ قَرِينَـــةٍ بِهَــا تُحِــرِّزَا

وَلاَ بِمَــا يُــدْرَى بِمَحْــدُودٍ وَلاَ

مُشْتَــرِكٍ مِــنَ القَرِينَــةِ خَــلاَ

وَعِنْدَهُــمْ مِــنْ جُمْلَــةِ المَــرْدُودِ

أَنْ تَدْخُــلَ الأَحْكَامُ فِي الحُــدُودِ

وَلاَ يَجُوزُ فِي الحُــدُودِ ذِكْــرُ أَوْ

وَجَائِــزٌ فِي الرَّسْمِ فَــادْرِ مَا رَوَوْا

بـــاب القضايـــا وأحكامهـــا

مَا احْتَمَلَ الصِّدْقَ لِذَاتِــهِ جَــرَى
بَيْنَهُــــمُ قَضِيَّـــــةٌ وَخَبَــــرَا

ثُــمَّ القَضَايَـــا عِنْدَهُـــمْ قِسْمَــانِ
شَرْطِيَّـــــةٌ حَمْلِيَّـــةٌ وَالثَّـــانِي

كُلِّيَـــــةٌ شَخْصِيَّـــــةٌ وَالأوَّلُ
إمَّـــا مُسَــوَّرٌ وَإمَّـــا مُهْمَـــــلُ

وَالسُّــورُ كُلِّيًّـــا وَجُزْئِيًّـــا يُـــرَى
وَأرْبَـــعٌ أقْسَامُـــهُ حَيْثُ جَـــرَى

إمَّـــا بِكُـــلٍّ أوْ بِبَعْـــضٍ أوْ بِـــلاَ
شَيْءٍ وَلَيْسَ بَعْضُ أوْ شِبْهِ جَـــلاَ

وَكُلُّهَـــا مُوجَبَـــةٌ وَسَالِبَــــهْ
فَهْيَ إذَنْ إلَى الثَّمَـــــانِ آيِـــــهْ

وَالأوَّلُ المَوْضُـــوعُ فِي الحَمْلِيَّـــهْ
وَالآخِـــرُ المَحْمُـــولُ بِالسَّوِيَّـــــهْ

وَإنْ عَلَى التَّعْلِيـــقِ فِيهَا قَدْ حُكِـــمْ
فَإنَّهَــــا شَرْطِيَّـــــةٌ وَتَنْقَسِـــــمْ

أيْضـــاً إلَى شَرْطِيَّـــةٍ مُتَّصِلَــــهْ
وَمِثْلُهَـــا شَرْطِيَّـــةٌ مُنْفَصِلَــــــهْ

جُزْآهُمَـــا مُقَـــدَّمٌ وَتَـــالِي

أَمَّـــا بَيَـــانُ ذَاتِ الاِتِّصَـــالِ

مَـــا أوْجَبَـــتْ تَـــلاَزُمَ الجُزْأيْـــنِ

وَذَاتُ الاِنْفِصَـــالِ دُونَ مَيْـــنِ

مَـــا أوْجَبَـــتْ تَنَافُـــراً بَيْنَهُمَـــا

أقْسَامُهَـــا ثَلاَثَـــةٌ فَالْتُعْلَمَـــا

مَانِـــعُ جَمْـــعٍ أوْ خُلُـــوٍّ أوْ هُمَـــا

وَهْوَ الحَقِيـــقِيُّ الأخَصُّ فَاعْلَمَـــا

فصـــل: في التناقـــض

تَنَاقُـــضٌ خُلْـــفُ القَضِيَّتَيْـــنِ فِي

كَيْـــفٍ وَصِدْقُ وَاحِدٍ أمْرٌ قُـــفِي

فَـــإنْ تَكُنْ شَخْصِيَّـــةً أوْ مُهْمَلَـــهْ

فَنَقْضُهَـــا بِالْكَيْـــفِ أنْ تُبَدِّلَـــهْ

وَإنْ تَكُـــنْ مَحْصُـــورَةً بِالسُّـــورِ

فَانْقُضْ بِضِـــدِّ سُورِهَا المَذْكُـــورِ

وَإنْ تَكُـــنْ مُوجَبَـــةً كُلِّيَّـــهْ

نَقِيضُهَـــا سَالِبَـــةٌ جُزْئِيَّـــهْ

وَإنْ تَكُـــنْ سَالِبَـــةً كُلِّيَّـــهْ

نَقِيضُهَـــا مُوجِبَـــةٌ جُزْئِيَّـــهْ

فصـــل: في العكـــس المستـــوي

الْعَكْـــسُ قَلْبُ جُــزْأَيِ الْقَضِيَّـــهْ
مَــعَ بَقَــاءِ الصِّــدْقِ وَالْكَيْفِيَّـــهْ
وَالْكَــمِّ إِلاَّ الْمُوجَــبَ الْكُلِّيَّـــــهْ
فَعَوْضُهَـــا الْمُوجَبَـــةُ الْجُزْئِيَّـــــهْ
وَالْعَكْـــسُ لاَزِمٌ لِغَيْـــرِ مَا وُجِـــدْ
بِــهِ اجْتِمَاعُ الْخِسَّتَيْـــنِ فَاقْتَصِـــدْ
وَمِثْلُهَـــا الْمُهْمَلَـــةُ السَّلْبِيَّـــهْ
لأَنَّهَـــا فِي قُـــوَّةِ الْجُزْئِيَّـــــهْ
وَالْعَكْـــسُ فِي مُرَتَّـــبٍ بِالطَّبْـــعِ
وَلَيْـــسَ فِي مُرَتَّـــــبٍ بِالْوَضْـــعِ

بـــاب: في القيـــــاس

إِنَّ الْقِيَـــاسَ مِنْ قَضَايَـــا صُـــوِّرَا
مُسْتَلْزِمـــاً بِالـــذَّاتِ قَوْلاً آخَـــرَا
ثُـــمَّ الْقِيَـــاسُ عِنْدَهُـــمْ قِسْمَـــانِ
فَمِنْــهُ مَـــا يُـــدْعَى بِالاِقْتِـــرَانِي

وَهْوَ الَّـــذِي دَلَّ عَـــلَى النَّتِيجَـــةِ

بِقُـــــوَّةٍ وَاخْتَـــصَّ بِالْحَمْلِيَّـــةِ

فَـــإِنْ تُـــرِدْ تَرْكِيبَـــهُ فَرَكِّبَـــا

مُقَدِّمَاتِـــــهِ عَـــلَى مَا وَجَبَـــا

وَرَتِّـــبِ الْمُقَدِّمَـــاتِ وَانْظُـــرَا

صَحِيحَهَـــا مِنْ فَاسِـــدٍ مُخْتَبِـــرَا

فَـــإِنَّ لاَزِمَ الْمُقَدِّمَـــاتِ

بِحَسَـــبِ الْمُقَدِّمَـــاتِ آتِ

وَمَـــا مِـــنَ الْمُقَدِّمَـــاتِ صُغْـــرَى

فَيَجِـــبُ انْدِرَاجُهَـــا فِي الكُبْـــرَى

وَذَاتُ حَـــدٍّ أَصْغَـــرٍ صُغْرَاهُمَـــا

وَذَاتُ حَـــدٍّ أَكْبَـــرٍ كُبْرَاهُمَـــا

وَأَصْغَـــرٌ فَـــذَاكَ ذُو انْـــدِرَاجِ

وَوَسَـــطٌ يُلْـــغَى لَـــدَى الإِنْتَـــاجِ

فصـــل: في الأشكـــال

الشَّكْـــلُ عِنْـــدَ هَـــؤُلاَءِ النَّـــاسِ

يُطْلَـــقُ عَـــنْ قَضِيَّـــتَيْ قِيَـــاسِ

مِـــنْ غَيْـــرِ أَنْ تُعْتَبَـــرَ الأَسْـــوَارُ

إِذْ ذَاكَ بِالضَّـــرْبِ لَـــهُ يُشَـــارُ

وَلِلْمُقَدِّمَاتِ أَشْكَالٌ فَقَطْ

أَرْبَعَةٌ بِحَسَبِ الحَدِّ الوَسَطْ

حَمْلٌ بِصُغْرَى وَضْعُهُ بِكُبْرَى

يُدْعَى بِشَكْلٍ أَوَّلٍ وَيُدْرَى

وَحَمْلُهُ فِي الكُلِّ ثَانِياً عُرِفْ

وَوَضْعُهُ فِي الكُلِّ ثَالِثاً أُلِفْ

وَرَابِعُ الأَشْكَالِ عَكْسُ الأَوَّلِ

وَهْيَ عَلَى التَّرْتِيبِ فِي التَّكَمُّلِ

فَحَيْثُ عَنْ هَذَا النِّظَامِ يُعْدَلُ

فَفَاسِدُ النِّظَامِ أَمَّا الأَوَّلُ

فَشَرْطُهُ الإِيجَابُ فِي صُغْرَاهُ

وَأَنْ تُرَى كُلِّيَّةً كُبْرَاهُ

وَالثَّانِي أَنْ يَخْتَلِفَا فِي الكَيْفِ مَعْ

كُلِّيَةِ الكُبْرَى لَهُ شَرْطٌ وَقَعْ

وَالثَّالِثُ الإِيجَابُ فِي صُغْرَاهُمَا

وَأَنْ تُرَى كُلِّيَّةً إِحْدَاهُمَا

وَرَابِعٌ عَدَمُ جَمْعِ الخِسَّتَيْنِ

إِلاَّ بِصُورَةٍ فَفِيهَا تَسْتَبِينْ

صُغْرَاهُمَا مُوجَبَةٌ جُزْئِيَّهْ

كُبْرَاهُمَا سَالِبَةٌ كُلِّيَّهْ

فَمُنْتِجٌ لأَوَّلٍ أَرْبَعَةُ

كَالثَّانِ ثُمَّ ثَالِثٌ فَسِتَّةُ

وَرَابِــعٌ بِخَمْسَــةٍ قَــدْ أَنْتَجَــا

وَغَيْــرُ مَا ذَكَرْتُــهُ لَــنْ يُنْتِجَــا

وَتَتْبَــعُ النَّتِيجَــةُ الأَخَــسَّ مِــنْ

تِلْــكَ المُقَدِّمَــاتِ هَكَذَا زُكِــنْ

وَهَــذِهِ الأَشْكَــالُ بِالْحَمْــلِيِّ

مُخْتَصَّــةٌ وَلَيْــسَ بِالشَّــرْطِيِّ

وَالْحَــذْفُ فِي بَعْضِ الْمُقَدِّمَــاتِ

أَوِ النَّتِيجَـــةِ لِعِلْــمٍ آتِ

وَتَنْتَــهِي إِلَى ضَــرُورَةٍ لِمَــا

مِــنْ دَوْرٍ أَوْ تَسَلْسُــلٍ قَدْ لَزِمَــا

في القيــاس الاستثنــائي

وَمِنْــهُ مَــا يُــدْعَى بِالاِسْتِثْنَــائِي

يُعْرَفُ بِالشَّــرْطِي بِــلاَ امْتِــرَاءِ

وَهْــوَ الَّــذِي دَلَّ عَلَى النَّتِيجَــةِ

أَوْ ضِدِّهَــا بِالفِعْــلِ لاَ بِالقُــوَّةِ

فَــإِنْ يَــكُ الشَّرْطِيُّ ذَا اتِّصَــالِ

أَنْتَــجَ وَضْعُ ذَاكَ وَضْــعَ التَّــالِي

وَرَفْــعُ تَــالٍ رَفْــعَ أَوَّلٍ وَلاَ

يَلْــزَمُ فِي عَكْسِهِمَا لِمَا انْجَــلَى

وَإنْ يَكُـــنْ مُنْفَصِـــلاً فَوَضْـــعُ ذَا

يُنْتِـــجُ رَفْـــعَ ذَاكَ وَالعَكْسُ كَـــذَا

وَذَاكَ فِي الأخَـــصِّ ثُمَّ إنْ يَكُـــنْ

مَانِـــعَ جَمْـــعٍ فَبِوَضْعِ ذَا رُكِـــنْ

رَفْـــعٌ لِـــذَاكَ دُونَ عَكْـــسٍ وَإذَا

مَانِـــعَ رَفْعٍ كَانَ فَهْوَ عَكْـــسُ ذَا

فصـــل: في لواحـــق القيـــاس

وَمِنْـــهُ مَـــا يَدْعُونَـــهُ مُرَكَّبَـــا

لِكَوْنِـــهِ مِنْ حُجَـــجٍ قَـــدْ رُكِّبَـــا

فَرَكِّبَنْـــهُ إنْ تُـــرِدْ أنْ تَعْلَمَـــــهْ

وَاقْلِـــبْ نَتِيجَـــةً بِـــهِ مُقَدَّمَـــــهْ

يَلْـــزَمُ مِـــنْ تَرْكِيبِهَـــا بِأخْـــرَى

نَتِيجَـــــةٌ إلَى هَلُـــــمَّ جَـــــرَّا

مُتَّصِـــلُ النَّتَائِـــجِ الَّـــذِي حَـــوَى

يَكُـــونُ أوْ مَفْصُولُهَـــا كُلٌّ سَـــوَا

وَإنْ بِجُـــزْئِيٍّ عَلَى كُلِّيٍّ اسْتُـــدِلّْ

فَذَا بِالاِسْتِقْـــرَاءِ عِنْدَهُـــمْ عُقِـــلْ

وَعَكْسُـــهُ يُدْعَى القِيَاسَ المَنْطِـــقِي

وَهْـــوَ الَّـــذِي قَدَّمْتُـــهُ فَحَقِّـــقِ

وَحَيْثُ جُـــزْئِيٌّ عَلَى جُزْءِ حُمِــلْ

لِجَامِـعٍ فَــذَاكَ تَمْثِيــلٌ جُعِــلْ

وَلاَ يُفِيــــدُ القَطْــعَ بِالدَّلِيــــلِ

قِيَــاسُ الاِسْتِقْــرَاءِ وَالتَّمْثِيـــــلِ

أقســام الحجـــة

وَحُجَّـــــةٌ نَقْلِيَّـــــةٌ عَقْلِيَّـــــهْ

أَقْسَــامُ هَــذِي خَمْسَــةٌ جَلِيَّــهْ

خَطَابَــةٌ شِعْرٌ وَبُرْهَــانٌ جَــدَلْ

وَخَامِسٌ سَفْسَطَةٌ نِلْــتَ الأَمَــلْ

أَجَلُّهَــا البُرْهَــانُ مَا أُلِّــفَ مِنْ

مُقَدِّمَــاتٍ بِالْيَقِيـــنِ تَقْتَـــرِنْ

مِــنْ أَوَّلِيَّـــاتٍ مُشَاهَـــدَاتِ

مُجَرَّبَـــــاتٍ مُتَوَاتِـــــرَاتِ

وَحَدَسِيَـــاتٍ وَمَحْسُوسَـــاتِ

فَتِلْــكَ جُمْلَــةُ اليَقِينِيَّـــاتِ

وَفِي دِلاَلَـــةِ المُقَدِّمَـــاتِ

عَــلَى النَّتِيجَـــةِ خِــلاَفٌ آتِ

عَقْــلِيٌّ أَوْ عَــادِيٌّ أَوْ تَوَلُّـــدُ

أَوْ وَاجِـــبٌ وَالأَوَّلُ المُؤَيَّـــدُ

خاتمــــــــة

وَخطَـــأُ البُرْهَـــانِ حَيْثُ وُجِـــدَا

فِي مَـــادَةٍ أوْ صُـــورَةٍ فَالْمُبْتَـــدَا

فِي اللّفْظِ كَاشْتِرَاكٍ أوْ كَجَعْـــلِ ذَا

تَبَايُـــنٍ مِثْـــلَ الرَّدِيـــفِ مَأخَـــذَا

وَفِي المَعَـــانِي لاِلْتِبَـــاسِ الكَاذِبَـــهْ

بِـــذَاتِ صِـــدْق فَافْهَـــمِ المُخَاطَبَـــهْ

كَمِثْـــلِ جَعْلِ العَـــرَضِي كَالذَّاتِي

أوْ نَاتِـــجٍ إحْـــدَى المُقَدِّمَــــاتِ

وَالحُكْـــمِ لِلْجنْسِ بِحُكْمِ النَّـــوْعِ

وَجَعْـــلُ القَطْعِيِّ غَيْـــرَ القَطْـــعِي

وَالثَّـــانِي كَالْخُرُوجِ عَنْ أشْكَالِـــهِ

وَتَرْكُ شَرْطِ النَّتْـــجِ مِنْ إكْمَالِـــهِ

هَـــذَا تَمَـــامُ الغَـــرَضِ المَقْصُـــودِ

مِنْ أُمَّهَـــاتِ المَنْطِـــقِ المَحْمُـــودِ

قَـــدِ انْتَـــهَى بِحَمْـــدِ رَبِّ الفَلَـــقِ

مَا رُمْتُـــهُ مِنْ فَنِّ عِلْـــمِ المَنْطِـــقِ

نَظَمَـــهُ العَبْـــدُ الذَّلِيـــلُ المُفْتَقِـــرْ

لِرَحْمَـــةِ المَوْلَى العَظِيـــمِ المُقْتَـــدِرْ

الأَخْضَـرِيُّ (عَابِـدُ الرَّحْمَـــنِ)

المُرْتَـجِي مِـنْ رَبِّـه المَنَّــانِ

مَغْفِــرَةً تُحِيـطُ بِالذُّنُــوبِ

وَتَكْشِـفُ الغِطَـا عَنِ القُلُـوبِ

وَأنْ يُثِيبَنَــا بجَنَّــةِ العُــلاَ

فَإنَّــهُ أكْـرَمُ مَــنْ تَفَضَّــلاَ

وَكُنْ أخِي لِلْمُبْتَـدِي مُسَامِحـاً

وَكُنْ لإصْـلاَحِ الفَسَادِ نَاصِحـاً

وَأصْلِــحِ الفَسَـادَ بِالتَّأمُّـلِ

وَإنْ بَدِيهَــةً فَــلاَ تُبَــدِّلِ

إذْ قِيلَ كَـمْ مُزَيِّـفٍ صَحِيحـاً

لأجْلِ كَـوْنِ فَهْمِـهِ قَبِيحــاً

وَقُلْ لِمَنْ لَمْ يَنْتَصِـفْ لِمَقْصَـدِي

العُـذْرُ حَقٌ وَاجِـبٌ لِلْمُبْتَـدِي

وَلِبُـنَيِّ احْدَى وَعِشْرِيـنَ سَنَـهْ

مَعْــذِرَةٌ مَقْبُولَــةٌ مُسْتَحْسَنَــهْ

لاَ سِيَّمَــا فِي عَاشِـرِ القُــرُونِ

ذِي الجَهْـلِ وَالفَسَـادِ وَالفُتُـونِ

وَكَــانَ فِي أوَائِــلِ المُحَــرَّمِ

تَألِيــفُ هَذَا الرَّجَــزِ المُنَظَّــمِ

مِــنْ سَنَــةِ إحْــدَى وَأرْبَعِيــنَ

مِــنْ بَعْــدِ تِسْعَــةٍ مِــنَ المِئِيــنَ

ثُــمَّ الصَّــلاَةُ وَالسَّــلاَمُ سَرْمَــدَا
عَلَى رَسُولِ اللَّــهِ خَيْرِ مَنْ هَــدَى
وَآلِــــهِ وَصَحْبِــــهِ الثِّقَـــاتِ
السَّالِكِيــنَ سُبُــــلَ النَّجَـــاةِ
مَا قَطَعَــتْ شَمْسُ النَّهَارِ أَبْرُجَــا
وَطَلَعَ البَــدْرُ الْمنِيــرُ فِي الــدُّجَى

*****

تاسعــاً: ـــ منظومــة الســراج في علــم الفلــك:

وهـذه المنظومـة المسمـاة بـ **"الســراج"** في الفلــك. وجـدت مـن شرحهــا؛ لأهميتهــا وفوائدهــا؛ إذ تــولى شرحهــا تلميــذ **الأخضــري**؛ وهــو **عبــد العزيــز بــن أحمــد ابــن مسلــم الفــارسي**، ثــم تــلاه الشيــخ **سحنــون بــن عثمــان الميــدوي الونشريــسي**؛ الــذي شــرح أيضــاً منظومــة **"الســراج"** تحــت عنــوان **"مفيــد المحتــاج في شــرح الســراج"** وقــد طبــع في **مصــر** سنــة 1324 هــ/1906م. وفي الجزائــر بواسطــة المطبعــة الثعالبيــة. كمــا طبــع المتــن وشرحــه في الجزائــر أيضــاً. وبعدهــا تعــددت الشــروح عــلى الســراج مــروراً بشــرح **سحنــون الونشريــسي**. ومــن بيــن تلــك الشــروح **"جوهــر المحتــاج في شــرح الســراج"**.

ويفتتح **الأخضري** منظومته هذه هكذا:

الحمد لله العلي الحق	المالك الوهاب رب الخلق
نحمده جل على الأنعام	بنعمة الإيمان والإسلام
ثم الصلاة على محمد	خير الورى المشرف الممجد
وآله وصحبه وعترته	وكل من وقره من أمته
وبعد فاعلم أن علم الفلك	علم عزيز من أجل مسلك
أعني الذي تدري به الأوقات	والفجر والقبلة والساعات
وما به تطرق للغيب	فذلك الحرام دون ريب
واعلم بأن العلم بالنجوم	علم شريف ليس بالمذموم
لأنه يفيد في الأوقات	كالفجر والأسحار والساعات
وهكذا يليق بالعباد	حين قيامهم إلى الأوراد
فليس يدري جاهل ما قد قضى	في الليل جملة فربما انقضى
فهاك منه ضابطا يا من سلك	سميته السراج في علم الفلك
وقد بدأت يا أخي هذا الكتاب	بنبذ لطيفة من الحساب
وإنما بالله أستعين	بأنه المهيمن المعين

فصل

واعلم أن الجهل بالأوقات	جهل بأمر الصوم والصلاة
فالعلم بالأوقات فرض يقبل	لأَنَّهُ بِهِ يَتِمُّ الْعَمَلُ

فأول الظهر الزوال قد عرف ... وقامة للعصر بعد ما ألف

والمغرب الغروب وقت متحد ... وللعشاء شفق إذا فقد

والفجر بالفجر الأخير الصادق ... المستطيل الضوء في المشارق

والأول الكاذب بالعيان ... مرتفع كذنب السرحان

ومستطيل الضوء كالغمامة ... تعرفه بهذه العلامة

يغتر كل جاهل وغافل ... به ويدريه اللبيب العاقل

فصل في معرفة ساعات النهار بالأقدام

وتعرف الساعات بالأقدام ... في جملة الشهور والأيام

فالساعة الأولى (بكد) تعرف ... وبعدها التي (بيب) توصف

لثالث الساعات ست يا فتى ... رابعها ثلاثة كذا أتى

وقدمان يا فتى للخامسة ... وقدم منفرد للسادسة

وسابع الساعات مثل السادسة ... وثامن الساعات مثل الخامسة

وهكذا اعكس ما بقى واعتبر ... واجمع إلى الزوال كل ما ذكر

واعرف حروفه وهي اثنا عشر ... يحود جب بجد وحي تعتبر

لكل شهر واحد منها علم ... واقسم على أيامه نقطا فهم

وهكذا في النقص والزيادة ... وذاك ما قد اقتضته العادة

والاعتدال يوم يويا فتى ... من مارس واشتنبر قد ثبتا

كذا رجوع الشمس من دجنبرا ... وشهر ينيه فكن معتبرا

فصل

للعصر سبعة من الأقدام مع الزوال جملة الأيام

وما بقى من النهار قد عرف ثلاث ساعات خلا سدساً ألف

وزد على ظل الزوال قدماً للظهر مع نصف وربع فاعلما

فصل في نُبَذٍ مِنَ الحساب

ويدخل الربيع من فبرايرا ليلة يه فالتكن مثايرا

ليز ميب يدخل المصيف ومثله من غشتج الخريف

ويدخل الشتاء في نونبرا ليلة يو فاستمع ودبرا

فصل

ويعرف المجهول في الأيام بقدر حرف الشهر والأيام

خذ ما مضى من شهرك العجمي وزد عليه نقط حرفه الذي عهد

واطرحه طرح سبعة فما بقي سبعاً أو أدنى فاستمع وحقق

فابدأ به من يوم ذاك العام فما انتهى فيه من الأيام

فذاك عين يومك المجهول وكالشهور جملة الفصول

فصـــل في معرفـــة السنـــة الكبيســـة

ودخـــل النيـــروز بالثلاثـــــة   في سنة الكبس فخـــذ مقالـــة

عـــام ثمـــان وثلاثيـــن سنـــــة   مـــن بعـــد تسعمائـــة مبينـــة

فاحسب وكبس خامس الأعوام   من سنة الكبس على الـــدوام

حـــتى إذا بلغـــت عـــام نـــد   وعـــام فـــز فازدلـــف وعـــد

عامـــا وصير سادس الأعـــوام   مثـــل الكبيس فاستمع كـــلام

وفيه وجه آخر فاعلـــم ذكـــر   فخذ سنين هجرة بالمنكســـر

واطرح من المجمـــوع قـــل خمسيـــن   وأربعـــاً فاعلـــم من المئيـــن

واضرب في ياء ما بـــقي فما اجتمـــع   فاطرح ثلاثين ثلاثيـــن تطـــع

وما بـــقي أقل من طرح فـــإن   تجاوز العشر فكبس قد زكـــن

اسقط لذي القرنين نقط شيـــن   ونقط عـــا مع نقـــط سيـــن

وما بقي فاطرحه طـــرح أربـــع   فإن بـــقى طرح فكبس فلتـــع

وعدة الحســـوم سبـــع تدخـــل   ليلـــة **يـــاء** من ربيع تقبـــل

وتدخـــل الليـــالي منه دجنبـــرا   ليلة **يـــب** منه كـــن معتبـــرا

وهكـــذا السمائـــم المشهـــورة   من شهر **يليـــز** كذا مذكورة

ويدخـــل النيســـان من أبريـــلا   ليلة **كـــز** فاعرف الدليـــلا

وهي سبعـــــة مـــن الليـــالي   وغيثهـــا مبـــارك ذو بـــــال

وعاشـــوراء عاشـــر المحـــرم   وقيـــل يوم تاســـع فالتعلـــم

وكان مولد الرســـول الصـــادق   ليلة **يـــب** من ربيـــع السابـــق

ومولـــد المسيـــح من دجنبـــرا   ليلة **كـــد** منه قدمـــا شهـــرا

واعلـم بـأن السبعـة الأيـام   المبتـغى صيامهـا في العـام
ليلـة **يـه** كان من شعبانـا   ويوم **كـز** من رجب قد كانا
لأن فيـه بعـث الرسـول   صـلى عليـه ربنـا الجليـل
وثالث الأيام **يـه** ذي القعـدة   كـذاك يوم تاسـع للحجـة
ومثـل ذاك ثالـث المحـرم   وعاشـر له فحصـل واعلـم

فصـل في معرفـة سنيـن ذي القرنيـن

وإن ترد سنيـن ذي القرنيـن   خـذ ما لهجرة من السنيـن
وعامـك الموجود إن به دخـل   اكتبرج فاحسبه وإلا فاختـزل
ثـم تـرد أعجميـة أجـل   فواحد من كل **لـج** يختـزل
وما يرى أدنى فلا إسقـاط فيـه   وما بقي من بعد ذا فزد عليـه
من النين قـدر **غيـن** مع **لـج**   ثم لذي القرنين كلما خـرج

فصـل في معرفـة أول يـوم مـن الشهـر العـربي

وإن تـرد أول يـوم الشهـر   العـربي فاستمـع لشعـري
خذ نقط حرف شهرك الـذي فقـد   وابدأ بيوم عامك الذي عهـد
فحيث ما قد انتهى لك العـدد   فذاك يوم الشهر فاستمع تفـد
حروفـه **أجـد وزبجهو أبـد**   لكل شهر واحد نلت العـدد
وعـدة الشهـور الأعجميـة   خذهـا إليـك جملـة جليـة

يناير مارس مايه يليه قل	غشت اكتبر دجنبر نقل
لاء لها فبراير **كح** شهر	واجعل ثلاثين لغير ما ذكر
فصل وإن ترد يا صاح تعقل	بأي يوم كل شهر يدخل
خذ نقط حرف شهرك المقصود	وابدأ بيوم عامك المعهود
فحيث ما انتهى لك التعداد	فذاك يوم شهرك المراد
حروفه **أددز به زجود حو**	لكل شهر واحد كذا رووا
وللفصول **خشه** مع **رصد**	**الهاء والدال** معاً للعدد
الخاء للخريف **والشين** للشتا	**والراء** للربيع **والصاد** أتى
للصيف ثم افعل كما تقررا	وحصل العلم تكن معتبرا

فصل في معرفة أس السنة العجمية

وإن ترد تعرف أس عامك	فانظر إلى دجنبر في ذلك
وإن يكن آخره يوم الأحد	فالأس واحد وقس ما لم تزد
وإن يكن في العام كبس فالتزد	في الأس واحداً وحصّل واجتهد
وشسه وربع يوم للسنة	العجمية فخذها متقنة
وسند وخمس يوم سدس	للعربي وبذا يكبس

فصل في ترحيل الشمس على المنازل

وإن ترد ترحيل شمس فاعلما	على المنازل فخذها محكما

خذ ما مضى من ذلك الفصل أجل ورد له يومين ثم ما حصل

فاجعله إطراحا لكل منزل **يج** وكن مبتدئا بالأول

وما بقي أقل من طرح فما قد قطعت من منزل قد علما

فأول الربيع **فرغ** أول **وهقعة** للصيف لا تبدل

وللخريف **صرفة** معلومة وللشتاء **شولة** مفهومة

وشفهص يجمع كل ما ذكر فسبعة لكل فصل فاعتبر

وهي تقيم عند كل منزلة ثلاثة وعشرة مكملة

الا بجبهة فيوم زائد فيها لأجل الصيف فابغ الفائدة

فصل في ترحيل الشمس على البروج

وإن ترد ترحيلها على البروج وما الذي قد قطعت من الدروج

فخذ من أبريل إلى نهارك وزد عليه تسعة يا سالك

واطرح ثلاثين ثلاثين الجميع وابدأ بأول البروج يا سميع

فكل طرح كامل لواحد ما لم يصل فدرج من واحد

فصل في ترحيل القمر على المنازل

إن ترد يا صاح ترحيل القمر على المنازل فلذ بما اشتهر

خذ ما مضى من شهرك العربي تفد وابدأ بمنزلة شمس في العدد

واعط ليلة لكل منزل وهو يرى لكل منزل جل

أو بإزائه وربما انحرف   لأن لاتساع بينهما اختلف

فصل في ترحيل القمر على البروج

وإن ترد ترحيله على البروج   وما الذي قد قطعه من الدروج
خذ ما مضى من شهرك العربي وزد   عليه مثله وخمسة تجد
لكل برج خمسة من ذلك   وابدأ ببرج الشمس في حسابك
فإن بقي واحد فانتبه   فست أدراج مضت له به
وإن بقي اثنان فاثنا عشر   من الدروج ثم قس ما غبر
واعلم بأن البدر يستهل   بثالث للشمس يستحل
ومن هنا في الازدياد يشرع   في كل يوم نصف سبع يسطع
وهكذا في النقص ثم يرجع   يسير ليلتين ثم يطلع
ويرجع النقص **ليه** في القمر   وثامن العشرين ربما ظهر
والشهر كامل إذا ما ظهرا   لذا النهار وناقص إن لم يرا

فصل في معرفة ساعات الليل

وتعرف الساعات بالمنازل   في الليل مهما قمت فلتقابل
وانظر إلى توسط النجوم   وابدأ من الشمس إلى المعلوم
أعني التي في وسط السماء   واطرح من المجموع نقط **حاء**
واضرب في ست ما بقي فما خرج   فاطرحه طرح سبعة ولا حرج

لكل طرح ساعة وما يرى   أقل من طرح فأسباع ترى

وبين كل منزل ومنزل   ستة أسباع بأمر منجل

وإن يكن ما بينها توسط   من القضا فبالتحري مقسط

وإن يكن في القبلة الغمام   فبالطلوع كلها ترام

فاحسب من الشمس إلى الذي بدا   واطرح من المجموع **يه** أبدا

واعمل على المعلوم فيه ترتقي   وإن يكن في قبة ومشرق

فاحسب من المنزلة التي تلي   شمساً لساقط بلا طرح قل

وقس على المعلوم في هذا النمط   وإن بدا نجم من الشرق سقط

نظيره في الغرب فالتبادر   وهذه الأبيات في النظائر

للنطح غفر بطنه الزباني   ثرية الإكليل قد أباني

والدبر إن قلّبه نظير   وهقعة لشولة تشير

وهنعة نعائم لديها   وللذراع بلدة تلايها

ونثرة تذبح سعد الأبلع   وجبهة من السعود الأرفع

لزبرة أخبية تظلها   وصرفة فرغ مقدم لها

عواؤها فرغا مؤخراً تلي   وبطن حوت للسماك الأعزل

شاميها من نطحها إلى السماك   ويماني ما سواه قد أتاك

وهكذا البروج منه شامي   ويمني فاستمع نظامي

شاميها من حملها للسنبلة   ويمني ما عداها قد انجلى

فحملها رقيبه الميزان   وثورها بعقرب بيان

جوزاؤها للقوس قد تشير   سرطانها لجديها نظير

وأسد لدلوها قد نفرا   عذراؤها تطرد حوتا مدبرا

فصل في معرفة القطب ومعرفة التوسط والاستدلال بالقطب على القبلة

القطب كوكب خفي حوله ... نجم سني النور حكمه له

وهو مقيم ما له من حركة ... لكنه استقر وسط السمكة

وهي التي بنات نعش حولها ... والفرقدان كوكب رأس لها

ذنبها الجدي بذاك يوصف ... عند المنجمين طراً يعرف

وانظر إلى الجنوب كل يمني ... والقطب بين منكبيك قد بني

وكل شام بين شرق وجنوب ... والقطب عن يسار منكب يؤب

فذاك خط قبلة لدينا ... سبحان من به علينا

فصل في معرفة الطالع

وطالع البروج بالنهار ... يعرف باساعة يا ذا القاري

لكل برج ساعتين فاجعل ... وابدأ ببرج الشمس في التنقل

وحيث ما انتهيت في الحساب ... فذاك طالع بلا ارتياب

وإن أردت طالع المنازل ... فاجعل لكل ساعة يا عاقل

منزلة وسدسها وابدأ بما ... ذكرته وافعل بما تقدما

فزحل في كل برج يعرج ... بقدر لام أشهرا فيخرج

والمشتري عاما فخذ يقينا ... وأحمر خمسا وأربعينا

والشمس شهرا كاملا والزهـــرة	في كل بـــرج قدر كوتثبـــت
وكاتـــب يقيم سبعـــة عشـــر	في كل برج دائماً كذا استقـــر
والقمـــر المنير يســـري ليلتيـــن	وثلثـــا من ليلة بغيـــر ميـــن
واعلـــم بأن جملـــة الـــدراري	مسيرهـــا للشرق باشتهـــرار
وجملة الأفـــلاك بالعكس تسيـــر	لمغـــرب بقـــدرة الله القديـــر
فهـــذه عدتهـــا كمـــا تـــرى	لكـــل دري سمـــاء شهـــرا
أسبوعها في السيـــر بدر يا فـــتى	لأنـــــه أقربهـــا كمـــا أتى
بقـــدر ما يكون بعد الكوكـــب	يكـــون قدر مكثـــه فرتـــب

فصـــل في ذكـــر عـــدد خـــدام الشمـــس وكيفيـــة سيرهـــا في الفلـــك وفيـــه فوائـــد

أنشـــأ ربي منـــشئ الأفـــــلاك	للشمس ستين من الأمـــلاك
مـــع ثلاثمائـــــــة يجرونهـــــا	في رابـــع الأفـــلاك يخدمونهـــا
ووكـــــل الإلـــــه رقيائـــــل	بهـــم كذا أتى عن الأوائـــل
يجرونهـــا في عجلـــة من نـــور	وهي بظهـــر الفلك المذكـــور
بظهـــر بحـــر زاخـــر من مـــاء	مرتفـــع في وســـط السمـــاء
والبحـــر من أسفله مكفـــوف	يجري من أعلاه ولا يحيـــف
كجريان السهم يجـــري فاعتبـــر	وذاك من أقـــل صنع المقتـــدر
فجلهـــم عند الغروف خلفهـــا	والعكس في الطلوع فاعرف وصفها
وإن أراد اللـــــه بالكســـوف	أسقطها في بحرهـــا المألـــوف

بقـــدر هذا الغـــرق الذكـــور يكون في الشمس ذهاب النـــور
وتظهـــر الكواكـــب الخفيـــة حـــتى تصيـــر كلهـــا جليـــة
وقيـــل غيـــر ذاك في أسبابـــه فانظـــره في محلـــــه وبابـــه

بـــاب في القسمـــة وفيـــه خمســة فصـــول

ـــ الأول: في قسمـــة البـــروج عـــلى الـــدراري.
ـــ والثـــاني: في قسمـــة المنـــازل عـــلى الـــدراري.
ـــ والثالـــث: في قسمـــة المنـــازل عـــلى البـــروج.
ـــ والرابـــع: في الأيـــام عـــلى الـــدراري.
ـــ والخامـــس: في قسمـــة الـــدراري عـــلى الساعـــات.

الفصـــل الأول في قسمـــة البـــروج عـــلى الـــدراري

وتقسم البروج الاثـــني عشـــرا على الدراري كلها كما تـــرى
فأســـد للشمـــس والسرطـــان للقمـــر والثـــور والميـــــزان
لزهـــرة والحمـــل ثم العقـــرب لأحمـــر فهو المريـــخ ينســـب
للمشتري الحوت مع القـــوس أجـــل والجدي ثم الدلو فاعلم لزحـــل
للكاتـــب الجـــوزاء والعـــذراء جـــاءت بـــذاك عنهم الأنبـــاء

الفصل الثني في قسمة المنازل على الدراري

واقسم عليها أيضا المنازل وردها في جدول يا فاضل
وابدأ بشمس قمر فالأحمر فكاتب فالمشتري فالأزهر
فزحل وبعد ذاك تقسم فأربع لكل دري تسهم

الفصل الثالث في قسمة المنازل

وتقسم المنازل المذكورة على البروج قسمة مشهورة
لكل واحد بتقسيم جلي مترلتان ثم ثلث منزل
من أجل ذاك البدر كان قد مكث في كل برج ليلتين وثلث
واعلم بأن عدة الدروج لكل واحد من البروج
بقدر نقط اللام في الحساب ومثل ذاك عدة الأبواب

الفصل الرابع في قسمة الأيام على الدراري

فاعط دريا لكل يوم وقس على ترتيبه في النظم
شمس تقمرت بأحمر كتب بمشتر زهر مقاتل حسب
فأحد للشمس ثم رتب عليه ما بقي كذاك فاحسب

الفصل الخامس في قسمة الساعات على الدراري

وكل دري من الدراري / رب لساعة من النهار
والليل قس عليه في ذا النظم / وابدأ بساعة لرب اليوم
زحل مشتري مريخ شمس / زهرة كاتب القمر دون لبس
فزحل رب الأولى يوم السبت / وقس على ترتيبه في البيت

فصل في السعود والنحوس من الدراري

والشمس والزهرة ثم المشتري / سعد مريخ زحل نحيس حري
وكاتب وقمر سعدان / لكن مع النحس هما نحسان
وأعظم النحوس باتفاق / مقاتل فاحذر ولا تلاق
وراقب الإله في كل عمل / تنل من الإله أحسن الأمل
وكل من قد حرم المراقبه / فماله في الخير من مطالبه
ومن أطاع الله رب العالمين / أطاعه كل قوي ومتين
وجاء في الحديث عمن أسقط / من خاف من شيء عليه سلط
ومن يخاف الله خوفا مؤلما / خاف منه كل شيء فاعلما
واعمل بتقوى الله واعلم أنها / قطب المعاملة فارقب حسنها
أمرتك الخير وما ائتمرته / ولست عاملا بما ذكرته
لكن ربي غافر الزلات / فمنه أرجو العفو عن فعلاتي

فصـــل في الكواكـــب

وجملـــة الكواكب المذكـــورة   مضيئـــة بالـــذات مستنيـــرة
إلا القمـــــر فإنـــه مقتبـــس   من نور شمـــس نوره ملتمـــس

بـــاب في شـــرف الـــدراري وسقوطهـــا

وشرف الشمس ببيـــت الحمـــل   سقوطها الميـــزان يا ذا العقـــل
وزهـــرة لها بحـــوت شـــرف   سقوطها العذراء حقا يعـــرف
وشرف الكاتـــب في العـــذراء   سقوطـــه الحوت بلا امتـــراء
والثـــور فيـــه شـــرف للقمـــر   لكن بعقـــرب سقوطه حـــري
مقاتـــــل يشـــرف بالميـــزان   سقوطـــه بالحمـــل خذ بيـــاني
والمشتـــري شرفـــه السرطـــان   سقوطـــه بالجـــدي يا إنســـان
وأحمـــر شرفـــه في الجـــدي   سقوطـــه السرطـــان يا ذكي
الشمس تشرف في عشـــر من الحمـــل   من بعد تسع حساب غير ذي خلل
والبدر بالثـــور يرقى منتـــهى شرفـــا   وحل ثالثة الأجـــزا بلا مهـــل
وللمقاتـــل بالميـــزان مرتبـــــة   تعلو لعزتها الأملاك في الـــدول
إحدى وعشـــرين تمـــضي منه في درج   مكانه الشرف المأثـــور عن زحـــل
فالنصـــف من سرطـــان المـــاء منزلـــة   للمشتري شـــرف أربى على الأمـــل
وإنـــــي لا أرى المريـــخ مرتفعـــا   في الجدي ذا شرف عـــال بلا مثـــل
وفي ثمـــان مـــع العشريـــن من درج   ترى له صولة بالبيض والأسل

لزهرة السعد بطن الحـوت إن نزلـت	تسير فيه بلبس الحلي والحلـل
سبعا وعشرين من أجزائـه كملـت	تحجبت فيه بالأستار والكلـل
والنصف من درج العذرا غـدا شرفـا	له عطارد مسرورا أخا جـذل
وفي النظايـر للأشراف يسقـط مـا	سميت منه ضليعا شاكي العلل

بـاب في الأعـداء والأصدقـاء مـن الـدراري

الشمس والكيوان أعـدا أبـدا	نعـم ولا يتفقـان سرمـدا
إن شرف الكيوان فالشمـس تـرى	سقوطها والعكس هكذا جرى
وكاتـب مع زهـرة كذلـك	والمشتري مع أحمر يا سالـك
وما لبـدر مـن عـدو فيهـم	وأحمـر صديق شمس منهـم
بـدر صديـق زهرة قد علمـا	والمشتري صديقه قد انتـمى
وأحمـر صديقـه الكيـوان	وكاتب للشمـس يا إنسـان

بـاب الأعـداء والأصدقـاء مـن البـروج

وكلما للنـار والريـح انتـمى	من البروج أصدقاء فاعلمـا
وهكـذا المـاء مـع التـراب	فاعلم صديقيـن بلا ارتيـاب
والعكس في التـراب مع الهواء	والنـار أيضاً هكـذا للمـاء

بـــاب سعـــادة البـــروج وشقاوتهـــا

فأول الحمل شقي يا فـتى	وآخـر منه سعيد قد أتى
والثور بالعكس وما يليـه	بعكسـه كذاك نستوفيـه
فواحـد أولـه شـقي	وواحد بالعكس يا ذكي
من بعد أن تستثني السرطـان	إذ كالذي من قبله قد كان

بـــاب في نـــواحي الـــدراري

والشمس بالمشـرق في النهـار	بمغرب في الليل باشتهـار
والعكس في عدوها المقاتـل	فخذ وكن متبعـا يا سائلي
وزهرة بالليل قـل جوفيـه	وبالنهـار يا أخي قبليـه
والعكس في عطارد والقمـر	ما بين قبلة وغرب اشتهـر
وبين مشرق وجوف مشتـري	وبين شرق قبلة للأحمـر

فصـــل في قـــدر عظـــم الشمـــس والقمـــر

وعظم الشمس كقـدر الأرض	قصا ونيفا فخذه وامـض
والبدر قدره كنقـط فـاء	قد قيل في بعض من الأنباء
وبيـن كل فلـك وفلـك	كنقط ثامن السنين قد حكي
وغلـظ كل واحد كذلـك	سبحان ربنا القوي المالـك

وفي الكتاب جملة الـــدراري   في قوله بالخنس الجـــواري
والكـــل في الأفـــلاك قـــد يجـــرون   كما أتى في الذكر يسبحون

بـــاب معرفـــة التربيـــع وهـــو مستخـــرج مـــن علـــم الفلـــك

وإن تـــرد معرفـــة التربيـــع   وتخرج الكمين بالتوزيـــع
فانظـــر إلى اســـم طالـــع وكوكبـــه   وكوكب الساعة فاعلم وانتبـــه
وزد عليهم هذه الأســـامي   نوح وحام يافث مع ســـام
ثـــم تعدهـــم بعـــد سبعـــة   وتطرح الجميع طرح تسعة
وربع الأرض وبعـــد تنظـــر   في أي ربع بات فيه القمر
فإن يكن في مشرق فالتبتـــدي   من قبلة فاعلم بما في العدد
وهكذا فيما بـــقي تبتديـــه   إن بات في ربع فبالذي يليه
فحيث ما انتهى لك التعـــداد   فذلـــك الربع وهو المـــراد
وافعل به كما فعلـــت أولا   حتى ترى الكمين فيه قد جـــلا

بـــاب في جهـــات البـــروج الإثـــنى عشـــر

بيت الحية برج كل واحـــد   والثانيكبسه فخذ مقاصـــد
فبيت الأخوة فبيت الأبويـــن   فبيت الأبناء تفهم دون مين
يتلوه بيت مرض قد انجـــلى   من بعده بيت النكاح فانقلا
فبيت موته فبيـــت السفـــر   فبيت ملكه فخذ ولا تزدري

فبيـــت سعده بالأصدقـــاء   فبيـــت الأعداء بالشقـــاء

فصـــل في نحـــوس القمـــر

ونحسه بعقـــرب قد ذكـــرا   لأنها سقوطه كما جـــرى
وهكذا اجتماعه مع زحـــل   وذنب واحمر نحس جـــلي
وكونه في ثامـــن المطالـــع   وثاني عشرة كذاك واقـــع
أو موضع محترق قد كان فيـــه   وذاك بين عقرب وما يليـــه

فصـــل في معرفـــة الليـــل والنهـــار مـــن البـــروج الإثـــنى عشـــر

أن البروج قل على قسميـــن   الليـــل والنهار دون ميـــن
النـــار والريـــاح نهاريـــان   والمـــاء والتـــراب ليليـــان
فكـــل ليـــلي مؤنث شهـــر   وغيره بالعكس هكذا ذكر

فصـــل في البـــروج

فصل من البروج ذو تقلـــب   وثابت مجسد فالتحســـب
فالأول الحمل مع السرطـــان   وهكذا الجدي مع الميـــزان
والثابت العقرب ثم الأســـد   والدلو ثم الثور والمجســـد

والقوس والعذراء مع الجــوزاء　　وهكذا الحوت فاستمع إلى أنباء

ويجمع المذكور شكل تثــم　　لكل حرف أربع فلتعلــم

والشمس والأحمــر ناريــان　　عطارد والكيوان ريحيــان

وزهرة وقمــر والمشتــري　　مائيــة فاعلم وخذ لا تزدري

بــاب في بيــان الأركــان الــتي تقــوم منهــا الأبــدان وهي الطبائــع

واعلم بــأن عدة الأركــان　　أربعــة عناصــر الأبــدان

النــار والهــوا مخففــان　　والمــاء والأرض مثقــلان

فالحر واليبس لطبــع النــار　　والبرد واليبس لترب جــار

رطوبة حرارة قــل للهــوا　　رطوبة برودة ماء حــوى

فصــل في قسمــة الحــروف والبــروج عــلى الطبائــع

وإن أردت قسمة الحــروف　　على الطبائع بلا تكليــف

فضع حروف نتهم في جــدول　　واقسم عليها أبجد وكمــل

وذا على طريق أهل الفلــك　　والحكماء نهمة عنهم حكي

فنتهــم معنــاه بإقــراء　　نــار تراب وهــواء مــاء

ولتقسم البروج مثل ذلــك　　عليــه كي تتبع المسالــك

يبدو أن المنظومة لم تنتهي هنا. ومع هذا نكتفي بما حصلنا عليه ـ إلى الآن ـ من هذه المنظومة الرائعة في الفلك؛ التي سماها **عبد الرحمن الأخضري:** السراج في الفلك. نقلناها من كتاب مفيد المحتاج في شرح السراج؛ الذي أعده **سحنون بن عثمان بن سليمان بن احمد ابن أبي بكر الميدوي.** وهو منشورات المكتبة الثعالبة بالجزائر.

*****

عاشراً: ـ ومنظومة "أزهار المطالب في علم بالإسطرلاب"[1].

يبدأ هذه المنظومة هكذا:

القول في تسمية الآلات[2]

ورسم الاسطرلاب حيث يالي

---

[1] الأسطرلاب أو الأسطرالاب (Astralabe): آلة فلكية عريقة؛ تسمى عند العرب أيضاً باسم (ذات الصفائح). وربما عاد اختراعها الأول إلى الفراعنة أو البابليين؛ نظراً لعنايتهم واهتمامهم بعلم بالفلك وتتبع النجوم ودراسة حركتها. وذكر اليعقوبي أن ثيون الأسكندري الذي عاش في القرن الرابع الميلادي ألف عملاً حول الأسطرلاب؛ غير أن عمله هذا لم يصل إلينا. كما تبين أن السريانيين كان لهم اهتمام بالأسطرلاب؛ إذ قام ـ في القرن السابع الميلادي ـ سفيروس سيبوخت بالكتابة حول الآسطرلاب. وفي العصر الإسلامي شاع استعمال الأسطرلاب وانتشر استعماله بين المسلمين؛ حيث ألف أبو الحسن عبد الرحمن بن عمر بن سهل الصوفي الرازي (291ـ/903م ـ 376هـ/986م)؛ كتاب العمل في عمل الأسطرلاب، وفي القرن الثامن الميلادي قام أبو إسحاق إبراهيم بتطوير الأسطرلاب. ومن ذلك الوقت تعددت المؤلفات المتعلقة بالأسطرلاب لدى المسلمين؛ خاصة في الأندلس والمغرب؛ منها منظومة الأخضري هذه.

[2] تعددت أشكال آلة الأسطرلاب؛ كما اختلفت المواد التي صنعت بها. فمنها الخشبية، ومنها النحاسية ومنها الحديدية...

بالأم ذات البطن والكرسي ما[1]

عـلا وفيه عـروة قـد رسمـا[2]

وظاهـر الأم بـه مميـز

دوايـر محيطـة بالمركـز[3]

أولهـا دايـرة للأشهـر[4]

ينقصهـا من كامـل وأبتـر

حاويـة لكـل أيـام السنـة

وهي الـتي بسطحـه مبينـة

وبعدها البـروج الإثـنى عشـرة[5]

قسم البـروج فوقهـا قد سطـرا

فكـل واحـد مـن الأبـراج

لـه ثلاثـون مـن الأدراج[6]

وربع الارتفـاع فـوق سطـرا

بالجهتيـن فيـه تسعـون تـرا

ووسـط الظهـر بـه ضلعـان

فجهـة الظليـن موضوعـان

---

[1] الأم: هي الـتي تشتمـل الصفائـح المثبتـة في الوجـه. أمـا الكـرسي: فهـو الخـط المستقيـم المـار بمركـز الدائـرة والكـرة المنتـهي إلى الجانبيـن: الأيمـن والأيسـر.

[2] العـروة: هي الـتي فيهـا الحلقـة؛ وهي ماسكـة للكـرسي.

[3] المركـز: هـو النقطـة المفروضـة في وسـط الصفيحـة.

[4] أي محيـط الدائـرة الأولى في وجـه الأسطـرلاب تكـون للأشهـر.

[5] البـروج الفلكيـة هي: الحمـل، الثـور، الجـوزاء، السرطـان، الأسـد، العـذراء، الميـزان، العقـرب، القـوس، الجـدي، الدلـو، الحـوت،

[6] أي لكـل بـرج ثلاثـون درجـة.

قد عرف المبسوط والمنكوس

كل من الاصباح فيه اقتفي

فظله المبسوط بالإجماع

يزيد عند نقص الارتفاع

وحيث زاد الارتفاع نقصا

وعكسه المنكوس فيما نصحا

وما يدار فوقها عضاده[1]

محدودة الرأسين للإفادة

وشطبتاه فوقها مثقوبتان

لأخذ لارتفاع قل مبعدتان

ووجه الأم فيه حجرة بدت[2]

فيها جميع الدرجات نزلت

والعنكبوت شبكة تدار[3]

على الصفائح لها اضطرار

وعدلت منطقة البروج

في وسطها بجملة الدروج

وحولها كواكب قد عدلت

وكلها على السموت عدلت[4]

---

[1] العضادة: هي المسطرة التي تدور على ظهر الأسطرلاب.

[2] الحجرة: هي الدائرة المقسومة.

[3] العنكبوت: هي الصفيحة المشبكة الموضوعة فوق الصفائح المشتملة على منطقة الأبراج.

[4] السموت مفردها سمت: ويستعمل في علم الفلك للدلالة على طول القوس؛ وهو الزاوية المحصورة بين أي مستقيم مرسوم في الأفق مارا بموضع الراصد، وبين الخط المرسوم من الشرق إلى الغرب. ويقصد بها أيضاً خطوط الطول.

وعند رأس الجدي باستواء

محدد يدعي مدى الأجزاء

تدرى به الأجزاء للساعات

وقوس ما ثبت من الأوقات

وتحتها صفائح الأعراض[1]

لكل إقليم من الأراضي

في وجهها دواير مرسومة

ثلاثة محيطة محكومة

فالدارة الكبرى لرأس الجدي

يمشي عليها دايما في الجدي

وسطاؤها للحمل والميزان

وبعدها الصغرى للسرطان

فدارة الميزان ثم الحمل

يدعونها بدارة المعدل[2]

وللشمال كل ما فيها اندرج

وللجنوب كل ما عنها خرج

وخطها المنصوب باستواء

يدعى بخط وسط السماء

---

[1] الصفائح سميت بها آلة الأسطرلاب؛ (ذات الصفائح)؛ وفي كل صفحة توجد ثلاث دوائر على مركز واحد.

[2] هكذا للضرورة الشعرية. ويقصد أن الدارة الوسطى؛ وهي دارة الميزان والحمل؛ هي مدار الاعتدال.

منشؤه من قبة الكرسي[1]

يمر نحو الجانب السفلي

فإن تعد القطب سمة الوتد

وخط نصف الليل كل ذا ورد

وخطها المدعو بخط الأفق

من مغرب يمر نحو المشرق

ثم دواير المقنطرات[2]

كاملة وغير كاملات

وعد الارتفاع بينها وضع

بحسب اصطلاح من قد يصطنع

والنقطة الوسطى بسمت الرأس قد

تدعى سمت السموت قد ورد

ومن هنالك السموت أخرجت

أعدادها بين الخطوط أدرجت

وخط للأعراض والساعات

في الجهة السفلى وللأوقات

وثقب في القطب تسمى المحور

وممسك بفرس قد شهروا

*****

---

[1] الكرسي: هو الجزء البارزع، محيط الحجرة ومسمار العروة نافذ فيه.

[2] المقنطرات: هي خطوط العرض.

نكتفي بهذه المقدمة؛ **لمنظومة أزهار المطالب في الآسطرلاب**؛ لأنها مازالت مخطوطة وتستدعي تحقيقاً دقيقاً من قبل مختصين. لعل عرضها هنا يلفت أنظار المهتمين بميدان الفلك؛ فيتناولونها بالتحقيق والدراسة والشرح.

وما سبق ذكره ـ من مؤلفات **الأخضري** ـ لا يتجاوز عشرة أعمال؛ وهو العدد الذي تمكنا من الحصول عليه؛ على أننا سنواصل البحث عن بقية أعماله؛ بغرض نشرها في المستقبل؛ فنرجو من الله العون والتوفيق. ومع هذا؛ نشير بلمحة خاطفة إلى بعض الأعمال التي نتوقع الحصول عليها فيما بعد؛ منها:

ـ **"الفريدة الغراء"** في التوحيد؛ ما زالت مخطوطة؛ ويملك الشيخ **عبد الرحمن الجيلالي** نسخة منها.

ـ **"الدرة البهية"** في النحو. موجودة في بعض الزوايا بولاية بسكرة.

وبهذا نصل إلى نهاية هذا الفصل؛ الذي درسنا فيه بعض مؤلفات الإمام **عبد الرحمن الأخضري** التي حصلنا عليها وهي عشرة أعمال رئيسة:

1 ـ رسالة في الحساب.

2 ـ الدرة البيضاء.

3 ـ متن الأخضري في العبادات.

4 ـ المنظومة القدسية.

5 ـ الرائية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

6 ـ القصيدة اللامية في التصوف والإرشاد الديني.

7 ـ الجوهر المكنون في الثلاثة فنون.

8 ـ السلم المرونق في المنطق والحكمة.

9 ـ منظومة السراج في الفلك.

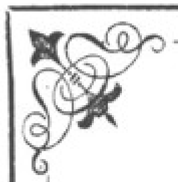
10 ـ أزهار المطالب في علم الأسطرلاب.

11ـ بالإضافة إلى القصيدة المنسوبة إليه عن النبي خالد. التي وضعت في الفصل الأول.

وقد حاولت جهدي التعريف بهذه المؤلفات مع الشرح والتحقيق؛ ولكن الإلتزام بصفحات محددة وقف أمامي عائقاً وكابحاً في الاستمرار بالشرح الكامل. وعليه؛ أرجو من الله التوفيق لما فيه الخير والفلاح.

تم بحمد الله وحفظه

*****




المــلاحـــق







وثيقـــة ـــ 1 ـــ

(صفحـــة أولى مـــن مخطـــوط منظومـــة القدسيـــة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

هذه منظومة العارف بالله
سيدي عبد الرحمن الأخضري المسماة
بالمنظومة القدسية

يقول راجي رحمة المقتدر
المذنب العبد الذليل الأخضري ١

بحمد رب العالمين ابتدي
ثم صلاته على محمد ٢

يا طالبا على كمال قدسه
وقاصد العلاج نفسه ٣

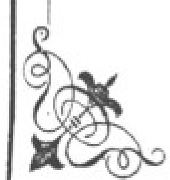
اعلم بأن الجوهر الإنساني
وهو الذي يدعونه الروحاني ٤

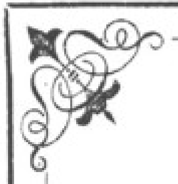
منشؤه في العالم العلوي
ومودع في القالب الجسمي ٥

لأنه في الأصل من جنس الملك
فصار مركوزا في عالم الملك ٦

فهذه جوهرة نفسيه
في الأصل في الدائرة القدسيه ٧

دائرة التطهير والكمال
وعاقها عن ذاك الاتصال ٨




وثيقـــة ــ 2 ــ

(الصفحتـــان: الأولى والثانية لمخطـــوط ســـر منظومـــة القدسيـــة للشيـــخ بـــن مصبـــاح)











وثيقــة ــ 3 ــ

(الصفحــة الأولى مــن رائيــة الأخضــري في مــدح رســول اللــه صــلى اللــه عليــه وسلــم)

343



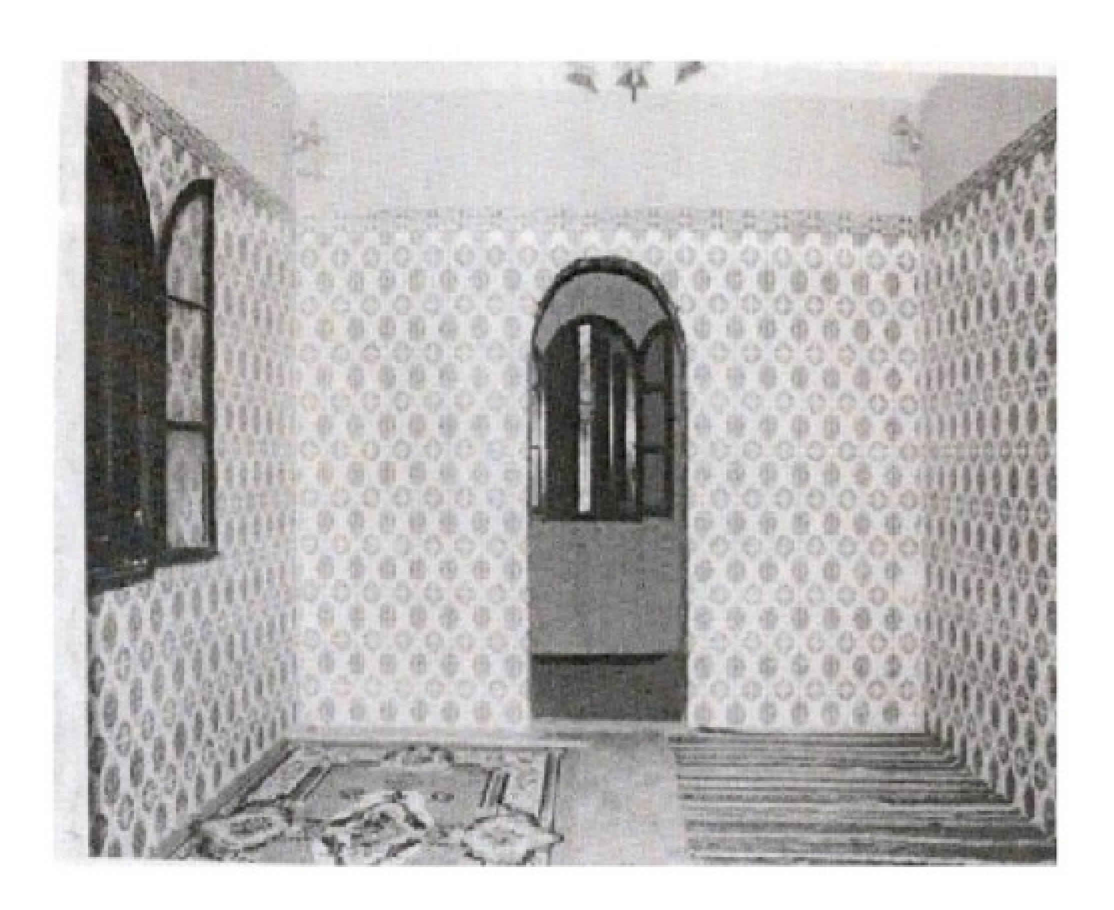






وثيقــة ــ 4 ــ

(غرفــة داخــل ضريــه العلامــة عبــد الرحمــن الأخضــري)









وثيقــة ـــ 5 ـــ

(مقـام العلامـة عبـد الرحمـن الأخضـري)







وثيقـــة ــ 6 ــ

(مقــام العلامــة عبــد الرحمــن الأخضــري)







وثيقـــة ــ 7 ــ

(مسجـــد عبـــد الرحمـــن الأخضـــري ببانطيـــوس)







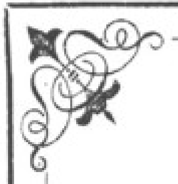


وثيقــة ــ 8 ــ

(مسجــد عبــد الرحمــن الأخضــري وضريحــه ببانطيــوس)






المصادر والمراجع

ــ **القرآن الكريم**؛ مصحف الشروق المفسر الميسر، دار الشوق بالقاهرة، 1977م.

ــ **تفصيل آيات القرآن الحكيم**؛ لـچُولْ لأَبُومْ؛ ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتاب العربي ببيروت 1954م. ويليه المستدرك (وهو فهرس مواد القرآن) لـ إدْوَارْ مُونْتِيَـهْ.

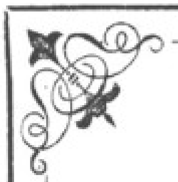
ــ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**؛ ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار الشروق (كتاب الشعب).

ــ **إحياء علوم الدين**، أبو حامد محمد الغزالي، دار الفكر ومطبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية، ط: 1، 1975م.

ــ **الإصابة في تمييز الصحابة**؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر النميري القرطبي، مكتبة المثنى ببغداد ومطبعة السعادة بمصر، ط: 1، 1328هـ.

ــ **الأعلام**؛ **خير الدين الزركلي**، مطبعة كوستا توماس وشركاه، ط: 2، 1954 ــ 1959 م.




- **تاريخ الجزائر الثقافي**؛ أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، 1981م.
- **تاريخ الجزائر العام**؛ عبد الرحمن الجيلالي، دار الثقافة ببيوت، 1980م.
- **التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق**؛ زكي مبارك، منشورات المكتبة العصرية ببيروت،
- **التلخيص في علوم البلاغة**؛ محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب؛ شرح وضبط عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط: 2، 1932م.
- **دائرة المعارف الإسلامية**؛ محمد ثابت الفندي وآخرون، القاهرة، 1933م.
- **رياض الصالحين**؛ يحيى بن شرف النووي، مكتبة محمد علي صبيح بمصر.
- **سنن الترميذي (وهو الجامع الصحيح)**؛ محمد عيسى بن سورة الترميذي؛ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، ط: 3، 1978م.
- **شرح ديوان زهير بن أبي سلمى**؛ شرح أحمد بن يحيى الشيباني ثعلب، الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة، 1964م.







ـ **شرح قدسية الأخضري (مخطوط)**؛ شرح الحسين ابن أحمد زروق بن مصباح، مخطوط بالزاوية العثمانية بطولقة.

ـ **شفاء السائل لتهذيب المسائل**؛ عبد الرحمن بن خلدون؛ تعليق الأب أغناطيوس عبده خليفة اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية ببيروت، 1959م.

ـ **صحيح البخاري**؛ محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر ببيروت.

ـ **صحيح مسلم**؛ مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري؛ شرح الإمام النووي، دار الفكر.

ـ **الطبقات الكبرى**؛ محمد بن سعد، دار بيروت للطباعة والنشر ودار صادر للطباعة والنشر بيروت، 1960م.

ـ **عمدة البيان في معرفة فروض الأعيان على مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنهما.** وهو شرح لمختصر الأخضري في العبادات. لأبي محمد عبد اللطيف بن المسبح المرداسي؛ التوفي سنة 980هـ/1572م.

ـ **الغرة في شرح فقه الدرة (وهو شرح لقسم الفقه من الدرة البيضاء للأخضري)**؛ محمد الصادق الشطي، المطبعة التونسية بتونس، 1936م.








ـ **القصيدة الرائية في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم**؛ لعبد الرحمن الأخضري

ـ **القصيدة القدسية في التصوف**؛ لعبد الرحمن الأخضري.

ـ **القصيدة اللامية في التصوف والإرشاد الديني**؛ لعبد الرحمن الأخضري.

ـ **القصيدة اللامية في النبي خالد بن سنان.** لعبد الرحمن الأخضري.

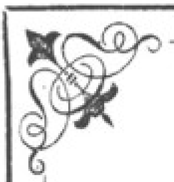
ـ **كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات**؛ محمد بن الطيب الباقلاني،؛ تصحيح الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية ببيروت، 1958م.

ـ **كتاب شرح الدرة البيضاء**؛ للأخضري؛ صححه علي بن أحمد العدوي الشهير بالهواري.

ـ **الكواكب العرفانية والشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية.** لشيخ الحسين الورثلاني؛ وهو شرح منظومة القدسية لعبد الرحمن الأخضري.

ـ **متن الأخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك بن أنس**، عبد الرحمن بن الصغير الأخضري؛ تصحيح ومراجعة محمد حبيب الله الشنقيطي المالكي،




المكتبة الأهلية بواد مدني بالسودان والمكتبة المحمودية التجارية بالقاهرة،

ـ **مجموع مهمات المتون**، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط: 4، 1949م.

ـ **محك النظر في المنطق**؛ أبو حامد محمد الغزالي؛ ضبط وتصحيح محمد بدر الدين النعساني، المكتبة التجارية للطباعة والتوزيع والنشر ودار النهضة الحديثة ببيروت، 1966م.

ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**؛ علي بن الحسين المسعودي؛ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط: 3، 1958م.

ـ **معالم السنن** (شرح سنن الإمام أبي داود سليمان ابن الأشعث السجستاني)؛ شرح أحمد بن محمد الخطابي، المكتبة العلمية ببيروت، ط: 2، 1981م.

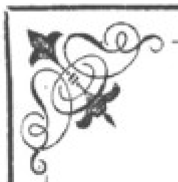
ـ **معجم أعلام الجزائر**؛ عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ببيروت، ط: 2، 1980م.

ـ **معجم البلدان**؛ ياقوت الحموي، دار صادر ببيروت، 1977م.

ـ **معجم المطبوعات العربية والمعربة**؛ جمعه ورتبه يوسف اليان سركيس، مكتبة سركيس بمصر، 1928م.








ـ **مفيد المحتاج في شرح السراج**؛ وهو شرح لكتاب السراج في علم الفلك لعبد الرحمن الأخضري؛ تولى شرح الكتاب سحنون بن عثمان بن سليمان بن أحمد بن أبي بكر الميدوي.

ـ **مقدمة ابن خلدون**؛ عبد الرحمن بن خلدون؛ تحقيق علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي بالقاهرة، 1965 ـ 1968م.

ـ **المقصد الأسنى (شرح أسماء الله الحسنى)**؛ أبو حامد محمد الغزالي؛ تحقيق محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندي بالقاهرة، 1968م.

ـ **منظومة الأسطرلاب**؛ لعبد الرحمن الأخضري.

ـ **المواريث في الشريعة الإسلامية**؛ الشيخ حسن الخالد وعدنان نجا، دار لبنان للطباعة والنشر ببيروت، 1967م.

ـ **موطأ الإمام مالك (برواية يحيى بن يحيى الليثي)**؛ مالك بن أنس بن مالك بن أنس بن الحارث الأصبحي الحميري؛ إعداد أحمد راتب عرموش، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع لبنان، ط: 2، 1977م.

ـ **نشأة التصوف الإسلامي**؛ إبراهيم بسيوني، دار المعارف بمصر، 1969م.








ـ **مجلة الأصالة**؛ وزارة الشئون الدينية الجزائر، العدد: 53، جانفي 1978م.

— **LE SOULLAM; TRAITÉ DE LOGIQUE; tradouire de L'ARABE par J.D. Luciani; ALGER; 1921.**

*****







فهـــرس المحتويـــات











.ولد بمدينة طولقة (ولاية بسكرة) في 17 ماي 1939م.

.نال شهادة الماجستير في التاريخ من جامعة الجزائر سنة 1988م

.عضو اتحاد الكتاب الجزائريين.

بوزياني الدراجي

مؤلفاته المطبوعة:

1. نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية.
2. اغاني الصبا "مجموعة شعرية".
3. هتاف الارض "شعر تمثيلي".
4. القبائل الامازيغية
5. دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس.
6. العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية "على ضوء الفكر الخلدوني).
7. ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية.
8. عبد الرحمن الاخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره.
9. اللعبة الخاسرة "مجموعة قصصية".
10. الكابوس "مجموعة قصصية".
11. نفاثة صدري "في السياسة والتاريخ والثقافة".

الكتب المحققة:

.بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد (الجزء الثاني) ليحيى بن خلدون.

.زهر البستان في تاريخ بني زيان؛ مؤلف مجهول.

.نزهة النظار في فضل التاريخ والأخبار ((رحلة الورثلاني))؛ للشيخ الحسين بن محمد الورثلاني.

.الإحاطة في اخبار غرناطة؛ للسان الدين ابن الخطيب.

رقم الإيداع : 1478-2009





صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة